ساحر الكتب

أسطورة الجوزاء

الحبر المسحور

الطبعة ٢

محمد مجدي أبو الهنا

أسطورة الجوزاء

(١)

طبعة 2

الحبر المسحور

محمد مجدي أبو الهنا

تصميم الغلاف: محمد أبو الهنا

ورشة التحرير الأدبي: محمد الدواخلي - إبراهيم السعيد

التدقيق اللغوي: محمد أحمد فؤاد   الإخراج الداخلي: إسلام علي

رقم الإيداع: 2018/19438

الترقيم الدولي: 978-977-85396-6-0

مدير النشر: محمد الدواخلي

المدير الفني: إسلام علي

المدير العام: محمد مجدي أبو الهنا

facebook.com/FantasiansPub

Fantasians4@gmail.com

002-01094461896

للتوزيع في مصر والوطن العربي: 002-01090752916

صفحة رابطة فانتازيون: facebook.com/Fantasians

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ودار فانتازيون للنشر والتوزيع، وأي اقتباس أو تقليد أو إعادة طبع أو نشر أي جزء من هذا العمل، سواء إلكترونيًا أو فوتوغرافيًا أو أي شكل آخر دون تصريح كتابي موثق من الناشر، يعرض مرتكبه للمساءلة القانونية.

لتحويلك إلى الجروب أضغط هنا

لتحويلك إلى الموقع أضغط هنا

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب

او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

أسطورة الجوزاء

الحبر المسحور

محمد مجدي أبو الهنا

دار فانتازيون للنشر

إلى

أمي و أبي

** رايون **

كان الوقت ليلًا، والثلج يتساقط برقة في جوف الظلام، حينما رقد أمجد في سريره، ملتحفًا ببطانيته، وبجواره جده يقص عليه حكايته المفضلة. لم يكن أمجد ينتبه له كعادته؛ فتلك المرة كان شاردًا يفكر في تلك الصورة التي عثر عليها وأخفاها أسفل وسادته.

سعل الجد فجعل حفيده يفيق من شروده وينتبه للحكاية...

كان حميد يتحرك في مؤخرة القافلة، خائر القوى، مطأطئ الرأس، يتتبع خطى الإبل بثبات، وبداخله ندم كبير منذ المرة الأخيرة التي خاض فيها الصحراء، وأقسم بداخله إن كُتبت له النجاة؛ فلن يعود أبدًا لها.

هتف رفيقه وكأنه يشعر بما يدور بداخله: «من عَرَف الصحراء لابد أن يعود إليها يا صديقي.. إن الأمر أشبه بسيدة حسناء، ذات مزاجية متقلبة؛ في الصباح نحسب أن العالم كله بنهار، وأن نهايتك على مقربة.. وفي الليل تداعبك نسماتها المنعشة، حتى تشعر وكأنها تبتسم لك.. وعندما تبتسم الصحراء، فلا يوجد موضع على الأرض يعادل العيش فيها».

لم يكن حميد في حال يدفعه إلى الصياح في وجه رفيقه، ليكف عن هذا الهراء أو حتى ليحسده على عزيمته القوية، ونبرته المرحة المفعمة بالتفاؤل. وبينما كان صوته يرن في أذنيه، إذ بنسمة عابرة نقلت معها صوت صياح أتى من مقدمة القافلة، حاول حميد الإنصات ليرى، ولكنه لم يستطع.

دفع رفيقه في ضعف وهو يصيح في وجهه ليصمت، ثم أخذ يتقدم عنه وهو يشرئب باحثًا عن سبب صياحهم. لم تكن عيناه ترى سوى تموجات الرمال الناعمة، ولونها الأصفر الشاحب المتداخل مع لون السماء الرمادي.

تساءل بداخله، «هل عثروا على البشر...»، لم يكمل سؤاله، لتأتيه الإجابة على الفور؛ ففي اللحظات القليلة التي سبق فيها رفيقه، تسللت ريح عاصفة، لم ينتبه لصوتها إلا وهي ترتفع خلفه كمارد عملاق، جذبت رفيقه وابتلعته في لمح البصر. انصعق حميد مما يراه وخرّ على ركبتيه، متراجعاً بكلتا يديه في تهيج وذعر. كانت عيناه ترقبان تلك العاصفة، وهي تقترب منه وتعصف بشكل عنيف، كما لو أنها روحٌ ملعونة تحررت من قيودها.

ولكن فجأة، تراجعت تلك العاصفة، وتبددت كما لو لم يكن لها وجود قط.

في تلك اللحظة، وجد نفسه يترنح نافضًا، ويندفع -بكل ما أوتي من قوة- ليلحق بالقافلة.

كان تأثير العاصفة لا يزال باقيًا، حيث ظلت الرمال تتطاير في الهواء، وتعمي بصره، وبصعوبة بالغة، استطاع الالتحام بالقافلة. مرت دقائق حاول طمأنة نفسه بأنه نجا من الموت، وأنه لا يزال حيًا. ولكن بمجرد أن اجتاحته الطمأنينة، حتى تفاجأ بإعصار مرعب، أتى من المجهول، ليكنسهم دفعة واحدة، ويبتلعهم كرقائق من الغبار.

لم يفكر في الوقت الذي مر على غيبوبته، بقدر ذاك الشعور الغريب الذي باغته لكونه نجا من الموت للمرة الثانية. تطلع حوله باحثًا عن أي أثر للقافلة، ولكنه لم يجد سوى ظله الذي انعكس لحظة سطوع الشمس فوق رأسه.

نهض حميد وبدأ يتحرك، باحثًا عن أي علامة أو أثر للقافلة وسط بحر الرمال ذاك، ولكن عينيه -المحتقنتين بالدم- لم تكونا ترىان سوى الشمس، التي ظلت تسلط حرارتها المميتة، لتضعف جسده وتعدم أمل نجاته، حتى فقد القدرة على المواصلة، وخر على الرمال، منتظرًا لمسة الموت التي تريحه. ولكنه بمجرد أن فكر في ذلك، شعر بيد رقيقة تتلمسه، رفع رأسه بجهد،

فأبصر فتاة شقراء، رائعة الجمال، بعيون زرقاء، ارتكزت على ركبتيها بجواره، وراحت تصيح وتلوح بيدها إلى ثلاثة رجال، يمتطون خيولهم ويسرعون إليهما.

شيئا فشيئا بدأت رؤيته تضعف، وهو يراقب تلك الخيول الغريبة، تصهل وتهز ذيولها الطويلة، بشكل مبالغ فيه. حاول التحدث ولكنه لم يستطع سوى أن يغمغم بكلمات لم تُفهم، ثم صار بعدها يهذي متوجعًا، غير قادر على فتح عينيه. ظل على هذا الحال، حتى بدأ يعي وينتبه لما حوله. ظن لوهلة أنه كان يتخيل، تأثرًا بأفكار رفيقه الذي ابتلعته العاصفة. ولكنه تفاجأ بنفسه محمولًا على ظهر ذاك الحصان العجيب، وتلك الفتاة تسحبه وتتحرك برفقة هؤلاء الرجال.

فكر في لفت انتباههم، ولكنه وجد نفسه مأخوذًا بذاك السراب العجيب الذي يتجهون نحوه. كان عديم اللون، والعالم من خلفه يهتز. كان بالضبط أقرب لسراب تبعثه نيران خفية، ولكن أثناء عبورهم إياه، تبين أنه ضباب رمادي اللون. بدأ ينقشع ببطء، كاشفًا عن واد ضيق، بين جبلين عظيمين، وفي نهاية هذا الوادي شيئًا لا يمكن أن تصدقه عين .

راي!.. رابون.. هل نمت يا صغيري؟

توقف الجد عن إكمال حكايته، عندما لاحظ حفيده غاص في نوم عميق.

نهض وأطفأ الضوء وخرج من الغرفة.

مرت ثوانٍ، عم فيها الهدوء وضوء القمر الخافت ينتشر في أرجاء الغرفة. تململ آمجد في نومه واعتدل في جلسته وهو يُخرج ذاك الشيء من أسفل وسادته. لم يكن سوى صورة قديمة تجمع جده بشخص يعرفه جيدًا؛ فمنذ سنوات اعتاد راي شراء القصص من متجره، ولم يسبق لجده أن أخبره أنه يعرفه.

«لماذا يُخفي جدي ذلك؟!» سأل نفسه وهو ينظر لدولاب ملابسه في شرود.

كان علي يقين من أن الاجابة على هذا السؤال تحمل الكثير من الأسرار العجيبة، لم يكن السبب في تلك الصورة القديمة، ولكن في ذاك الشيء الذي عثر عليه وأخفاه في دولاب ملابسه.

(1)

أثر في السماء

ديسمبر 1972...

اشتدت برودة الأجواء، حتى ألزمت الناس منازلهم، متعجبين من البرودة الغريبة التي لم يعهدوها قط، ربما هذا ما فكروا به وهم ينعمون بالدفء داخل منازلهم، ولا يدرون بما يحدث في تلك البقعة الغامضة، التي ساد فيها الظلام بشكل عجيب، وتكاثفت فوقها السحب، حتى بات من المستحيل، تبيان إلى أي أرض تنتمي.

وبالضبط عند منتصف الليل، انقطع صوت الرياح ليحل مكانه صفيرٌ مستمرٌ، آتيًا من مصدرٍ مجهول، وفي الوقت ذاته لمعت بقعة رملية، إثر توهج ذرات الرمال بها وهي ترتفع وتهبط في إيقاع غامض.

ثوانٍ قليلة، وبدأت الغيوم تتلاشى، ليظهر القمر بدرًا ساطعًا، فوق تلك الأرض التي بدأت معالمها تظهر شيئًا فشيئًا. وفي الطرف الشمالي البعيد، برزت ثلاثة صروح عظيمة، هرمية الشكل، تصطفُّ معًا بشكلٍ محكم، وهذا التمثال الغامض لا يزال رابضًا أمامها ليشهد على مرورها بعصور الأرض كافة.

فجأةً ومضت السماء بضوء لامع، أعقبه على الفور ظهور كرة ضوء ساطعة، بدت كقطرة ماء عملاقة تسقط ببطء، وهي تتدلى من السماء بخيط من أضواء الطيف، شكلت تلك الأضواء فقاعة أسطوانية، أخذت تتمدد، وهي تهبط إلى الأرض.

وبمجرد ارتطامها بالرمال، تكونت موجة ضوئية راحت تتسع، تزامنًا مع ظهور ذاك المجسم الأسود، الذي اخترق الغلاف الجوي، ليمرق عبر تلك الفقاعة بسرعة هائلة، والفقاعة تنكمش من خلفه، تحتويه وتمتص سرعته، كي يطفو فوق الرمال بسلاسة وهدوء. كانت حالة المادة لهذه الفقاعة مجهولة، ولكن في تلك اللحظة بدت كغشاء مادي رقيق، يحوي بداخله سائلًا هلاميًا، يقمر هذا المجسم الأسود، ومن حوله يسبح عدد لا حصر له من أغصان شجيرية.

بدأ هذا المجسم يمتص السائل، حتى تبددت الفقاعة من حوله، وصارت صورته منجلية بوضوح تحت ضوء القمر. كان أقرب لصخرة صماء، تم صقلها ببراعة فائقة، لتبدو كما لو أنها حوت عظيم البنيان، يطفو في الهواء بزعانف عجيبة! تشكلت سريعًا من تلك الأغصان التي راحت تهفو بحرية تامة على جانبيه.

حدث كل ذلك في دقائق معدودة، ليعقبها انفصال حفنة من الأغصان وهي تتداخل بشكل سحري، مكونةً سبع حلقات خشبية، تناثرت كل منها على حدة فوق بقعة من الرمال، وهي تدور بسرعة بالغة، مكونة حفرة آخذة في الاتساع كلما انسابت الرمال بداخلها، لتأخذ شكل درجات تغوص إلى أسفل.

لم تمر دقائق، حتى سُمع صوت جلبة آتية من تلك الحفر، سريعًا ما ظهرت مخلوقات حية، تخطو على قدمين، وتبتعد عن الحفرة سامحة لغيرها بالخروج.

وعلى الرغم من صعوبة تصديق ذلك، إلا أنهم كانوا بشريين، حيث تجلت ملامحهم تحت ضوء القمر، ليظهر أنهم من أعراق مختلفة.

كانت أعدادهم كبيرة، ولم تزل في ازدياد!

ومن بين هذا الحشد، انسل (نوح)، وزوجته (سارة) تتبعه، منشغلة بابنتها

- ذات الأعوام الأربعة - وهي تدس شيئًا بفمها وتحتها على مضغه جيدًا.

وقف الوالدان يتأملان من بعيد أهرامات الجيزة العظيمة، بينما كانت (لبلى) الصغيرة حائرة من ابتسامة العجز على وجهيهما. حاولت تقليدهما، ولكن ذاك الشيء الذي تمضغه، كان قاسيًا، جعلها تمتعض وهي تخرجه من فمها وتضغطه بين أصابعها متأففة. وبإرادة طفولية رفعت رأسها نرقب انشغال والدتها، ثم لوحت بيدها وألقته خلسة خلفها.

«يا إلهي!» تردد صوتٌ آت من خلفهم يتحدث بالعربية: «أهذه أهرامات المصريين؟!».

التفتت الأسرة لذاك الشابّ الذي لم يتجاوز سن المراهقة، ونوح يتمتم بابتهاج: «جراي...!».

«إنها مذهلة يا سيدي!» أغمض جراي عينيه مستمتعًا بالهواء العليل، وهو يلفح وجهه: «أشعر كما لو أنني ..

«ولدت من جديد»، أكمل له نوح في ابتهاج: «إنه شعور العودة إلى الوطن».

مال جراي إليه، وهو يهمس بالغة الإنجليزية: «ها هي الأرض التي حلمت الرجوع لها.. يا سيدي».

ربت نوح على كتفه، ثم ظلا ينظران في صمت، وكل منهما يستمتع بتلك اللحظة التي اعتقدا أنها لن تحدث أبدًا. مرت دقائق، وفجأة انتبه جراي لفتاة لم تتجاوز الحادية عشرة من عمرها، جاءت من خلف لتمسك بيده. بدت من نظراتها الصامتة أنها تعاتبه على تركه إياها، فابتسم لها ونحو يشد على يدها بشيء من الطمأنينة.

في ذاك الوقت، كان الركاب لا يزالون يخرجون من الفجوات السبعة. وثمة شخص يقف عاليًا يتطرهم عبر ذاك المجسم الذي تبين أخيرًا أنه سفينة فضاء

عملاقة. كان هيكل السفينة ذا خصائص عجيبة؛ فتلك البقعة التي كان ينظر منها هذا الشخص، كانت تسمح له برؤية المواطنين جميعًا. لم تكن معالم وجهه واضحة من شدة الظلام الذي يطوقه، ولكن أنظاره كانت تنصب جهة هذه الفتاة التي بصحبة جراي، ونبين ذلك لحظة أن جاءه صوت أنثوي خافت، تردد في الفراغ من حوله...

دعها وشأنها!

خفقت فراشة في الهواء، منبعثة عنها أضواء ذهبية. ظلت تدور حوله قبل استقرارها فوق كتفه.

تردد الصوت ثانية، وكأنه ينبعث عن تلك الفراشة الذهبية: «ألا يكفيك ما حدث لها يا (نودري)!».

تحدث (نودري) يجيب هذا الصوت: «لو علم (روا) بما فعلناه فس »، قاطعه الصوت بنبرة أكثر رقة: «الأهم أن هذه هي وصيتها!».

- «وهو أخي.. لقد تركنا ترحل وهْ !».

- « أنت تعلم جيدًا لماذا سمح لك روا بالرحيل.. كلاكما قد حقق أمنيته وانتهى الأمر».

- «أمنية دفعت أنت ثمنها!».

- «إذا كان هذا هو الثمن فأنا راضية.. انظر لها، من كان يتصور أن هذه الفتاة ستعيش وتعود إلى الأرض.. والأجمل من ذلك، أنها ذات يوم ستكبر ولن تدري من تكون».

كان الظلام يغشاهما من كل جهة، ورغم ذلك بدا أن (نودري) قد تأثر بما تردد على مسامعه، حيث رفع يده إلى وجهه، ومسح دموعه. بداخله كان

يعلم أن ما حدث قد حدث، وأن رجوعه للأرض ليس سوى هروب جديد!

«إتاي رهي صادوراء!»، زفر في يأس ناطقًا تلك الكلمات، وهو يرفع شيئًا ما في يده الأخرى - عصا متعرجة طويلة – طرق بها أرضية السفينة، فلمعت أسفل قدميه خيوطٌ زرقاءُ متوهجة، راحت تتكسر وتنتشر في نظام ومسارات متداخلة، وكأنها أشعة ضوئية تنتشر فوق شريحة إلكترونية.

لم تمر ثوانٍ، وبدأ الجميع يراقبون السفينة وهي ترتفع ببطء ملحوظ...

«إتاي رهي صادوراء!» قالتها رفيقة جراي باستغراب، كما لو أنها لا تعلم ما يحدث: «لقد سمعتها في رأسي»، همست له في أذنيه ولكن جراي حثها على الإنصات، ثم انشغل كالبقية في سماع ما يُقال.

انتباه أيها الجوزائيون!

كانت هذه هي الكلمات التي تردَّدتْ على الفور داخل رؤوس الجميع، بدا كما لو أن (نودري) في تلك اللحظة يخاطرهم، وكل شخص يسمعه بلغته التي يتحدثها، على عكس تلك الفتاة التي ظلت تسمع بلغة لا تفهمها.

«ربَّما سنفترق بعيدًا وننتشر في كافة بقاع هذا الكوكب، الذي لن يتواجد مثيلٌ له لجنسنا البشري.. ولكننا رغم ذلك سنظل مختلفين، ينمو بداخلنا هذا الانتماء الذي لن يتبدد أبدًا.. أعلم أن كثيرين منا - إن لم يكن أغلبنا - يرغبون في العيش وسط بشر الأرض.. فلطالما كانت هذه أمنيتنا منذ قديم الأزل.. ولكن التاريخ يتكرر ليؤكد أنَّ هذا شيء مستحيل».

وأثناء ذاك الخطاب التخاطري، أطلقت السفينة ثلاث كرات فضية جهة الأهرامات الثلاثة، لتصطدم بالفراغ ما قبل الأهرامات وتختفي، ثوانٍ وبدأت الأهرامات تشع بلون ذهبي براق، حتى بدا كما لو أن الفراغ حولها يتشقق كأوراق الحائط، مظهرًا مُروجًا شاسعة في خلفية تلك الصروح الذهبية الثلاثة.

«ورغم ذلك ستظل حرية الاختيار ملكًا لكم، إما الاختلاط مع بشر الأرض ونسيان كيانكم الجوزائي، وإما العيش في (إيخار) وكافة الأراضي التابعة.. فلطالما كانت وستظل ملجأ العاقلين البنائين من البشر».

كان منظرًا يأخذ العين، يمتد من السماء للأرض. كان باديًا للناظرين كما لو أنهم يرون صورة وهمية للأهرامات الثلاثة. ولكنها كانت حقيقية، فتلك الصورة لم تكن سوى جزء من بعد آخر عبرته السفينة، بشكل خاطف، مخلفة وراءها وميضًا شديدًا، ابتلعه ظلام دامس ليعيد كل شيء كما كان.

همست رفيقة جراي، أنها لم تفهم أي كلمة مما قيل، وتكن جراي لم يفكر في الإجابة على سؤالها بقدر استمتاعه بالطريقة التي كانت تهمس بها في أذنه. وفجأة تنبه لصوت سارة وهي تسأله: «أهذه صديقتك يا جراي».

«آآآ» تردد في الإجابة قليلًا: «أجل.. لقد تعرفت عليها في السفينة»، ثم أضاف بثقة: «كانت تجلس بمفردها ولا تذكر أي شيء.. تبدو فاقدة الذاكرة؛ حتى إنها لا تذكر اسمها.. ولكنني أناديها باسم والدتي.. (كاثلين)».

«يا له من اسم رائع! أظن أنه يعني في اليونانية النقاء والطهارة.. أليس كذلك يا نوح؟».

كان نوح في تلك اللحظة شاردًا في تلك الكلمات التي نطقت بها كاثلين. إنها اللغة الجوزائية التي يتحدث بها القادة وحدهم. فكر بذلك وهو لا يزال مستغرقًا في ملامحها، التي بدت مألوفة له، وكأنها تشبه !

«نوح!»، نادته سارة، منعجبة من تحديقه العجيب في رفيقة جراي.

«ثمة شيء غريب!». نهرب نوح بكلماته وبنظراته، وهو يشير إلى ما وراء جراي ورفيقته. حيث تصدع انشغاله بحشد من المواطنين، ظهرت أمامهم فجوة بالأرض وأخذوا يقفزون بداخلها.

قالت سارة: «أظن أنَّ تجمعهم دليلًا على أنهم لا يملكون تذاكر (بوداي)».

«لقد تبقت معي اثنتان!» قالها جراي وهو يخرج من جيبه تذكرتين، ليعطي نوح واحدة. رمقها نوح بابتسامة خافتة، قبل أن تبهت معالمها مع ضوء القمر، الذي توارى خلف السحب مجددًا.

«أخشى أنها لا تصلح». قالها نوح وهو يرفض أخذها. «التذاكر الإلكترونية عديمة الجدوى في كوكب الأرض.. وأعتقد أنَّ هذا هو سبب تجمعهم».

أدخل نوح يده في جيبه، وأخرج تذكرة أكبر حجمًا، يعطيها له: «هذه تذكرة (بوداي) السحرية.. أعتقد أنها لا تزال صالحة وبمقدورك ».

قاطعه جراي: «ولكن.. ماذا عنك يا سيدي!».

هز نوح رأسه: «لستُ بحاجة لها، سأمكث في مصر لبعض الوقت».

«هيا خذها»، أصر نوح، «يمكنك الذهاب إلى إبخار بهذه التذكرة.. ومن هناك يمكنك الذهاب إلى أي مكان تريد».

أخذها جراي مترددًا، وتمنى بداخله أن لو طلب منه مرافقته. ولكنه كان خجولًا من أنْ يطلب مثل هذا الطلب، حتى إنه شعر في صوت نوح بأنه لن يرحب بذلك أيضًا.

«إنه الوداع إذًا». قالها جراي متأثرًا، ثم اقترب منه وعانقه. «لن أنساك مهما طال الزمن يا سيدي».

قاطعتهما سارة، وهي ترفع الكاميرا: «هذه اللحظة لا بد من تصويرها.. ستكون صورة رائعة للذكرى.. هيا هيا استعدا».

سطع وميض الكاميرا والتُقطت الصورة.

(2)
كرة النار

ولاية أريزونا - أغسطس 1991.

هتفت ممرضة سمينة وهي تحادث زميلتها باهتمام: «يا لها من طفلة بائسة .. ليلة أمس تقي والدها مصرعه بينما هي لا تزال بين الحياة والموت.. أي مصير هذا الذي ينتظرها يا ترى».

تجاوبت زميلتها معها: «تلك الحادثة يحوم حولها الغموض .. لقد قرأت عنها في الصحف ليلة أمس.. الحكومة تدّعي أنها نيزك وشهود العيان يقولون إنها مركبة فضائية».

أومأت لها قائلة: «ليس هذا ببعيد».

تأفف نورمان بمجرد سماعه لحديثهما، وهو يمر بجانبهما، لم يفصح عن ضيقه، واكتفى بالتقدم عن خطيبته، التي رمقتهما في ضيق قبل أن تلحق به داخل رواق طويل.

توقف نورمان أمام غرفة (18). تطلع إلى الرقم في اضطراب، قبل إبصاره لأخته عبر النافذة المجاورة لباب الغرفة.

تنحنحت مارثا وهي تشد على يده بشيء من التشجيع: «نورمان.. هيا ابتسم!».

كانت أخته (سوزان)، ذات شعر أسود، وملامح جمالية مميزة، ولكن وجهها الشاحب في تلك اللحظة كان يخفيها، حيث بدت وهي جالسة في سريرها كما لو أنها تشعر بالملل أو بالحزن. ولكن فجأة تفجرت البسمة على وجهها،

وهي تهتف في ابتهاج: «مارثا.. نورمان».

بدت سعيدة للغاية وهي تفرد ذراعيها لتعانق مارثا، ومن خلفها نورمان، الذي انهالت عليه بالقبلات وهي تعاتبه: «أسبوعان يا نورمان ولا زيارة واحدة!».

تأسف معتذراً، محاولاً ألا تنهمر دموعه، فلم يكن يحتمل رؤيتها في هذا المكان، ولكنها هي من أمرته بذلك. قطع تفكيره صوتٌ ممرضة طلّت عبر الباب، تنظر لسوزان قائلة: «لقد عاد الإرسال يا سوزان.. يُمكنك الآن مشاهدة جريت وليامز».

خفضت الممرضة كلماتها، وهي تغمز لها، فبادرتها سوزان بقبلة في الهواء وهي تشكرها.

تساءلت مارثا: «أما زلت تتابعين البرنامج يا سوزان!».

أجابتها سوزان، وهي تطلب من أخيها فتح التلفاز: «أختك تعطي له طعماً آخر»، ثم هتفت بصوت حالم: «جريت وليامز.. اسم رنان سيكون له مستقبل إعلامي.. مذيعة أنيقة وبارعة الجمال.. وفوق كل ذلك جريئة ومثـ ».

توقفت سوزان عن الحديث وهي تنظر إلى ساعة الحائط: «أووووه.. لقد أوشكت الحلقة على الانتهاء».

انجذبت سوزان إلى التلفاز، ونسيت كل شيء حولها، جلس نورمان بجوار مارثا، فمالت مارثا إليه قائلة: «أتم أخبرك.. إنها تتحسن.. تبدو طبيعية للغاية!». همست مارثا بهذه الكلمات، ثم انتبهت للتلفاز، حيث ظهرت أختها (جريت) متألقة في بدلة سوداء أنيقة، وإطلالة ساحرة بشعرها الأشقر الذهبي، ونبرة صوتها المميزة، لتذيع شيئاً أبعد مما يُتصوّر أنْ تذيعه. كانت

نأخذ آراء بعض المواطنين، قبل أنْ ننظر للكاميرا ونختم بيانها.

"كما رأيتم أعزائي المشاهدين.. ثمّة حالة من الجدل والقلق، اجتاحت تلك المدينة الهادئة بعد تعدد الرؤى حول ما حدث ليلة البارحة.. مؤكدين أن ثمة شيئًا غامضًا يحدث بالفعل.. الحكومة تدّعي أن كرة النار ليست سوى نيزك عادي، بينما شهود العيان يجزمون بأنها ليست كذلك؛ فلا يوجد نيزك يهبط إلى الأرض ويحلق من جديد.. لا أحد يعرف أين الحقيقة، وخاصة أن كرة النار هذه قد ظهرت في ثماني ولايات أمريكية مختلفة.. وكل هذا شيء وما حدث في تلك المدينة شيء آخر، فالجميع هنا يؤكدون أنهم رأوا زهرة عملاقة تلمع في السماء، بأضواء حمراء وزرقاء، انبعثت عنها قذيفة انطلقت بسرعة البرق، واختفت بين السحب، لتتحول بعدها تلك الزهرة إلى مجسم كروي مشع، وسقط أمامهم.. لم يستطع أحد رؤيته عن قرب بسبب قوات الجيش التي انتشرت في المكان بسرعة بالغة.. ومن حيثُ موقعنا هذا داخل مدينة (كلورادو) بولاية كاليفورنيا، نرى تشديدات أمنية مكثفة لمنع الاقتراب من منطقة الحدث، وذلك طبقًا للبيان العسكري الأخير الذي أعلن فيه عن وفاة رجل تصادف وجوده في موقع سقوط النيزك، هو وابنته التي لا تزال تصارع الموت.. والسؤال الذي يطرح نفسه الآن، يا ترى ما الذي حدث بالضبط ليلة أمس.. هذا ما يريده المواطنون، ولكن الحكومة لم تزل مصرّة على أن كافة رؤى المواطنين ليست سوى انعكاس لظاهرة سقوط النيزك".

هتف رجلٌ عجوزٌ أمام الكاميرا، بينما كانت جريث تختم بيانها: «إنه انعكاس لغبائهم».

«إنه انعكاس لولائهم.. انعكاس لولائهم!»، صاحت سوزان في انفعال، بعدما تجهمت تعابير وجهها. كانت على وشك أن تدخل في نوبة جنونية، ما إن تشنجت وبدأت تغمغم محدّثة نفسها: «يذهبون ويعودون ولا أحد يصدق بوجودهم.. فاقدو العقول فقط هم من يشعرون.. أجل، أجل.. دومًا ما

يقولون عنا هكذا.. وبتعاقب الأجيال نصبح نحن العقلاء والعباقرة الذين لن يكررهم الزمن.. البشر يستحقون ما يصيبهم لأنهم لا يؤمنون.. لا يؤمنون إلا بما يرون».

نظرت لأخيها دامعة: «دعهم يخدرونى يا نورمان.. لقد سئمت من العيش وسط الغافلين.. لقد سئمت من الحياة كلها بعدما فقدته». أجهشت بالبكاء، وأخذت تنوح: «لقد فقدت ابني وصرت أنا في الأرض وهو في السماء». نهضت مارثا لتهدئها، بينما هرول نورمان مسرعًا ليجلب الممرضة. ظل واقفًا بالخارج، يشاهد الممرضة عبر النافذة، وهي تقوم بتخديرها.

اقترب منه الطبيب المعالج، ووقف بجواره صامتًا لبعض لحظات، ثم تحدث إليه بنبرة صديقة: «سأكون صادقًا معك؛ هذا ليس المكان المناسب لها.. أختك بحاجة إلى مكان منعزل؛ بيت ريفي هادئ تعيش به لفترة طويلة حتى تستقر حالتها».

نظر إليه نورمان في صمت، فأوضح له الطبيب قائلًا: «هذه هي الحقيقة، أختك في أغلب الأوقات طبيعية ومرحة، وفي بعض الأحيان تصبح مشوشة كما رأيتها الآن، تظل هكذا ما إن تسمع كلمة طفل أو أي شيء له علاقة بالفضاء.. تارة تخبرنا أنها لم تكن تعيش على الأرض، وتارة تتحدث عن زوجها وخطفه لابنها.. وفي الحقيقة كلما استمعت لسوزان، راودني شعور كما لو أنني أجلس أمام زوجة رجل عسكري ذي رتبة عليا، أو عالمة فضاء بالنظر لما تمتلكه من معرفة دقيقة حول الفضاء.. أو عضو هام في فرق صناعة الوهم والحروب النفسية التابعة للجيش الأمريكي.. فللوهلة الأولى تعتقد أن كل ما تقوله حقيقة تصيبك بالذهول، ولكن بمجرد أن تتجاوب معها، وتسألها عن أي شيء يدعم صدق ما تقوله، تبدأ في الألم والبكاء، وترتعش وتصرخ مكررة: لقد أنسوني كل شيء! لقد أنسوني كل شيء!».

تنهد الطبيب ثم واصل حديثه: «ثمة خط فاصل بين ما تعرفه نحن البشر وبين ما تدّعي سوزان معرفته.. فإن كانت صادقة فيما تقوله فحينها سنكون نحن المغيبين عما يحدث في الخفاء!».

***

صحراء نيفادا – أغسطس 1990

بالقرب من إحدى المناطق الجبلية الوعرة، حلقت طائرة حربية، تحمل شيئًا في غاية السرية. وعند هضبة مرتفعة، انبثقت فتحة مستديرة بها، هبطت بها الطائرة، لتستقر فوق قاعدة خفية تعج بمئات الجنود والعاملين، يحملون شعار الجيش الأمريكي. بالرغم من أن هذا القطاع كان يحمل شعارًا آخر، أقرب لرمز الماسونية في تداخلات خطوطه الهندسية، عدا حرف الـ(G)، الذي تم إحلاله بخط أفقي يصل ما بين الزاويتين المنفرجتين في المنتصف.

رُفعت حالة الطوارئ، وتم نقل المجسّم المجهول إلى قاعة واسعة، مجهزة بكافة الاحتياطات الأمنية، وتخصيص طاقم من العلماء والخبراء لتحليل ما حدث. كانت الساعات الأولى مليئة بالنقاشات المحتدمة في محاولة لفهم ما حدث، وفي ساعة متأخرة من الليل، وصل طاقم من القادات العليا، لرؤية ذاك الشيء، والاستماع لذاك التقرير التحليلي المدعوم بصور جوية، التقطت بواسطة الأقمار الاصطناعية.

« في الساعة التاسعة مساءً، رصد القمر الاصطناعي ثماني كرات نارية آتية من الفضاء، ظلت تحلق بنظام غريب، حتى التقت معًا في سماء كلورابد، بولاية كاليفورنيا.. ومن ثم بعد دقائق، اجتمعت الكرات النارية لتكون حلقة دائرية الشكل، كما هو مبين في الصورة السابعة، أعقبها على الفور في الصورة التالية ظهور حجر نيزكي، هبط فجأة من السماء لتحتويه تلك الكرات.. أما الصور التالية فتظهر أن ثمة شيئًا غامضًا قد حدث، جعل ذاك النيزك ينشطر

لنظهر بعدها سحابة كثيفة تخفي شيئًا بداخلها.. في الصورة الخامسة والعشرين، نظهر ومضة ضوئية تنبعث من تلك السحابة، لم يتم تحديد ماهيتها بعد وأين مكان سقوطها.. ولكن قمرًا اصطناعيًا آخر، قام برصد سرعتها التي تقدر بمائة ميل في الثانية الواحدة، مكنتها من اجتياز ولاية كاليفورنيا في ثوانٍ معدودة لتظهر بعدها في تلك الإحداثيات قرب غابة كايباب بولاية أريزونا ومن ثم تختفي دون أدنى أثر.. وبقية الصور تظهر ذاك المجسم الكروي الغريب الذي استقر فوق الرمال، وبالقرب منه ذاك الرجل الذي لَقِيَ مصرعه وبجواره ابنته».

هتف أحد القادة متسائلًا: «وماذا عن هذا المجسم؟ هل هو حقًا مركبة فضائية.. هل نوصلتم لأي شيء؟».

فاطعه صوت شخص مسنّ في بزة سوداء، لم يكن من ضمن القادة، ولكن هيبته المهيبة وصوته الجاد، جعل الجميع ينصتون لتشديده الأمر: «تلك القذيفة لا بد من العثور عليها».

نظر أحد القادة: «لقد تم بالفعل سيد ألفريد.. لا تقلق. سيتم العثور عليها قريبًا».

توقف القائد العسكري عن حديثه، لحظة تردد هذا الصوت المتذبذب في أرجاء القاعة، كان صوتًا ناعمًا، ينبعث من مصدر مجهول، ولكن الأنظار كلها توجهت في الحال صوب المركبة، لينفاجؤوا بحركتها البطيئة، وهي تدور حول نفسها بشكل لا يمكن ملاحظته من النظرة الأولى.

تمتم القائد في خوف: «أهذا شيء طبيعي ؟!». توقف عن الحديث ليقلد البقية وهم يتراجعون للخلف، وتلك المركبة تشع بضوء أبيض، تاركةً قشرة رقيقة تنزلق من فوقها، من شدة مجهرية جزيئاتها، بدت كأنها غطاء حريري، أو مادة سائلة، تنساب ببطء من على جسم المركبة، وتتمدد كالبساط

أمامها، كاشفة عن كوة أمامية في هيكل المركبة.

تخشب الجميع في أماكنهم، بمجرد أن وقعت أعينهم على وجه يبتسم، رفع يده وهو يلوّح لهم في براءة.

لم يكن سوى طفل صغير، لا يتعدى الثالثة من عمره، انزلق من كرسيه، وتحرك متوجهًا نحوهم بخطى متخبطة وبطيئة. كان رد الفعل سريعًا، حيث تراجع الجميع خائفين عدا أحد العلماء، الذي تسمّر في مكانه يرقب هذا الطفل وهو يهرول إليه متهللا الأسارير، وبنظرات وديعة يلوح بيديه الصغيرتين، إشارة منه كي يحمله.

حذره أحدهم وهو يمسك يد الطفل، ولكنه رغم ذلك ابتسم بطمأنينة: «لا داعي للحذر.. إنه مجرد طفل».

صاح زميله بنبرة ذعر: «إنني لا أقصد الطفل!».

رفع العالِم عينيه، ونظر إلى حيث يشير زميله، فالمركبة كانت تحوي مقعدًا آخر خاليًا.

(3)

اللقاء المحتوم

ولاية أريزونا – 18 أغسطس 1990

أسرعت جريت بسيارتها، بعد زيارتها لأختها في مدينة (فلاج ستاف). كان الطريق خاليًا أمامها، مما دفعها لتشرد في ذاك الحوار الذي دار بينهما: «أربع سنوات.. أبنتها الأخت الكبرى!». هكذا استقبلتها مارثا، وهي تعاتبها لعدم زيارتها لها طوال هذه المدة: «ويا ترى لمن أدين بهذا الشرف؟!».

أجابتها جريت: «خطيبك!».

فهمهمت مارثا قائلة: «لم أتصور أن نورمان بشر إعجاب الجميلات».

أجابتها جريت: «صدقيني.. لقد سئمت الرجال جميعهم.. إنني فقط أبحث عن إجابات تتعلق بمؤسسة (جي. أرلام)».

حدجتها مارثا في شك: «هل الأمر يتعلق بحلقة (Doctor Who) التي برعت في بطولتها مؤخرًا؟». بدا أن الموقف لا يحتمل الضحك، هكذا فهمت مارثا من الابتسامة المتكلفة التي افتعلتها جريت، قبل أن تومئ لها بالإيجاب.

«إذًا!»، همهمت مارثا وهي تهز رأسها، «لا يمكنك مقابلته».

- «الأمر في غاية الأهمية!».

- «ليس أهم من أخته المسكينة التي انهارت بعد حلقتك السخيفة تلك».

- «يمكنك المحاولة!».

- «ويمكنك أنت أيضًا نسيان الأمر برمته. لقد قمت بإذاعة الحلقة وانتهى الأمر».

- «بالفعل انتهى الأمر. لقد تم إيقافي عن العمل!».

«ماذا!»، هتفت مارثا في عدم تصديق.

«وتم حظري من دخول ولاية كاليفورنيا». زفرت جريت بحرقة. «أتودين معرفة السبب؟».

لم تجبها مارثا. فقط أومأت لها، وهي تطبق شفتيها، وتغمض عينيها في استياء.

«لقد رأيت ذاك الشيء الذي هبط من السماء». تنهدت بعمق لتواصل حديثها: « استطاع صحفي شاب التسلل إلى غابة (كينان)، وتصوير ذاك الشيء العجيب.. كان أشبه بكرة سوداء عملاقة.. لم أر شيئًا كهذا من قبل.. وعندما اصطحبت الصحفي وقابلنا مدير المحطة، وعدنا ببثّ هذا الفيديو في نفس الليلة.. ولكن هذا الحقير قام بإبلاغ السُلطات وتم القبض علينا.. تم التحقيق معي لساعات قبل إخلاء سبيلي؛ أما الصحفي فقد اختفى».

قالت مارثا: «ربما ما رأيته كان جزءًا من مشروع سري!».

قهقهت ساخرة: «أجل.. مشروع سري راح ضحيته رجلٌ بريء، وابنته اليتيمة لا تزال راقدة في المستشفى تصارع الموت!».

«ربما هذا هو السبب وراء كتمانهم للأمر». بدت نبرة مارثا سلبية للغاية. « ربما هذا الشيء خطير.. ولا يمكن للمواطنين أن يعرفوا عنه شيئًا.. على الأقل في الوقت الحالي».

- «ولهذا السبب أريد التحدث إلى نورمان، أو ربما زميل له في (جي. آرلام)».

- «نورمان لن يفيدك، ولا أحد غيره.. لا أحد يعبث مع الحكومة».

- «هل أنت خائفة!».

«أجل خائفة!»، اعترضتها مارثا في استهزاء. «إنك في ولاية أريزونا؛ الأرض التي تحتضن مقر المؤسسة ذاتها.. العالم بأسره يعلم أن (جي. أرلام) عين الحكومة وعقلها».

«إذًا سيتوجب عليّ البحث بطريقتي الخاصة!».

جريـــــــث!

«كفاك»، صاحت مارثا. «انظري لنفسك؛ لقد فقدت وظيفتك بعدما صرت شخصية لامعة وفوق كل هذا لم منعك من دخول الولاية.. اللعنة على هذه الخرافات.. ماذا تريدين أكثر من ذلك؟ هل تريدين فقدان عقلك مثل سوزان المسكينة؟». صمتت "وهلة، وهي تمسح وجهها بكفيها. «إنك فتاة جميلة يا جريث»، أكدت بنبرة صادقة. «رائعة الجمال.. تكبرينني بستة أعوام ورغم ذلك تبدين أصغر مني وأجمل مني.. ربما فقدت وظيفتك ولكن لا يزال "دبك الكثير.. الكثير والكثير يا جريث؛ أقلها سيارتك تلك التي لن أستطيع ....».

قاطعتها جريث وهي تقوس حاجبيها: «أأنت تحسدينني!».

«أحسدك!». لم تجد مارثا مفرًا من الضحك: «صدقيني بعد كل ما سمعته.. صرت أحسد نفسي».

«حقًا!»، تصنعت جريث الابتسام، وبنبرة طفولية مرحة أكملت: «ولكنك لم تزالي تحسدينني.. أنت وكل نساء العالم تحسدنني بسبب جمالي الذي يفوق ».

«أفروديت نفسها»، قاطعتها مارثا وهي تقلدها بصوت ساخر، فقهقهت جريت بضحكة مجلجلة، وكأنها لم تضحك من قبل: «لقد افتقدتك حقًّا يا مارثا.. أفتقد أمي.. وأفتقد حياتنا في (فينكس)».

«إنها أجمل أيام حياتنا!».

«أجل!»، تمتمت جريت وهي محنية الرأس، تعبث بفنجان القهوة. «لقد هدمت مستقبلي بيدي، أصبحت تائهة.. أقحمت نفسي في شيء أكبر مني حتى صرت لا أعلم ماذا أفعل؟».

«لا تفعلي شيئًا!»، أحكمت مارثا قبضتها على يد جريت. «ربما حدث ذلك حتى تنتبهين لحياتك.. عودي إلى بيتنا القديم، إنه لا يزال مغلقًا منذ وفاة والدتنا.. ابحثي عن وظيفة مناسبة وشريك وسيم أو أيٍ مما تحبين.. أو يمكنك انتظار فتى أحلامك ليهبط عليك من السماء وترحلي معه».

ابتسمت جريت وهي تفكر في تلك الأمنية الحمقاء، فمنذ أن كانت صغيرة، كانت ترى نفسها أجمل نساء الأرض، وذات يوم سيهبط فتى أحلامها من السماء كي يأخذها ويرحلا معًا على حصان طائر.

كم كنتُ حمقاء، ومتعجرفة!

همست جريت في نفسها وهي تزيد من سرعة سيارتها. كانت لا تزال شاردة، تفكر في حياة الوحدة التي كُتب عليها أنْ تعيشها؛ فعلى الرغم من هذا الجمال الذي كانت تتباهى به، والذي كان سببًا في وظيفتها وحصولها على مرتبات خرافية، إلا أنها لم تشعر قط بالرضا والسعادة، وفوق كل ذلك لم تجد الشخص الذي تقع في حبه.

كانت لا تعلم متى وأين سيظهر فتى أحلامها هذا. لطالما ردّدتْ هذا السؤال بداخلها، حتى تجاوزت سن الثلاثين وتبخرت أحلامها الوردية. كم من مرة

تهربت بأقوال تدعيها كمثال أنها تبحث عن الحرية والحياة المستقلة، بل إنها أوهمت نفسها أنها لا تريد الزواج، ولا أن تكون أمًا. وكأن أختها كانت مخطئة...

لا توجد أم رائعة الجمال!

كانت تستشيط غضبًا كلما أخبرتها مارثا بذلك. بداخلها كانت تتمنى - كبقية النساء - أنْ تكون لها أسرة صغيرة. كانت تود لو تعثر على رجل تقع في غرامه، يُحطم غرورها، ويُشعرها بأنه أفضل رجل على الإطلاق، ولكن عينيها لم تبصراه بعد. ربما بأنيها من السماء مثلما كانت تتخيل وهي صغيرة. لم تجد مفرًا من ابتسامة هازئة ترسمها على وجهها وهي ترفع عينيها إلى السماء، في تلك اللحظة لم تكن منتبهة للطريق أمامها، الذي كان خاليًا للحظات قبل أنْ يظهر رجلٌ يعبر الطريق وهو يعرج. لم تره إلا في اللحظات الأخيرة وهي تكبح عجلات سيارتها في ذعر، لكن ذلك لم يفلح إلا في تقليل الصدمة التي أطاحت بهذا الرَجُل أمام السيارة.

ترجلت جريث من سيارتها، وهرولت نحوه. كان رأسه ينزف، ولكنه لا يزال حيًا وهي تتفحص نبضات قلبه. رفعت رأسها وهي تتلفت حولها باحثة عن أي شخص ليساعدها، ولكنها لم تجد أحدًا. دمعت عيناها، وارتبكت من شدة الخوف؛ لطالما كانت وحيدة وقت شدتها. هل ستظل مكتوفة اليدين هكذا. وجدت نفسها تسحبه إلى سيارتها، وتنطلق بسرعة إلى أقرب مستشفى.

ظلت جريث طيلة ساعات، في قلق لا ينتهي، وخاصة عندما أخبروها أن الرجل الذي صدمته، قد استفاق ولكنه لا يتذكر أي شيء، على الأرجح قد فقد ذاكرته. أي سوء حظ هذا؟! همست بداخلها بمجرد لرؤيتها لشرطي يتقدم نحوها، ويهتف باسمها. كان بادئًا أنه يعرفها لكونها مذيعة مشهورة.

وطوال ساعة من التحقيق، ظلت تبرأ نفسها، حتى خرج ممرض آخر من غرفة المصاب، ليهتف قائلًا: «آنسة جريت.. الرجل لا يذكر أيًا مما حدث، وفوق ذلك لا يريد إدانتك.. أنت حرة بالذهاب».

لم تستطع جريت الرحيل وتركه، وفي الوقت ذاته لم تستطع مواجهته، وعندما قررت ذلك في نهاية اليوم، وجدته نائمًا. ظلت جالسة بجواره تتأمله، كانت ملامحه تذكرها بجدها (سميث)، ولكنه أكثر وسامة من جدها. «أي حماقة هذه؟!»، صاحت بداخلها تؤنب نفسها، ثم عادت تفكر فيما ستقوله لهذا المسكين فور استيقاظه. هل ستقول له بكل بساطة: «أنا آسفة لأنني تسببت في فقدان ذاكرتك!»، وفوق ذلك ماذا سيحدث بعد ذلك؟ من بمقدوره التعرف على هويته؟

وفي صباح اليوم التالي، تفاجأت جريت برد فعله عندما أخبرته بما حدث.

«في الحقيقة.. جمال كهذا لا يمكن أن يُتهم إلا بالفتنة». لقد كان يغازلها.

كان يبدو كما لو أنه لا يأبه لما حدث. كان يحادثها بمرح، أو بشيء من البساطة، حتى عندما أخبرها أن بإمكانها الرحيل، رفضت وأصرت على مرافقته حتى يعثر على أسرته أو يتعرف عليه أحد. أخبرته أنها السبب، وأنها ستجد حلًا لهذه المشكلة. ولكن هذا لم يكن السبب الحقيقي وراء اهتمامها؛ فمن اللحظة التي فتح فيها عيناه، شعرت كما لو أن ثمة شيئًا يجذبها نحوه، ربما هيئته، أو طريقته اللطيفة في الحديث وخاصة نبرة صوته المرحة، أو عيونه الفضولية التي تزيد من ضربات قلبها، ثم سريعًا ما يتولد بداخلها شعورٌ بالاطمئنان.

☆☆☆

وبعيدًا حيث هذا الطفل الذي خرج من المركبة الفضائية العجيبة، تم احتجازه في القاعة ذاتها داخل غرفة صغيرة، مصنوعة من البلاستيك المعالج بمادة تحجب الرؤية من الداخل. وفي الوقت ذاته، تم تكليف أساتذة نفسية وخبيرة سلوك، لتجالس هذا الطفل وتقوم بكتابة تقارير يومية بكل ملاحظاتها حول سلوكه.

عندما أتاها هذا التكليف، لعنتهم بداخل نفسها؛ فبعدما خدمت هذه المؤسسة لسنوات طويلة، في النهاية يجعلون منها جليسة أطفال! سألت نفسها: «من يكون هذا الطفل بحق الجحيم؟ أهو نجل رئيس الولايات المتحدة، أم أحد نماذج الاستنساخ السرية التي تعمل عليها المؤسسة».

لم يكن مسموحًا لها طرح الأسئلة، وظيفتها كانت تنحصر في مجالسة الطفل وكتابة تقارير مفصلة عنه. لم تكن تعلم أن هذا الطفل خرج من مركبة فضائية، بل لم تكن تعلم أن تلك المركبة تقع على مقربة من تلك الحجرة الصغيرة. ولكن بمرور الأيام، بدأت تشعر بأن هذا الطفل غير عادي.

تأكد حدسها عندما بدأت تتعامل معه، وترصد أفعاله وردود أفعاله. وعلى الرغم من صغر سنه، وعدم قدرته على الحديث، إلا أن كل تصرفاته كانت تؤكد لها أنه يفهمها ويدرك كل ما تقوله.

كان انطباعها الأول عنه أنه طفل اجتماعي، دائم الابتسام والضحك، والمثير للحيرة أنه لا يبكي أو يغضب مهما حدث. ولذلك كانت كل التقارير التي تبعثها لرئيسها ضعيفة؛ كلها كانت تفيد بأن هذا الطفل يتمتع بنشاط غير عادي يبين بطفل عبقري وذي قدرات ذهنية متفوقة، مع ذكرها لمعلومة وحيدة كانت تكررها في نهاية كل تقرير؛ وهي أن الطفل ينطق حروفًا أبجدية وكلمات غير مفهومة. في بادئ الأمر اعتبرتها عبثًا صوتيًا، ولكن الطفل يكررها بنفس النطق وكأن لها معاني معلومة، في لغة غير معروفة!

لا يزال هذا الطفل _____!

كان الاجتماع سائرًا عندما توقف (ألفريد) عن قراءة التقرير، وهو يلعن هذه العائلة في سره؛ فلقد كان بتوقع أكثر من ذلك. كلماتها تُذكره بابنته وهي نصف ابنها الفاشل. لطالما كره العمل مع النساء، والعلماء أيضًا.

فرك وجهه بيديه، وهو ينصت لنقاشهم المحتدم، الذي لم يكن بمقدوره تحصيل شيء منه سوى أن المركبة قد أغلقت عن تلقاء نفسها بعد خروج الطفل منها، وبالتالي لم يستطيعوا استكشافها من الداخل.

لم يهتم بالاستنتاجات التي توصلوا لها، بقدر اهتمامه بمعرفة كل ما يخص هذا الطفل. وبينما كان منشغلًا في قراءة التقارير الأخرى، ظل ينصت لأحد العلماء: « ربما هذا الغطاء الصخري تم إعداده ليكون جزءًا من المركبة؛ فهذا الغطاء الصخري يبدو كما لو أنه تجميع لفتات وخصيات صخور تم تدميرها في الفضاء وإعادة صهرها وتشكيلها لتتراكم فوق سطح المركبة.. وهذا يعني أن تلك المركبة أشبه بعقل صغير، يمكنه تحصيل جسده بالكامل من كافة المواد المحيطة به، وصياغتها بأي شكل في غضون دقائق. إنها آلية مدهشة، قد نكتشف الطريقة التي بنيت بها الأهرامات ونثبت أنها من صنع الفضائيين ».

قاطعه ألفريد بصوت عميق: «كل ما تقولونه هراء.. نتائج الفحوصات لذاك الطفل، تؤكد أنه إنسان طبيعي وليس ذلك وحسب ».

صمت قليلًا وهو ينظر إليهم بابتسامة صفراء: «بل إن النسبة الكبرى من أصول حمضه النووي تُشير أنه مصري».

(4)

بـــونـــي

أي مكان هذا؟!

فجأة وجد نفسه ملقًى على الأرض، ولا يدري أين عساه يكون!

كل شيء من حوله مبهمٌ، والظلام طاغٍ، فقط كان الضباب وحده، يسبح حوله متموجًا، يشع بأضواء زرقاء باهتة، بعثت في نفسه إحساسًا بالبرودة، وهو ينهض متوجسًا في خوف. إلى أين عساه يذهب، وأيّ اتجاه يسلك. كان رأسه يتلفت يمينًا ويسارًا، يبحث بعينيه عن أي شيء بجده وسط بحر الضباب ذاك، لم يكن يرى أي شيء على الإطلاق، بل لم يكن بمقدوره رؤية جسده، وخاصةً عندما رفع يديه، وبدأ يخطو خطوة تلو الأخرى ببطء وحذر حتى تفاجأ بشيء يعترضه.

كان شيئًا عملاقًا وساكنًا!

«إنها شجرة!»، همس في نهيج وهو يتلمس جذعها الرطب، «ولكن أي شجرة هذه؟!». لم يستطع تخيل مدى ضخامة هذه الشجرة، حتى بدأ الضباب يتبدد من حولها، وينسحب أمامه بسرعة أكبر، كستار مسرحي، مظهرًا هذا المشهد المروع حيث وابل من الشهب الملتهبة، يقترب من الأرض.

شعر كما لو أنه يرى مشهدًا سينمائيًا - بطيء الإيقاع - من موقعه هذا، وكأن ما يراه ليس بحقيقي، ليس حقيقيًا البتة. ظل هذا الشعور ينمو بداخله حتى ارتطمت تلك الشهب بالأرض، لتوقظه هزة عنيفة، أفقدته توازنه، وهو يميل بجسده على الشجرة شاعرًا بالدوار. «اللعنة!»، صاح وهو

يرتجف، لحظة أن لفحته نسمة من الهواء الساخن، جاءت من خلفه. وبينما كان يعتمد على الشجرة، ويعتدل في وقفته، نفاجأ بالضباب وهو ينقشع، كاشفًا كل شيء أمامه، حيث غابة كثيفة، تعج بأشجار باسقة لا حصر لها.

لم تمض ثوانٍ، وتبدد الصمت أيضًا، ليحل مكانه صوت عنيف منتخم. التفت خلفه حيث مصدر الصوت، فتفاجأ بجمرة عملاقة من النار المستعرة، استقرت في الجانب الغربي البعيد، بعدها جرفت صقوفًا من جذوع شجر مشتعلة ومتهشمة.

«أي جحيم هذا؟!» حدث نفسه، قبل أن يتناهى إليه صوتٌ آخرُ عن يساره، على الأرجح صوت بشري، أقرب لصراخ فتاة. خمن ذلك وهو يُصيخ منتظرًا سماعه مجددًا، ولكن تلك المرة سمع لهاثها، وصوتها المبهم داخل رأسه. لا يدري كيف، ولكن كان جليًا أنها تستنجد بأحد كي ينقذها.

وبدون تردد، وجد نفسه يهرول، متتبعًا مصدر الصوت، حتى لمحها من بعيد. كانت تتعدو بين الأشجار، وتصرخ هاربة من شخص ما، خمن ذلك وهو يسرع، باحثًا بعينيه عمن يطاردها. وبمجرد اقترابه منها أكثر، تفاجأ بتعرقلها وسقوطها أرضًا. كانت معالم الذعر جلية على وجهها، وجسدها ينتفض في هلع. بأيديها كانت تحاول التراجع للوراء، وعيناها تحملقان عاليًا، وكأنها ترى شيئًا لا يستطيع رؤيته.

كان صراخها مستمرًا، وعيناه تجولان في كل مكان، باحثًا عن سبب ذعرها. «توقفي عن الصراخ!»، صاح متضايقًا؛ فصراخها كان يزداد دون سبب. حاول الاقتراب منها، ليهدئ روعها ويسألها عن سبب صراخها، ولكنه تفاجأ مذهولًا مما يحدث لها، فكلما كان يقترب، كان جسدها يصغر شيئًا فشيئًا حتى عادت طفلة في السادسة من عمرها. توقف مذهولًا، غير قادر على تصديق ما يحدث أمامه. ولكن ثمة شيئًا آخر لفت انتباهه؛ فتلك الطفلة لم

تكن تراه، ربما بسبب شعرها الأحمر المنبعثر أمام وجهها. هكذا خمن قبل أن يميل إليها، ويمد يده منفاجئًا بأصابعه تنفذ من خلالها.

وكأنها سراب من الضوء!

خاب ظنه فور أن نهضت تلك الطفلة، وعبرت من خلاله، تهرول بسعادة صوب ضوء آت من خلفه. التفت هو الآخر إلى هذا الضوء، فتفاجأ بأنها تقصد صوب نيران النيزك الساطعة. نهض مفزوعًا يلحقها، ولكن نيران النيزك ابتلعتها على الفور، وبنفس الكيفية وجد نفسه يُجذب لا إراديًا، صوب النيزك، وتلك النيران تغمر جسده بوميض ساطع، دامَ لثوانٍ، ليتفاجأ بعدها أنه صار في مكانٍ آخر.

كان الوقت ليلًا والبدر ساطعًا. كانت عيناه تحملقان في السماء، قبل أن ينتبه لذاك المكان المألوف له. لقد كان أقرب شيئًا بالمنطقة السكنية التي يقطن بها، ولكنها عامرة بالمنازل. «بل وأكثر تحضرًا!»، همس داخل نفسه، وهو يلمح الطفلة على مقربة منه.

كانت تقصد صوب طفل صغير يقترب من سنها. اقتربت منه تهز يده، وتحثه على اللعب معها، ولكن الطفل كان ساهمًا لا ينظر لها. مالت عليه وقبلته في براءة، ولكن هذا الطفل لم يرُقْ له ما فعلته، وابتعد عنها متجهمًا. تابعت الطفلة ابتعاده عنها ثم هرولت خلفه، تتبعه في إصرار. كانت تُمسك بيده وبتركيز مرة تلو الأخرى، إلى أن جرى هاربًا منها. فواصلت تقصد خلفه حتى تعرقلت وسقطت باكية. تملكه الغضب من هذا الطفل الذي لم يكترث لبكائها وظل يتحرك مبتعدًا عنها.

ازداد ذهوله عندما وجدها تنهض وتواصل تحركها خلف الطفل، ولكن تلك المرة كان جسدها ينمو ويعود لهيئته الأولى، فتاة يافعة وشعرها الأحمر ينساب على ظهرها بكثافة، ويماثل مع هذا الطفل الذي صار شابًا لحظة أن

أمسك بيدها وهو في أتم سعادته. تابع تحركهما وهما يرتقيان سطح منزل حديث البناء، وذاك الفتى يشير بيده إلى السماء...

«لقد أوشكت.. لقد أوشكت»، صاحت تلك الفتاة ذات الشعر الأحمر، وهي في غاية سعادتها، فاستدار رافعًا رأسه للسماء حيثُ يشير الفتى، فأبصر سحابة نشيدة، كاشفةً عن ثلاثة نجوم تصطف معًا.

«نجوم الجوزاء!»، حدث نفسه وهو يعاود النظر لهما متسائلًا: من يكونان؟!

حاول الاقتراب منهما ليسألهما، ولكنه تذكر أنهما لا يريانه. وللمرة الثانية تبين أنه مخطئ بمجرد رؤيته للفتاة تلوح له وتبتسم. نظر خلفه ثم التفت لها ثانية فوجدها تهبط من المنزل وتسرع إليه في ابتهاج، من شدة ذهوله، وجد نفسه يسرع الخطى إليها، حتى اشتم عبق رائحتها وهي تقف أمامه. كانت رائحتها مألوفة له، سألها عمن تكون فأجابته بنبرة عتاب: «ألا تعرفني؟! إنني بوني».

بوني!

كانت تنظر إليه منهللة الأسارير، وبدوره كان يمعن النظر في عيونها الزرقاء الصافية، يردد اسمها محاولًا التذكر، حتى لمح ذاك الشاب يبتعد. رفع يده ليخبرها، ولكنه فجأة وجد الفتاة تصرخ وتسقط أمامه. كانت تتراجع للوراء زاحفة بكلتا يديها، وعيناها تنظران عاليًا حيث شيء لا يستطيع رؤيته. تلك المرة حاول أنْ يحدثها ويسألها، ولكنها ظلت تصرخ وتهز يده، وتضغط على معصمه بقوة: «لقد أوشكت!». كانت تصرخ في ذعر، وصوتها يتغير إلى صوت زوجته: «لقد أوشكت».

استيقظ يا جراي.. استيقظ!

كانت هذه الكلمات الأخيرة التي جذبته إلى الواقع فور أنْ فتح عينيه على

صباح زوجته. كانت كاثلين راقدة بجواره، ونصرخ متوجعة: «لقد أوشكت يا جراي.. أشعر أنني سأضع الآن». كان صراخها يزداد، وتقبض على ذراعه بوهن، فانتفض من سريره، يُطمئنها أن كل شيء سيكون على ما يرام. أمسك سماعة الهاتف بيد مهتزة، واتصل بالمستشفى، فأجابته إحدى زميلات كاثلين في المستشفى، وأخبرته بأنها سترسل سيارة إسعاف في الحال.

ظل جراي ينتظر في الخارج والقلق يساوره، يقطع الرواق ذهابًا وإيابًا، والقلق يزداد شيئًا فشيئًا. لم يكن قلقًا إلا على زوجته؛ فبعد زواج دام لعشر سنوات لم يشأ الله أنْ تحبل إلا هذه المرة الوحيدة. أخبره الأطباء أنه أمر عادي، ولكنه لم يطمئن إلا لحظة سماعه لصوت المرضة، تبارك له على مولودته الصغيرة.

لم تسعه الفرحة ودمعت عيناه. ظل ينتظر بالخارج متشوقًا، حتى دخل ورأى زوجته وبجانبها ابنته الرضيعة. كانت راقدة بجوارها في هدوء. نظر إليها في سعادة بالغة فراحت تحملق في وجهه. حاول تقبيلها فبدأت تبكي، اشتم رائحة صغيرته ملأ أنفاسه، رائحة مألوفة محببة له، وكأنه اشتمها قبلًا في مكانٍ ما ولكنه لم يستطع التذكر.

تحدثت كاثلين بصوت خافت: «ألم أخبرك بأنها فتاة».

ابتسم جراي: «حمدًا لله على أنه رزقنا هذه الطفلة بعد كل هذه السنوات».

«أووووه.. إنها جميلة للغاية»، دخلت زميلات كاثلين في المستشفى، خلف بعضهن باركن لها. «شعرها كستنائي مثلك يا كاتي!»، «إنها تشبهك كثيرًا كثيرًا!». حدقت لها كاثلين في ابتهاج: «لا إنها تشبه والدها أكثر». بادرتها أخرى:« أووه يا حلوتي.. هل أسميتماها بعد يا كاتي؟».

أجابها جراي وهو يداعب وجنتي صغيرته: «سأترك هذه المهمة الصعبة لأمها».

تأملت كاتلين وجهها الصغير. «إنها جميلة وحادثة.. وعيونها زرقاء». وبعد تفكير دام لدقائق، أطلقت ذاك الاسم الذي راودها بقنة وأثار إعجابها: «بوني.. سنسميها بوني!».

بوني!

استقبل جراي هذا الاسم بهدوء جم وهو ينظر لزوجته، فأومأت كاتلين في ابتهاج: «اسم لائق، أليس كذلك؟ حركة أرجلها تنبئ بفتاة مرحة ونشيطة.. قلة هم من يسمون بوني».

لم يكن جراي منتبهًا لكلمات زوجته...

ففي تلك اللحظة كان قد أدرك مغزى الحلم.

نظرته كاتلين مستفسرة: «جراي!.. لم تقل لي رأيك!».

«بوني!». نطق جراي الاسم وهو يتأمل صغيرته في سعادة بالغة ...

«يا له من اسم جميل.. لفتاة أجمل».

(5)
عودة الذاكرة

فبراير 1991

في نهاية هذا الرواق الضيق، اعتاد سحيت الجلوس، وهو يمدد أرجله فوق أريكة مريحة ملاصقة للنافذة. كان أجمل ما فيها أنها تطل على فناء المنزل الخلفي، حيث حديقة صغيرة تشع بالخضرة والزهور التي صارت هواية جريت مؤخرًا. كان يجلس في ذاك المكان ويستغرق في القراءة، مستمتعًا بأشعة الشمس، التي تنير الرواق بأكمله، وتبعث الدفء في رفوف الكتب على جانبي الرواق. ورغم أشعة الشمس التي كانت تغمره، إلا أن عقله تلك المرة كان يسبح في مكان آخر، جاعلًا إياه ينكمش على نفسه، تأثرًا بأحداث الرواية التي بين يديه، والتي عزلته عن الوسط المحيط به، لدرجة أن صوت زوجته كان يتناهى إلى مسامعه ولا يجيبها، لم يكن يسمح لأي شيء أن يبدد تلك اللحظة والأحداث تتسارع في مخيلته.

ظهرت جريت وهي تقف في أول الرواق، كانت زائدةً في الوزن قليلًا، وبطنها منتفخًا للأمام. كان باديًا أنها حبلى، ورغم ذلك كانت لا تزال متألقة. وجهها يشع بياضًا، وشعرها الأشقر يكاد يضيء وكأنه مطلي بماء الذهب. هزت رأسها وهي تبتسم في صمت، فكما توقعت. كان مستغرقًا في قراءة رواية جديدة. ولكن تلك المرة كان منجذبًا لتلك الرواية بشكل غريب؛ وجهه جامد وعيناه جاحظتان، تمسحان السطور بشكل متلهف.

ابتسمت ما إن وقع بصرها على عنوان الرواية (رفقة الخاتم - جي. أر. أر. تولكين).

سميـــــــث!

ناداه جريت بصوت مدلل يشوبه الإرهاق: «ألم نتفق على أنك ستقلل من قصص الخيال التي تبعدك عن الواقع؟!».

والآن تقرأ لمبتكر الفانتازيا!

لم نتوقع أن يجيبها، ومع ذلك ظلت تنتظره، حتى رفع رأسه، وعلى وجهه معالم الصدمة: «لقد سقط!».

«ماذا؟!» حدجته جريت متعجبة.

كان باديًا على وجهه الحزن الشديد وهو يجيبها: «لقد سقط غاندالف!».

«أووووه!» لم تجد جريت مفرًا من الضحك: «يا له من حدث مثير.. ولكن ثمة مفاجأة في الجزء الـــ ».

«هذا الساحر!». قاطعها في شرود. «غاندالف»، نطق اسمه بنبرة حزينة ثم سكت. حملقت جريت في زوجها الشارد وانتبهت لدموعه المتجمعة في مقلتيه وهو يضيف متأثرًا: «أشعر بأنني أعرفه.. وهو يعرفني جيدًا».

«يا للهول!». لو لم تكن على دراية بمدى تأثر زوجها بالخيال لظنته فقد عقله. اقتربت منه وقبلته: «أخشى فقدانك بسبب الخيال».

استفاق سميث من خيالاته ضاحكًا: «لا تقلقي!.. قبلاتك هي العقار المضاد!». قام بتقبيلها ثانية، ثم تابع وهو يهز الكتاب في يده: «وهذه الرواية بمثابة كنز.. لو أملك المال الكافي لجعلت منها تحفة سينمائية».

انتبه لهندامها متسائلًا. كان باديًا أنها تستعد للمغادرة، فأخبرته أنها ذاهبة لتتقدم لوظيفة سكرتيرة مكتب في مصنع للزجاج. «ثمة طفل على وشك القدوم» قالتها وهي تربت على بطنها، ثم تركته ليعاود اندماجه مع أحداث

الرواية من جديد.

رحلت جريث وهي شاردة تفكر. كانت تشعر بالفخر الشديد، معجبة بهيئة بطنها المنتفخ وهي تتحرك به في الطريق. لم تكن تصدق أنها ستصير أمًا خلال شهور. انفرجت أساريرها وهي تتعجب من عجائب القدر، ومن الشخصية الجديدة التي صارت عليها. كل هذا بسبب (سميث)، الرجل الذي أرسله القدر لها، هكذا أخبرتها مارثا يوم الزفاف.

ولكن بداخلها كانت تعتقد أنه سقط من السماء مثلما كانت تتمنى!

ولعل تخمينها هذا - وإن كان مزاحًا - نابعٌ عن بعض الأمور الغريبة التي يقوم بها زوجها؛ كمثل عبقريته الفائقة، وقدرته العجيبة على إصلاح أي شيء، وبراعته في طهي مأكولات لم تتذوق مثلها قبلًا. كل هذا شيء، وهلوسته وهو نائم شيء آخر. ففي أغلب الأوقات كان يهلوس متحدثًا عن كوكب آخر غير الأرض.

كم من مرة أيقظته متعجبة مما تسمعه، فيبادلها بدوره التعجب ويخبرها أنه لا يعلم شيئًا.

كان يبدو صادقًا، وأحيانًا كان يعلل ذلك بتأثره بقصص الخيال كثيرًا، ويخبرها أنه بالفعل يحلم بأنه يعيش على كوكب آخر غير الأرض، وأنها ترافقه ولديهما ابن. كانت تبتهج عندما يحدثها عن ابنهما، وفي مرة أخبرها أن ابنهما كان ينادي في الحلم بأدم. ولكن جريث كانت تتمنى لو كان المولود بنتًا، وحينها ستسميها إميلي.

كانت جريث شاردة في كل هذه الأفكار، شاعرةً بمزيج من الرضا والسعادة، ولا تعلم ما سيحدث في هذا اليوم ليغير كل تطلعاتها المستقبلية؛ فبعد رحيلها بعدة دقائق، رن جرس الباب ليبدد استغراق سميث مجددًا، هل نسيت شيئًا؟ حدث نفسه، وهو يغلق الكتاب، تاركًا إصبعه عند الصفحة

التي يقرؤها، ونهض ليفتح الباب.

لم تكن زوجته مثلما توقع!

كانت لحظة غريبة حين رأى الطارق، حيث اختلج جسده بقشعريرة، وشعر بأنه يعرفه. كان رجلًا غريبًا، طويل القامة، يرتدي عباءة سوداء غريبة الشكل، وتميزه لحية طويلة ذكرته بـــ .

«بحق الجحيم متى عدت؟»، سأله الغريب بنبرة عتاب وكأنه يعرفه.

تمتم سميث وهو يرمق الكتاب بين يديه: «يبدو أن قصص الخيال ستفقدني عقلي!»، ثم رفع رأسه ينظر إليه. «لو لم أكن على ثقة تامة أن غاندالف شخصية خيالية لقلت إنه سقط وجاء للواقع ليقرع باب بيتي».

ابتسم هذا الغريب، وهو يهم بصعود عتبة المنزل يريد الدخول.

«مهلًا.. أيها السيد!». تجهم سميث وهو يعترضه: «ماذا تحسب نفسك فاعلًا؟».

قال الغريب بهدوء: «أهذه معاملة الأصدقاء؟!».

تفرس سميث في وجهه قليلًا، حتى باغته شعور غامض، جعله يسمح له بالدخول. أغلق الباب وعيناه ترقبان هذا الغريب، الذي تقدم عنه، يخطو ببطء، يتطلع للصور المعلقة على طول الممر، حتى توقف عند صورة لسميث وجريت يوم زفافهما.

«الجميلات يقعن أسيرات قلبك!». قالها الغريب. «وتعشق أنت اصطيادهن دون الاكتراث لنسلك».

«معذرة!». تجاوب سميث معه. «ولكنني فقدت ذاكرتي مؤخرًا.. هل تعرفني؟».

«من المؤسف.. نعم».

«من المؤسف!»، تعجب سميث مصدومًا، ثم انتبه لذاك الغريب، وهو يطلب القليل من الماء.

تردد سميث لثوانٍ وهو يتمعن في وجهه، ثم تركه للحظات وعاد وبيده كأس من الماء، أعطاها له وهو يسأله: «على الرغم من هيئتك و   ». أشار إلى ملابسه: «وملابسك الغريبة.. المهترئة تلك.. إلا أن ملامحك تبدو مألوفة لي، سيد...».

«غاندالف!». ارتشف الغريب شربة من الماء!

«الآن تمزح!». تبسم سميث. «حسنًا سيد غاندالف. لقد أخبرتني - بنبرة آسفة - أننا أصدقاء؛ فماذا تعرف عني؟ .. هل لديك إثباتٌ على هذا .. ربما صورة تجمعنا أو   ».

لدي ذاكرتك كلها!

حدجه سميث في دهشة، لحظة انتباهه لتلك الحركة المفاجأة التي أوشك الغريب على أن يقوم بها، حيث هم برفع كأس الماء نحوه، فصاح وهو يتراجع للوراء: «ماذا ستفعل؟». تخيل سميث أن هذا الغريب سيقذف بقية الماء في وجهه. «أتحسبني فاقدًا وعيي؟».

لم يجبه هذا الغريب واكتفى بالتحديق في عينيه للحظات، ثم - دون تردد - قذف الماء في وجهه، فاندفعت المياه من الكأس، وهي تتضخم بشكل سريع ومثير، ككتلة مائية هائلة، ارتطمت بوجهه وأسقطته أرضًا.

«أجل!». في تلك اللحظة أجابه الغريب بابتسامة عريضة، ولكن سميث كان قد فقد وعيه بالفعل.

ظل سميث يسبح في أحلام قصيرة دامت لدقائق، وفي خلفيتها صوت شبح

يتمتم بكلمات غير مفهومة، سرعان ما استيقظ على آخرها، مدركًا أنْ هذا الغريب من كان يلقيها عليه، وحينها بدأ يتذكر. اعتلت جبهته الصرامة ونظرات مهابة وربما تعالٍ وتكبر.. وأول شيء تذكره هو اسم الجالس أمامه.

«نودري.. أيها المعتوه!». غمغم سميث باسمه.

كان (نودري) جالسًا ينصفح رواية (رفقة الخاتم)، عندما تساءل بنبرة ساخرة بعض الشيء: «لار.. أم مازلت متمسكًا باسم الحداد؟».

نمت عن وجه لار ابتسامة هازئة: «أكان من اللازم أن تغرقني بكل هذه المياه».

جيد أنه لم يكن شيئًا آخر غير المياه!

نهض نودري وهو يلقي إليه بتذكرة بوداي السحرية، فالتقطها لار، وهو يلعن تلك الوسيلة القديمة. «انتظرني عند قمة الهرم الأوسط.. بعد قليل سنتذكر أنْ صغيرك محتجز مع مركبتك العظيمة».

أثارت كلمات نودري ذاكرة لار، حيث شرد فجأة، متذكرًا ما حدث له مؤخرًا. نمت عنه نظرات منجهمة، مخيفة، أثارت حيرة نودري: «سأتركك تسترجع ذكرياتك؛ فعلى ما يبدو إنها ».

في تلك اللحظة، فُتح الباب ودخلت جريث لتقطع حديث نودري، أما لار ففي الحال، تغير صوته وتعابير وجهه وكأنه فقد ذاكرته ثانية، وببراعة تمثيلية، أخبرها أن هذا الغريب يدعي معرفته به. لاحظ سريعًا علامات التعجب على وجهها، وربما الخوف، فهيئة نودري كانت تبعث على الخوف وكأنه حقًا جزء من قصة خيالية. حاولت رسم الابتسامة ولكنها لم تستطع، ثمة شيء غريب كانت تراه في نظرات هذا الغريب، الذي حدج بطنها، ثم بدا متعجلًا الرحيل.

وقف لار يتابع رحيل نودري، وصوت تودري يخاطره بكلمات ساخرة: «إنها فتاة!». تجهم وجه لار، وبدا أن هذه المفاجأة لم ترق له، أو لم يصدق ما يسمعه، فأعادها نودري مؤكدًا: «إنها فتاة.. أيها القائد!».

⭐⭐⭐

ما العيب في الفتاة؟!

كان لار مستغرقًا في أحلامه، وزوجته لا تزال متيقظة تفكر وتستمع لذاك السؤال، الذي ظل يردده وهو نائم، حتى سمعته يُجيب نفسه، بصوت حادٍّ مهيب: «الفتاة تنقل إرثنا لسلالات ضعيفة والقدرات العقلية إلى سلالات تلوث عرقنا، بل إنها تنقل المجد للرعاع وتكون السبب الأول في هلاك الحضارة».

في تلك الليلة ظلت راقدة تفكر فيما حدث، وللمرة الأولى تشعر بأنَّ زوجها متغير للغاية بعد زيارة هذا الرَّجل الغريب ذي اللحية الغريبة، وكأن قلبها كان يشعر؛ فما إن استيقظت في الصباح حتى اكتشفت أنه رحل.

رحل ولم يعد.. ولن يعود!

تأكدت من حدسها بعد مرور أسبوعين على غيابه، وحينها أيقنت أن زوجها لم يكن يهلوس وهو يحلم، بل لم يكن متأثرًا بالخيال كما اعتقدت.

دمعت عيناها وهي تتأمل صورتهما يوم الزفاف. شعرت كما لو أنه مخلوق جاء من السماء ثم رحل بعد أن حقق لها أمنيتها، وصارت أمًا تترقب مجيء مولودها.

اعترتها رعشة فجائية كما لو أنها فهمت لتوها، شيئًا لا يمكن تصديقه.

فكرة مخيفة أرجفتها وذكرتها بأساطير الإغريق القدماء!

(6)

حديث القادة

كان الظلام يرخي ستائره، عندما وقف لار عاليًا حيثُ قمة الهرم الأوسط، وعيناه لا تحيدان عن تمثال (أبو الهول). كان شاردًا يفكر وصوت الرياح من هذا الارتفاع يرن حوله، كصفير مستمر. أغمض عينيه ينمطي ويتنفس بعمق، ثم استدار رافعًا رأسه، وسرح ببصره في تلك النجوم الثلاثة الساطعة.

كان كل شيء ساكنًا بشكل غريب قبل هذه الجلبة الفجائية التي أحدثتها الرمال حول الهرم الأكبر. فجأة بدأت الرمال تزحف صوب الهرم، وتتراكم على جوانبه الثلاثة بسرعة كبيرة، حتى بدا الهرم كما لو أنه يميل ببطء للوراء، متخذًا هيئة قبو تدفنه الرمال ولا يظهر منه سوى الجانب الرابع المواجه للهرم الأوسط. ثوانٍ، ولمع خط ذهبي يقسمه إلى نصفين، والأحجار تتشكل وتدور وتتصاعد، في حالة حركة مستمرة، ليتبين أنها تتراجع في نظام معقد، كما لو أنها بوابة حجرية تُفتح إلى الداخل، حيث أرض واسعة يكسوها عشب أخضر وأشكال مبهمة في نهايتها تظهر كبقع ذهبية باهتة.

كل هذا رآه لار لعدة ثوانٍ قبل أن يلمح ظلًا ضخمًا يعبر تلك البوابة، ويحلق عاليًا ليعود الهرم متخذًا هيئته الشاهقة. لم ينتبه لار لذلك، وعيناه تتابعان ذاك الظل وهو يحوم فوقه. لحظات وشعر بـ(نوري) يقف بجانبه. كان يرتدي عباءته السوداء دائمًا، ولكن هيئته بدت مخيفة بغطاء رأسه الذي يخفي نصف وجهه.

خيم الصمت لدقائق وكلاهما لا يلتفت للآخر. كانا شاردي الذهن، حيث ظل لار يتابع ذاك الظل، الذي اتخذ هيئة طائر عملاق وهو يتوارى خلف

السحب. بينما (نودري) استغرق في النظر لأبي الهول، والعمران البشري المترامي على مرمى بصره.

«مـــصـــر!» همس نودري بنبرة يملؤها الحنين: «كم يشتاق قلبي لأنطق باسم الأرض التي نبت منها نسلنا».

«النسل الذي صار غافلاً ماهيته»، استدار لار وهو يضيف معقباً.

«نحن من تركناهم ورحلنا»، تمتم نودري. «مثلما رحل أجدادنا!».

«بل تقصد قبل أنْ يُطرد أجدادنا.. ويجدوا طريقهم إلى السماء».

«ولماذا لا تقول بعد أن استسلموا لعين الشيطان.. وهربوا كالجبناء!».

«هذه قضية حُسمت منذ آلاف السنين!» تطلع لار إلى السماء في شرود: «لقد صرنا الآن منتمين إلى (ميمصدراء) أكثر من انتمائنا لـــــ ».

«إننا أبناء مصر!»، قاطعه نودري بحدة. «وسيظل انتماؤنا لهذه الأرض العتيقة؛ أرض العظماء».

«العظماء!»، استنكر لار. «تلك العظمة ستظل مطموسة حتى يبيدوا الشياطين». وومضت هالة حمراء حول جسده، ونبرة صوته تتضخم وتتعاظم بالغضب: «إنني أشتمّ رائحتهم في كل مكان.. ورغم ذلك لم يحققوا حلمهم».

همهم نودري يجيبه: «هم أقل من أنْ يحلموا».

«الضياع تظل ضباعاً»، همهم لار هو الآخر ولكن بنبرة متعالية. «لا يدرون أنْ أسود الأرض قد عادت!».

«وحدك!». أزال نودري غطاء رأسه، وهو يرفع زجاجة ماء تجارية. حملق فيها لثوانٍ. «افعل بهم ما شئت وحدك». تجرع منها قدراً هيناً، وواصل

كلامه: «إنها معركة أهل الأرض الآن.. ولا بحق لمن رحلوا عنها أنْ يتظاهروا بأنهم الموقظون.. ولعل هذا التمثال القابع أمامك هو أقصر رسالة لتذكرك».

«لقد تغيرت يا نودري!». قالها لار بحس ساخر. «تتحدث كما لو أنك ».

«لستُ وحدي!». قاطعه نودري. «كل من عادوا هجروا كيانهم الجوزائي.. حتى (إتراس) و(براق) أصبحوا ».

«شياطين!»، قاطعه لار مستهزئًا: «أمرٌ متوقعٌ يا أخي؛ إنهم من الجن.. ماذا كنت تنتظر؟ أنْ يكونوا ملائكة!».

«براق يخطط لكشف أحد الأراضي التابعة لإيخار».

« وكيف سيفعلها؛ وهو أضعف من أنْ يُظهر هيئته للبشر».

«لا تتعجب.. فنفوس البشرية تشتاق دومًا لوسوسة الشياطين».

صمت نودري لحظة أن طرق بعصاه سطح الهرم، فعصفت الرياح لترتفع معها موجة عاتية من الرمال، تلاقت مع سحب حطلت من أعلى كالريح البيضاء، وراحا يلتفان معًا في شكل دائري، تتوسطه فجوة سوداء، ظلت تسحب أحجار الهرم إليها، وتعيد ترتيبها في هيئة درج ينتهي عند عتبتها. تقدم نودري صاعدًا، وتبعه لار في امتعاض.

قال نودري قبل اختفائهما بداخل الفجوة: «لا تستهنْ بما يخططون له ».

في تلك اللحظة التي اختفيا فيها، ظهرت رؤوسهما، وهي تنبثق من حفرة بالقرب من إحدى الجبال بصحراء نيفادا الأمريكية. كانت بقية كلمات نودري تصدح في الفراغ، وكأن شخصًا مختفيًا يرافقهما ويتحدث بها: «لقد بدأ إتراس في استعبادهم.. لقد صارت الحثالة التابعة تسبد العالم، وترى نفسها كالحيتان، التي تعيش في الأعماق».

عقب لار: «حينئذٍ لا نعرف أننا نحن يطفو فوق بحر المجرات».

«بل رعاع تركنا الأرض لهم!»، صحح نودري حانقًا، وهو يدك الأرض بعصاه، فزحف أمامهما بساط طويل من الرمال، تغلب عليه الطبيعة السائلة. كان باديًا على وجهيهما أنهما لا يحبذان الانخراط في هذا الجدال، حيث واصلا سيرهما في صمت، وهما يتقدمان صوب قبو عظيم، ينزلق بميل حاد، والرمال تغمره من أعلى وتحيط بجوانبه، فقط لم يظهر منه بوضوح سوى بوابة حديدية، عظيمة الارتفاع.

غمس نودري عصاه في الرمال وهو يتحرك، فزحف إليها بساط الرمال بسرعة بالغة، وبشكل عجيب، بدأت ذرات الرمال تتداخل مع جزيئات الحديد، لتحيل البوابة إلى كتلة عظيمة من الرمال. قام نودري بقذف القليل من الماء، فتضخمت جرعة المياه إلى موجة عظيمة، ارتطمت بالبوابة، وأحالتها في هيئة كومة من الرمال، راحا يصعدانها، وهما يتسللان داخل القبو.

«لقد قرأت أن المصريين فعلوها دون سحر». قالها لار بنبرة مرحة.

ابتسم نودري وهو يتقدم برفقة لار، ومن خلفهما البساط الرملي، يتبعهما وهما يخطوان فوقه.

قال لار: «صدق أو لا تصدق.. لقد حلمت ببحيرة {زيندا} تجف».

«حقًا؟!»، تجاوب نودري معه، فأومأ له لار بنظرة جادة.

همهم نودري: «إذًا فنبوءة صاد على وشك أن تتحقق».

نظر إليه لار متهكمًا: «لقد أخبرتك أنه حلم!».

«أتقصد حلم صاد؟ أم حلمك!»، بدا أن نودري يستهزئ به - هكذا شعر لار - فردد له لار نص النبوءة: «حين يمتزج الخيال بالواقع، ويصبح الخيال واقعًا، ستتجلى العلامة الأخيرة عن نهاية ذاك الواقع في مخيلتنا وننتهي

فكرة الواقع في أذهاننا، لنيقظ على حقيقة ذاك الاختبار المؤقت بوهم وعينا.. وتلك العلامة هي ».

«لم أسمع بها قبلاً!»، قاطعه نودري وكأنه لا يكترث. واصل لار التحرك، وهو يمعن النظر لأخيه وهو يمهد الطريق من كل العوائق، حتى إنهما مرا بجانب حراس ولم يروهما. لم ينتبه لار لكل ذلك، بقدر صدمته من شخصية نودري الجديدة. كان بادياً كما لو أنه لم يعد يهتم بكيانه الجوزائي أو أنه يخفي شيئاً لا يريد أن يفصح عنه. تبددت أفكاره لحظة أن انتهى طريقهما بقاعة واسعة. توقف منتبهاً لهذا الصوت الغريب الذي أصدرته المركبة، وكأنها ذات آلية استشعار للتعرف على هوية مالكها عن بعد.

التفت ينظر إلى نودري، فوجده يتحرك صوب الغرفة التي يُحتجز فيها صغيره. وقف أمامها نودري، وإذ به يضع يده على البلاستيك، فتبدلت حالته الجامدة وصارت أكثر مرونة، شيئاً فشيئاً حتى صارت كستار شفاف، سحبه بيده وألقاه خلفه بهدوء.

أسرع لار صوب ابنه، ليلتقطه بين ذراعيه، ويقبله من جبهته.

سأله نودري: «إنني لأتساءل عما أصاب والدته؟».

بدا أنّ لار في تلك اللحظة، قد عاد بتفكيره للماضي، ولكنه لم ينطق بما ينتظر نودري سماعه: «حيا بنا!».

أوقفه نودري: «ألم تنسَ شيئاً؟».

أجابه لار بنظرة شاردة رافعاً يده اليسرى، ثم بسط كفه، فارتفعت المركبة بضعة إنشات، وبمجرد أنْ لوح بكفه على نحوٍ سريع، ازداد دوران المركبة حول نفسها، وبدأت تتناقص في الحجم وهي تنطلق في سرعة خاطفة صوب يده.

استقرت المركبة في راحته بعدما صارت كرة صغيرة سوداء معتمة. وضعها في جيبه، وهو يلحق بـ(نودري) الذي تقدمه وذاك السنار الشفاف، يخلط ببساط الرمال، ويتصاعدان معًا جهة السقف، في هيئة منحدر صاعد أخذ بتشكل، ويحتك بالكتل الإسمنتية، ليمتد أمامهما ممر طويل يقودهما إلى خارج المبنى.

سخر منه لار وهو يقبل ابنه قائلًا: «حيلك لم تتطور منذ تركتنا».

ظن نودري صامتًا حتى عبرا الممر، لينظر إليه بعدها في جمود: «وبدونها لكنت الآن فاقدًا لذاكرتك وتحسبني غاندالف الرمادي». اقتعل لار الضحك، ثم صمت منصتًا لطفله الذي استيقظ وهو يهمس: «ماما.. ماما».

«إنه يفتقد والدته!». لمس نودري وجنته بأصابعه.

أجال لار النظر فيما حوله، وبتعابير جامدة نظر لصغيره، يتأمله في شرود: «وقريبًا سيفتقد كلينا!».

(7)
الابن الثالث

يونيو 1991

لم يكن قد مر على ولادة بوني عدة أشهر، وعادت كاثلين إلى العمل في المستشفى. كانت هي وجراي يتبادلان مهمة الاعتناء بصغيرتهما، حيث أثناء ذهابها للعمل، تمر على متجر زوجها وتعطيها له، ومن ثم ينتظر عودتها ليعودوا -هم الثلاثة- معًا إلى المنزل. أو أحيانًا هو وابنته فقط عندما تهاتفه كاثلين، وتخبره أنها ستتأخر في المستشفى.

همس جراي وهو يقف أمام عتبه منزله: «لقد وصلنا إلى المنزل يا فتاتي الجميلة!». فتح الباب، وعلى ذراعه اليسرى يهدهد صغيرته، يُحدثها وهي تجاوبه بنغمة بكائها المتكررة التي لا تتوقف.

وبمجرد دخوله للمنزل، بدأ صوت بكائها يجتاح الهدوء في أركان المنزل بأسره. دقائق، ودقت الساعة الثانية عشرة بعد منتصف الليل. تطلع إلى تاريخ اليوم، إنه التاسع عشر من يونيو. اليوم أصبح عمر بوني أربعة أشهر ويومين. كانت ابنته تنمو بسرعة، وملامحها الجمالية تزداد وضوحًا. كانت عيناها تشبهان زرقة وشعرها الكستنائي يزداد طولًا.

مرت نصف ساعة، وبكاء ابنته يزداد. «أين أنت يا كاثي!» حدّث نفسه وهو يهدهد صغيرته. زوجته بعدما هاتفها، أخبرته أنها أنهت ورديتها، وأنها في الطريق الآن. تمعّن في صغيرته بطمأنتها: «ماما قادمة.. ماما قادمة».

كلما كان يداعبها، تصمت لدقائق وتتأمله بعيونها الدامعة، ووجنتاها تلمعان

-بفعل دموعها- بحمرة كالشفق. كانت هيئتها تثير إعجابه فلا يقدر على مقاومة تقبيلها، فتعاود البكاء من جديد، فيضمها إلى صدره ويستمر في هدهدتها برفق متمنيًا عودة أمها في أسرع وقت.

وعندما دقت الساعة الواحدة، لاحظ أن بوني تهدأ وحدها ثم تعاود البكاء، وكأنها فتاة كبيرة تبكي لسبب ما يجهله هو. شعر جراي بهذا، ولكنه لم يكن يطرأ على عقله أو عقل أحد في هذه الليلة، أن ثمة شيئًا آخر كان يحدث، وسيظل يحدث حتى طلوع فجر اليوم التاسع عشر من يونيو. إنه اليوم المنشود الذي قد يمر ولا يعي به أحد على هذه البسيطة، وربما لن يتذكره أحد إلا بعد عقود جمة. لماذا كان منشودًا لهذه الدرجة، حتى إن كاثلين لم تكن تدري أنها جزء بسيط منه؟ فبعدما هاتفت كاثلين زوجها وأخبرته أنها قادمة، وجدت زميلتها تخبرها بأن هناك حالة (ولادة) طارئة. لم يكن هناك سواها هي وزميلتها، ولهذا أجبرت على أنْ تساعد زميلتها، ولكنها فور أنْ رأت جارتها في المنطقة، هي التي على وشك الولادة، شعرت بمدى السعادة وهي تشارك في عملية توليدها.

لقد كانت كاثلين تتمتع بشخصية رائعة، خلوقة وتحب جيرانها، خاصةً تلك السيدة، التي تمنت أنْ تجمعهما الصدافة يومًا، فكلما كانت تنظر في وجهها تشعر بالاطمئنان، بل ويراودها شعورًا غامضًا كما لو أنها رأتها قبلًا ولكن متى؟ لا تتذكر!

في ذات الوقت، كان يقف زوج هذه السيدة، ذو الملامح العربية الواضحة (صلاح)، ببشرته التفحية، ولحيته الخفيفة المتدلية من ذقنه، كان يمسك بكلتا يديه، فتاتين تنظران له في قلق متبادل. قالت الابنة الكبرى (سارة) التي كانت تشبه والدها كثيرًا: «هل أمي بخير يا أبي؟».

أومأ لها الأب بطمئنها، فتابعت أختها الصغرى (منى) ذات الشعر الكستنائي: «أتمنى ألا يكون صبيًا. أنا أكره الصبية!».

«صبي أو فتاة»، ابتسم صلاح بجيبها، «هذه مشيئة الله يا صغيرتي».

قالت سارة: «سيكون صبيًا! أنا أعلم ذلك ». توقفت سارة عن الحديث لحظة رؤيتها لذاك العجوز، الذي ظهر يهرول في الممر نحوهم، وفي الحال تركت يد والدها، وهرولت إليه أولًا لتتبعها مني تناديه بصوت عالٍ: «جدي.. جدي».

أمسك (نوح) الصغيرين واقترب من صلاح، لقد كان قلقًا للغاية بعدما أيقظه صلاح وأخبره عبر الهاتف، أن ليلى على وشك أنْ تضع، ظلوا ينتظرون بالخارج، حتى دقت الساعة الواحدة والنصف، وحينها جاء المولود الثالث وهو يطلق صرخته الأولى، ليعلن عن مجيئه للحياة.

«مبارك لكم.. إنه ولد». خرجت كاملين منهللة الأسارير، وهي تبلغهم بهذا الخبر، فهللت سارة وأخذت تكبر أخيها، بينما ابتهج صلاح ودمعت عيناه لسعادته بهذا الخبر، على عكس نوح الذي لم يتأثر بسماع الخبر، قدر تأثره بوجه كاملين.

سرت قشعريرة وهو يحدجها، لقد كانت تشبه !

نظر في الأرض مغمضًا عينيه محاولًا إخفاء خوفه. لوهلة نسي أمر ابنته ونسي كل ما حوله.

لقد كانت تشبه الملكة راقدًا!

«ولكن لا.. إنني أتوهم»، همس بطمئن نفسه.

لم يرفع رأسه إلا عندما تركتهم كاملين، وهرعت إلى الهاتف لتطمئن جراي، حيث أخبرته بما حدث وأنها قادمة في الحال. سألته عن بوني، فتعجبت لحظة أن أجابها بأنْ بوني تضحك ومنهللة الأسارير! فجأة صارت هذه الليلة مليئة بهيجة لم تكن ظاهرة منذ ساعات. وأول شيء فكرت فيه هو التوجه إلى

غرفة ليلى، لتبارك لها.

«إنها الغرفة رقم (19)»، أجابتها زميلتها، فتوجهت كاتلين إليها على الفور. كانت أسرتها الصغيرة تلتف حولها، والجميع سعيدين بهذا الرضيع، وخاصة هاتين الصغيرتين، اللتين التفتا حوله، وأخذتا تتأملانه وهو بتأملهما. «مبارك لكم هذا المولود الجميل!». كانت ليلى سعيدة برؤيتها، حيث ابتسمت لها وهي في غاية سعادتها: «شكرًا لك حبيبتي». نظرت لزوجها وأخبرته عن تشجيعها لها وطمأنتها داخل غرفة العمليات. بدت كاتلين محرجة فتهربت بسؤالها عن الاسم الذي اختاروه لوليدهما.

«أمجد»، صاحت به سارة الصغيرة في سعادة، لتضيف ليلى بعدها: «لقد اختار والده له ذاك الاسم الرائع».

ابتسمت كاتلين: «إذًا أظن أنّ أمجد سيذهب بصحبة بوني إلى المدرسة وسيكونان معًا في الصف ذاته».

قالت ليلى: «كم هو محظوظ! من المؤكد أن بوني جميلة مثلك. كل أقرانه سيحسدونه على أنها صديقته».

نظرت ليلى لوالدها عندما لاحظت أنه صامت وسارح ببصره في وجه كاتلين: «إنها السيدة كاتلين يا أبي.. جارتنا هي وزوجها السيد جراي.. كنا نعرف بعضنا ونتشاور معًا ونحن نتسوق في كثير من الأحيان».

«حقًا!». ابتسم نوح باهتمام، وتصنع الدهشة وهو يومئ برأسه لها شاكرًا. كانت تلك الابتسامة تخفي خلفها، ذعرًا تزايد لحظة أن سمع اسم (جراي). وكأنه كان ينتظر سماع اسمه ليتأكد مما اعتقده منذ أول لقاء بها.

جاءت زميلة كاتلين، تطل من باب الغرفة، تعتذر بلهجة متلهفة: «نحن في حاجة لك يا كاتلين.. الحالة في الغرفة المجاورة على وشك أن تضع هي الأخرى».

«أووووه»، فهتفت كاثلين في عدم تصديق، «مستحيل»، ثم تركتهم وهي تبارك لهم مجددًا وتهرول خلف زميلتها.

مرت دقائق، وبارك نوح لابنته، وأخبرهم أنه سيذهب لإحضار هدية قيمة، ولكنْ في نيته شيئًا آخر كان يجب فعله!

خرج نوح من الغرفة، وعيناه ترقبان كاثلين وهي تهرع صوب غرفة العمليات، لم يكن يدري أن سكرتيرة مكتبه هي التي أوشكت على وضع مولودها، الذي انتظرت مجيئه للحياة وحدها. كانت ولادة متعسرة، ولكن المولود كان سليمًا وفي كامل صحته. كانت فتاة رائعة الجمال، نسخة من والدتها، دخلت إليها كاثلين وجلست معها لدقائق، تبارك لها، كانت تشعر بما تمر به تلك السيدة، فمنذ أن جاءت ليلة البارحة بمفردها، لاحظت أنه لم يأتِ أحدٌ ليزورها.

سألتها كاثلين: «أين والد الطفلة؟!»، وندمت بعدها على نفوهها بذاك السؤال، حيث لم تجبها جريت في الحال، وظلت تمعن النظر إلى ابنتها، دمعت عيناها، قبل أن تجيبها بصوت عميق، كما لو أنها تتحدث الصدق عينه...

لقد توفي!

لاحظت كاثلين، مدى الحزن والوحدة التي تحيط بها، وخاصة عندما أجهشت بالبكاء، وأخذت تتحدث إلى ابنتها بصوت متألم: «قبل أنْ يأتي والدك، كنتُ وحيدة يا صغيرتي.. ولكنه الآن قد رحل.. رحل بعدما ترك لي أجمل هدية في حياتي كلها». كانت كاثلين عني وشك سؤالها عن الاسم الذي اختارته لها، ولكن جريت سبقتها بالإجابة وهي تحدث صغيرتها: «من اليوم ستكونين ابنتي وصديقتي.. ورفيقة حياتي يا (إميلي)».

(8)
زيارة غير متوقعة

شرد جراي في صورة انعكاسه على زجاج النافذة. بعد مرور كل هذه السنوات، لم يتغير شيء في وجهه سوى تلك النظارة التي ارتداها مؤخرًا، بعدما صارت قراءة الكتب هوايته الأساسية. سرح ببصره في السماء، وهو يربت بحنو على ظهر صغيرته، التي غرقت في نوم عميق، بعدما ظلت تشاكسه وهي في غاية ابتهاجها، لسبب مجهول. كان ينصت لنغير أنفاسها الدافئة، وهي تداعب رقبته. ثمّة شيء ذكره في تلكَ الساعة بذاك الماضي البعيد.

«إنه شعور العودة إلى الوطن!». لم يزل يذكر كلمات نوح حينما عادوا إلى هذا الكوكب الأزرق، وخاصة تلك اللحظة ما إن تنفس هواء الأرض العليل، ووقعت عيناه على أهرامات الجيزة العظيمة. تهللت أساريره وهو مغمض العينين، فلم يكن يتصور يومًا أنه سيعود إلى كوكب الأرض، ويصير جزءًا من هذا الوطن الذي لم يولد على أرضه.

فجأة تبدد شروده وانتبه لرنين الجرس. تطلّع إلى الساعة. لقد كانت الثانية والنصف صباحًا. تعجب كيف لكائن أن يقرع الجرس. «هل نسيت المفاتيح؟!». تقدم ببطء حتى لا يوقظ ابنته، وقام بفتح الباب.

تصلب للحظات، لا يصدق نفسه. لقد كان نوح هو من يقف على عتبة بابه.

«سيد (إر-نووا)!». تمتم جراي باسم نوح الجوزائي، لتظهر دهشته بمظهر السؤال؛ فملامح نوح كانت قد تغيرت بعض الشيء، وخاصة شعره الذي اجتاحه اللون الأبيض بوضوح. تهللت أسارير جراي واجتاحه السرور، لحظة

أن أجابه بابتسامته المميزة، تلك الابتسامة التي لم تتغير قط منذ أن كان جنديًا محاربًا تحت قيادته في معركة (مض-إلر). تلك المعركة التي فقد فيها أمل النجاة، حتى جاءته ابتسامة القائد الحاملة، يخبره أن شعب نودري سيعود للأرض عما قريب، ولكنه لم يصدق.

لم يصدق إلا في هذه اللحظة!

تمنى لو يعانقه، ولكن بوني كانت تحول دون أمنيته. مد يده وصافحه بشوق بالغ ودعاه للدخول. «كيف حالك يا سيدي؟». شعر جراي وهو يتأمل قائده، بأن سنين طويلة قد مرت منذ يوم وداعهما. هل لذلك علاقة بأرض إيخار؟ راودته هذه الفكرة؛ فعلامات التقدم في السن لم تظهر عليه مثلما ظهرت على نوح.

تحدث نوح يجيبه: «بخير.. لقد ظننتك ستستقر في إيخار!».

«سبع سنوات!»، أجابه جراي، «ومن ثم رحلت أنا وكاثلين.. لقد صارت إيخار ملكًا لنسخة الآن».

أومأ نوح في صمت؛ فلقد كان متوقعًا أن إيخار لن تظل كما تركوها. «لقد رأيت كاثلين في المستشفى.. ابنتي ليلى كانت تضع مولودها الثالث.. أنجبت ولدًا وأسمته (أمجد)».

تهللت أسارير جراي: «مبارك لك يا سيدي.. إنه لاسم رائع».

«ومبارك لك ابنتك الصغيرة ». سكت نوح، وهو يتأمل ابنته النائمة.

«بوني!»، أجابه جراي في سعادة بالغة. «لا تعلم يا سيدي مدى سعادتي برؤيتك.. كم من المرات التي اشتقت فيها لرؤيتك.. حتى إنه مؤخرًا حدث أمر غريب معي.. تمنيت أن أخاطرك به ولكنني تذكرت أنك ».

«لا تقلق.. إنني أعلم!».

« تعلم!»، تعجب جراي. «كيف؟»، خمّن سريعًا أنّه يقصد شيئًا آخر.

«إنها تشبهها كثيرًا!»، أجابه نوح، فتجمدت تعابير جراي وهو يستفسر متعجبًا: «عمّن تتحدث يا سيدي؟».

أجابه نوح: «زوجتك كاتلين.. من يراها الآن فسيجزم أنها ابنة رافانا».

«كاتلين ابنة روا!». تعجب جراي بادياً على وجهه الارتباك، وربما الصدمة؛ فكل الأمور الغامضة التي حدثت معهما طوال هذه السنين، صار لها تفسير منطقي الآن. ظل صامتًا لثوانٍ. لم يكن مقتنعًا أنّ زوجته هي ابنة الجوزاء القاتلة: «إنني لم أر الملكة رافانا قط.. ولكن الجميع على يقين من أنها قُتلت على يد أركاسيا».

طمأنه نوح: «إنه مَحض تخمين.. وبالفرض أنها ابنة روا.. ما الخطأ في ذلك، أنت تعرف أن ».

«ولكن حفيدتها؟!»، قاطعه جراي، وسكت بادياً على وجهه الخوف.

نظر نوح إلى هذه الرضيعة: «لا تقلق.. نسل الجوزاء لا علاقة له بالدم».

«لقد حدثتني قبل مبلاها»، قالها جراي بصوت قاطع، عم الصمت للحظات، ثم واصل حديثه: «رأيتها في منامي، تشير نحو السماء، هي وقرينها حيثُ نجوم الجوزاء الثلاثة».

«لا تهول من الأمر.. إنه مجرد !»، قال نوح.

أجابه جراي: «لا يا سيدي.. إنني لا أهول من الأمر.. ثمّة أشياء عجيبة تحدث معي منذ عودتنا إلى الأرض.. لقد رحلت عن إيخار ظنًا أنها موبوءة بسحر غابة (تاث).. لقد تغيرت إيخار تمامًا! لقد صارت ملعونة.. عقد كامل أنا وكاتلين متزوجين حتى فقدت أمل الأبوة». صمت لوهلة: «وبالفرض لو

تغاضينا عن كل هذا.. فالأمر الذي لا يمكنني نسيانه أبدًا أهم بكثير.. أمرٌ في غاية الخطورة والأهمية».

تولدت حالة من الصمت، والتقاء النظرات...

«لقد رأيت لار!». قالها جراي بصوت قاطع جعل الصمت يغشى المكان كما لو أنه ليل حالك لا مفر منه.

«أخبرْ كائلين أنْ تحسن تغطيتك وأنت نائم!» قالها نوح بنبرة ساخرة، انتهت بضحكة مشتعلة؛ فكافة الجوزائيين يعلمون أن القائد (جي أي لار)، هو أول من اقترح الرحيل عن الأرض، وأقسم أنه لن يعود إليها أبدًا.

ابتسم جراي قائلًا: «لم تتغير يا سيدي.. مازلت تمزح وقت ارتباكك». ثم تغيرت معالم وجهه وبدا أكثر جدية...

ولكنني رأيته حقًا!

تابع جراي بنبرة جادة ومحادثة: «أمتلك متجرًا لبيع الكتب بالقرب من هنا.. ومنذ شهور تفاجأت به يدخل المكتبة.. لقد صعقت وتزلزلت حينها.. وكأنك رأيت عفريتًا، هل تعرفني؟ هكذا قال لي بصوت ساخر، عندما لاحظ الذعر على وجهي.. لقد كان متواضعًا بشكل غريب وكأنه يتقمص شخصية غير شخصيته.. مسليًا للغاية، ومرحًا أيضًا. من يرَه يجزم بأنه ليس هو ولكنه القائد (جي أي لار) عينه.. لقد قام بشراء العديد من روايات الخيال، وأخبرني أنه سيعود مجددًا لأنه يعيش بالقرب من متجري. كان باديًا في كلماته أنه لا يعلم المنطقة جيدًا فاستنبطتُ أنه انتقل إلى هنا حديثًا.. تردَدَ على متجري مرة أخرى فقط ولم أره بعدها، في تلك المرة لم تأتني الشجاعة لأسأله عن اسمه، لقد كان سريع الملاحظة بشكل مخيف، لدرجة أنه أحس من نظراتي أنني أعرفه حقًا، فأعاد سؤاله، ولكن تلك المرة أضاف معلقًا أنه فاقد لذاكرته ».

«إن كان لار قد عاد!»، قاطعه نوح في شرود متذكرًا حادثة النيزك. «فهذا يعني أن جريت محقة!».

«من جريت؟!».

أجابه نوح: «إنها سكرتيرة مكتبي.. لقد كانت تعمل مذيعة قبل إيقافها عن العمل بسبب إذاعتها لحادثة كرة النار الغامضة.. لقد أخبرتني أن الحكومة حاولت إخفاء أي أدلة تنفي أنه نيزك.. لقد كانت واثقة من أن الأمر يتعلق بمؤسسة (جي. أرلام) وأنها السبب وراء ».

صمت نوح فجأة. «يا للهول»، همس مصدومًا وكأنه تذكر شيئًا آخر. «كيف لم أفكر بذلك؟ هذه المؤسسة كانت ملكًا للقائد لار قبل رحيلنا».

«حقًا!» تمتم جراي: «ولكنها تغيرت الآن وصارت (أ.د.ميملار) بعد وفاة (ألفريد أدلتشرو)».

«أجل! لقد تغير اسمها عندما تولى هذا الإسكافي إدارتها».

«إذًا هذا الاسكافي هو لار عينه».

«لا أعلم يا جراي.. ولكن ظهور شخص مجهول لا ينتمي لنسل أدلتشرو أو دبركفلو.. وينتقل إليه الحصة الأكبر من أسهم المؤسسة، لهو أمر يثير الشكوك فعلًا»، زفر نوح بحرقة: «اللعنة.. لقد اعتقدت أنني نسيت كل ما يتعلق بحياتي السابقة!».

صمت قليلًا ثم استأنف وهو يمسح وجهه بكفيه: «لا أحد يعلم ما الذي يحدث بالضبط.. الأفضل في هذه الحالات هو عدم التفكير كثيرًا.. وكل ما عليك فعله الآن هو أن تحافظ على زوجتك وابنتك جيدًا».

أومأ جراي دون كلمة واحدة، فنهض نوح يصافحه مودعًا: «ومن الآن فصاعدًا سنلتقي في متجرك».

(9)

إميلي سميث

مضت السنوات سريعًا، ولعلها لم تكن بالسرعة الكافية، لتطوي كل هذه الأحداث الماضية، على الأريكة ذاتها، في ذاك الرواق المضاء بنور الشمس الزاحف عبر تلك النافذة في نهاية الرواق، تلألأت البشرة البيضاء الناعمة، لتلك الطفلة الصغيرة ذات العيون العسلية وشعرها الأشقر الذهبي، الذي ينسدل على وجهها متبعثرًا. كانت إميلي ترتكن بكفيها على حافة الأريكة والكتب أمامها منتثرة، وبخط أهوج، تحاول بسرعة إنهاء واجباتها المدرسية.

اقتربت جريث وهي تزم شفتيها وتنفث غيظها. «ألم أخبرك البارحة أنْ تُنهي واجبك». وضعت صينية بها كوب من الحليب وشطيرتا جبن وعربي، وانكأت على ركبتيها ممسكة بشعر ابنتها، تجمعه: «بدلًا من مكوثك أمام ألعاب الفيديو طوال اليوم، كان بمقدورك إنهاء واجبك».

وكأنها تُحدث نفسها!

لم تحبها إميلي، ولعل جريث كانت معتادة على ذلك، حيث واصلت كلامها وهي تمشط شعر صغيرتها، وتعقده على شكل ذيل حصان، بينما أخذت إميلي تتناوب بين الشطيرة وكوب اللبن بيد، وبيد أخرى تواصل إنهاء واجبها بشكل أسرع.

«هل أجد مهمل مثلك هكذا؟!»، طرحت جريث هذا السؤال واثقة من أنها ستجيبها. كانت تعلم أنْ ابنتها متأثرة به منذ أنْ كانا طفلين، يلهوان معًا في أروقة المصنع.

تمتمت إميلي نجيبها: «راي.. إنه راي يا أمي.. لقد أخبرتك مائة مرة.. إنه يفضل اسم راي أكثر».

«لم أقتنع يومًا بهذا الاسم.. ثم ما علاقة اسم راي بأمجد؟».

«لقد سألته ذات مرة.. وأخبرني أنه سرّ لا يمكنه البوح به».

هذا الغبي هو السر نفسه!

اعترضتها إميلي: «لا تتحدثي عنه هكذا». ولكن جريث واصلت وكأنها لم تسمعها: «لا شك في أنه ولد لطيف ولكن كل شيء فيه غريب.. وكل هذا شيء، وكونه يعيش مع جده منذ صغره شيء آخر. كيف تتحمل والدته ذلك؟».

أجابتها إميلي: «ربّما لأنه متعلقٌ بجده كثيرًا».

قالت جريث: «ليس هذا بسببٍ يا صغيرتي.. السيد نوح طوال الوقت منشغلٌ، وهذا سيؤثر فيه - إن لم يكن قد أثر فيه - وصار انطوائيًا ومفتقدًا لمحبة الأم والـــ ». ترددت قليلًا ثم نطقتها بخفوت: « أب!».

«راي منعزلٌ بالفعل»، أجابتها إميلي. «لأن الجميع يتجنبونه لكونه عبقريًا، ومختلفًا عنهم.. بغض النظر عن خياله الواسع الذي يجعله في كثير من الأحيان غير واقعي، حينها تجدين التلاميذ يسخرون منه معتقدين أنه غبي أو ضعيف الفهم ولكنه ليس كذلك. إنه فقط يرى كل شيء من حولنا بشكلٍ آخر».

ابتسمت جريث، وهي تتابع الإنصات لابنتها، فكانت على يقينٍ من أنها بمجرد الحديث عن أمجد، لن تتوقف!

أتعلمين يا أمي؟!

همهمت جريث إشارة لإنصاتها.

قالت إميلي: «ربما رأى نفسه صار على اقتناع تام بأنه فتى غريب.. كل أفعاله تفصح عن ذلك.. سخرية التلاميذ منه جعلته يرى عبقريته وكأنها لعنة ألصقت به.. إنني أشعر به، ولكنه لا يفصح عن ذلك. إنه كتوم يحاول إخفاء مشاعره والتظاهر بأنه لا يأبه لسخريتهم.. إنه ( ).. لا أتذكر الكلمة التي تصف شخصيته المتغيرة».

متناقض!

«أجل هذه هي!». ابتسمت إميلي وهي تواصل حديثها: «إنه متناقض للغاية؛ تارة يصر على النجاح وتارة أخرى يتراجع لأسباب تافهة.. لقد عرفت أومن بأنه لا يستطيع التوقف عن الابتكار لأنه وُلد مبدعًا وموهوبًا به، وفي الوقت ذاته يخشى النجاح حتى لا يكون مختلفًا عن أقرانه». سكتت قليلًا، ثم أضافت في امتعاض: «إنه فتى تعيس.. التلاميذ يسخرون منه على الدوام.. ولم يزل مصرًا على النجاح.. لَدومًا ما أخبرته أنها سبب فشله، تلك الفتاة التي تدعى بوني!».

نطقت إميلي اسمها في امتعاض شديد. «إنه على الدوام يسعى لإبهارها.. يبذل قصارى جهده من أجل الفوز بإعجابها.. وهي بدورها تسخر منه هي وصديقها الأحمق ديريك.. أحيانًا يتملكني الغيظ وأشعر كما لو أن هذه الفتاة أجمل مني بشكل ما».

قالت جريث وهي تقبل رأسها: «إنك أجمل فتاة رأتها عيني يا صغيرتي!»

«حقًا؟!». قالتها إميلي وكأنها لا تصدق ذلك من كثرة ما يردده زملاؤها عنها. تطلعت إلى صورة انعكاس وجهها على زجاج النافذة، وخط حليب أبيض مطبوع فوق شفتيها البرتقاليتين. لم تكن إميلي تشكك في جمالها، بل كانت تمقته، لدرجة أن معلمتها في المرحلة الابتدائية، كانت تحسدها على جمالها،

فأخبرتها ذات يوم أنها تتمنى لو كانت قبيحة؛ فالجمال لم يحقق لها مبتغاها.

«لقد تمنيت أن يبادلني الإعجاب». تمنت إصبلي أن تقول ذلك، ولكن بدلًا من ذلك، عاودت الانخراط في إنهاء واجباتها وهي تقول: «إنني أغار عليه على الدوام وأعتبره أخي التوءم الذي يشبهني في كل الصفات حتى هو بالمثل يتعامل معي هكذا.. بل إنني في كثير من المرات أراه في منامي وهو يحتضنني بقوة ويطمئنني حتى ».

قهقهت جربث وسط حديث ابنتها، ثم ألجمها الصمت فجأة وهي تستمع لكلمات ابنتها الأخيرة: «حتى أحسبه والدي!».

لم تستطع جربث التجاوب مع صغيرتها، بل وتوقفت عن تضفير شعرها، وسرحت في تلك اللحظة البعيدة، حيث باغتتها فجأة تلك الذكرى وكأنها البارحة، تلك الذكرى عندما ارتكنت على الأريكة وقبلت زوجها وهو يقرأ.

«أمي!». أيقظتها إميلي من حالة الشرود. «فيم أنت شاردة؟».

تصنعت جربث المرح بسرعة، وهي تمسح دمعة ثقيلة، فرت من عينيها خلسة. وبسرعة أنهت تضفير شعرها، وهي تحتضن صغيرتها البائسة، التي تبحث عن والدها في أحلامها بينما هو في الحقيقة بمفرده من وجودها.

(10)

صديق جديد

لم يكن كل هذا الحشد لرؤية عبقرية ما يقدمه (أينشتاين الغباء)، ذاك الاسم الذي اشتهر به (راي) بين تلاميذ المدرسة لعدة أسباب، من أهمها أنهم يعتقدون، أنه يتعمد إهمال شعره وإطالته ليبدو كألبرت أينشتاين، ولكن الحقيقة أن راي لا يهتم بمظهره على الإطلاق، حتى إن ملابسه دائمًا ما تكون شبه بالية، فمصروفه الشخصي وكل النقود التي تقع في يده، يضعها في مشروعه الوحيد (السيارة الطائرة). الجميع يعرفون ذلك منذ المرحلة الابتدائية، فأغلبهم انتقلوا للمرحلة المتوسطة معًا، ولا يزال راي مصرًا على استكمال محاولاته، التي لا يعبؤون بنتائجها بقدر انتظارهم للحظة السخرية والضحك في كل صباح قبل بدء يومهم الدراسي الممل.

كان التلاميذ يلتفون حوله، يتهامسون فيما بينهم في انتظار اللحظة الحاسمة التي يفجرون فيها ضحكاتهم، على عكس تلك الفتاة المتوسطة القامة، ذات العيون الزرقاء، والشعر الكستنائي المسدل على كتفها اليمنى، كانت جوني الوحيدة التي لا تجد الأمر مضحكًا، حيث ظلت تتأمله في صمت، وهو بالمثل كان يسترق النظر نحوها...

صاح راي ليجذب الأنظار حوله: «إنها المحاولة رقم 469 لسيارة (النسر المخادع) في الطيران».

سخر أحدهم: «لقد بدأ يساورني الشك في أنك أسميته بالمخادع؛ لأنه لا يطير».

قهقه التلاميذ ليضيف آخر: «ربما لقب النسر الأحمق، سيكون أفضل ولائق

يا راي».

«أؤكد لكم أنها ستنجح تلك المرة!» قاطعهم راي بصوت جادٍ ليسكتهم، ورغم ذلك انفجر الجميع في الضحك أكثر؛ فتي كل مرة، يردد الكلمات ذاتها، وفي النهاية يفشل فشلًا ذريعًا.

ظل راي صامتًا يتأملهم حتى لزم الجميع الهدوء، فانخرط راي في الشرح بكل ثقة: «تلك المرة قمت بتغليف السيارة بغشاء مطاطي، متصل بخزان صغير مملوء بخليط من الغازات من أهمها غاز الهيليوم لتتحكم في وزن السيارة وليس ذلك وحسب بل قمت بـ...

بدأ شرحه يجذب انتباههم بمجرد أن وضع سيارته الصغيرة على الأرض، ليتحكم بها عبر جهاز التحكم عن بعد، وطوال تجهيز العرض كان يشرح طريقة تصنيعه وتهيئته لكل جزء في السيارة بالإضافة إلى جهاز التحكم أيضًا. ربما كان شرحه ممتعًا ولا يستمع له أحد، ولكن شكل السيارة والحركات التي تقوم بها، كانت تستحوذ على كامل انتباههم. فعلى الرغم من حجم السيارة وطولها الذي يتجاوز أربعين سنتيمترًا، إلا أنها كانت تتحرك وتدور بسرعة ومرونة كبيرة.

كان هيكل السيارة يطفو في الهواء كلما ضخ غاز الهيليوم في الجزء العلوي للسيارة، لتلتف حول نفسها بعد ذلك يمينًا ويسارًا. كان بمقدوره تغيير اتجاهها بسهولة وبسرعة بالغة. تارة تتقدم للأمام ثم ترتفع وتغير وجهتها وتعود للخلف. ظلت السيارة تتقدم وتعود وتلتف حول الجميع، لتجعلهم ينسحبون إلى الخلف في انبهار، وازداد انبهارهم أكثر وهم يرون السيارة ترتفع وتهبط كنسر صغير يحاول التحليق.

تهللت أسارير راي عندما رأى التلاميذ منبهرين، وشعر بأنه سينجح تلك المرة. ألقى نظرة نحو بوني فوجدها منبهرة كالبقية، مما دفعه إلى أن يزيد

الأمر إبهاراً وينقلهم للحظة التحليق الحقيقية، قام بتوجيه السيارة صوب منحدر خشبي. ارتجفت أصابعه، عندما رأى ذاك الفتى طويل القامة قادماً. حاول تجاهل ذلك، ولكن معدل ضخ الغاز كان قد ازداد عن حده، مما جعل غشاءها المطاطي ينتفخ أكثر فأكثر حتى صار كالبالون. وما هي إلا ثوان، وسمع صوت انفجاره في الهواء، والسيارة تصطدم بالشجرة وتسقط.

وهذه هي اللحظة التي انتظرها كل هذا الحشد!

لم يستطيعوا التوقف عن الضحك حتى احمرّت وجوههم. كانوا على يقين من أنه سيفشل مجدداً. بعضهم سخر منه وبعضهم ربت على ظهره، وهم يمطرونه بتعليقاتهم: «عبقري منحوس أنت يا راي». «محاولة جيدة يا راي!». «شكراً لأنك لم تخذلنا لقد ضحكنا اليوم بما فيه الكفاية!». «أغبى مخترع عرفته البشرية في فصلنا المتواضع». «لا تنسَ عرض غد يا راي». لم يكن راي يعبأ بكل هؤلاء. فقط كانت عيناه تتابعان ذاك الفتى الذي اقترب من بوني. إنه (ديريك) زميلها الذي جاء متأخراً ليمسك بيدها ويمرّ بجانبه.

«أنت فاشل يا راي»، سخر منه ديريك. «لماذا تصر على المحاولة؟!». ثم ابتعد عنه وهو يحدث بوني، التي رمقته بجمود دون أن تنطق بكلمة واحدة: «يا له من معتوه فاشل يعشق سخرية الناس منه!».

ظل راي يتابعهما وهما يتحركان معاً، حتى تفاجأ بفتى أسمر البشرة، طويل القامة، يمسك سيارته.

«يـا أنت!»، صاح راي وهو يهرول إليه. «ماذا تحسب نفسك فاعلاً؟!».

تأسف الفتى تاركاً ما في يده: «لقد كنت أحاول المساعدة!».

اقترب منه راي وهو يتمتم متذمراً: «إنني أعيش وسط حمقى ومغفلين»، ثم انتبه له متسائلاً: «ومن أنت؟ تلميذ مستجد؟».

«نعم»، أجابه في ارتباك، فتغيرت نبرة راي على الفور: «آسف لصياحي.. يبدو أنك فتى جيد.. إنني غاضب قليلًا بسبب هؤلاء الغيلان الـ»، وقبل أن يسح بالحاظ أخرى، إذ بصوت يأتيه من خلفه: «أفشلت مجددًا يا راي؟».

استدار على الفور ينظر إلى إميلي التي أخذت تقترب منهما. لاحظ راي أنها تنظر للفتى الجديد باهتمام.

صاح فيها وهي تقترب: ««ما الذي أخرك؟ ألم نتفق يا غيملي على أنك ».

«لا تصحْ في وجهي هكذا»، قاطعته بغضب، باديًا على وجهها الحرج الشديد. تعجب راي؛ فلم يسبق أن صاحت في وجهه بهذه الطريقة. بدا راي كما لو أنه خاف منها، أو أنه لاحظ طريقة نظرتها للفتى الجديد وكأنها محرجة أو .

- «جيد أنني لم أرحم وهم يسخرون منك للمرة الخمسمائة».

- «الـ 469».

- «الأمر سيان.. خسارة جديدة ويوم مليء بالضحك!».

«بل محاولة جديدة»، اعترضها بنبرة جادة. «لو كنت هنا لانبهرت بما فعلته.. يمكنك أن تسألي »، التفت للفتى الجديد.

«جيمس!»، أجابه جيمس باهتمام، وبنبرة متلعثمة.

«حسنًا جيمس.. صِفْ لها ما حدث وبالتفصيل.. يبدو أنك فتى طيب ومن الممكن أن نكون أصدقاء»، ثم التفت لإميلي: «وبعد ذلك يمكنك اللحاق بي كما تفعلين كل مرة.. ولا تنسي التقاط أجزاء النسر ».

صاحت إميلي تقاطعه: «اغرب عن وجهي الآن قبل أن أركلك بقدمي».

استجاب لها راي مبتعدًا، وهو يحث جيمس على أن يحكي لها.

«لا تعبأ به يا جيمس!»، نظرت إليه إميلي بوجه مبتسم ومخرج بعض الشيء. «بالمناسبة أنا إميلي سميث».

يمكنك مناداتي (ميلي)!

«ولماذا بنعتك بـ ...»، سكت جيمس.

«غيملي!»، ابتسمت محرجة. «إنه معتوه!».

«إنـــه.. نشبيه غير لائق بالمرة»، عقّب وهو بتمعن في وجهها بدهشة. «فأنت تبدين جميلة لنغاية!».

توهجت وجنتا إميلي. وانحنت لتلتقط أجزاء السيارة المحطمة، تهرباً من نظراته.

سألها جيمس: «هل أنتما إخوة أم أصدقاء؟».

«إنه توءمي!»، أجابته بتلقائية وكأنها تقول الحقيقة. «توءمي الذي لم تلده أمي»، أوضحت وهي تتحرك برفقته. «لقد ولدنا في اليوم ذاته.. وتربينا معاً منذ الصغر».

قال جيمس: «ولكنه يبدو قاسياً معك و ».

رمقته إميلي بنظرة صامتة جعلته يتوقف عن الحديث، خمّن سريعاً أن كلماته لم ترقها. دام الصمت لثوانٍ، ثم عاودت الحديث قائلة: «راي فتى لطيف للغاية.. فقط وقت غضبه يصير كالطفل الغاضب.. كل ما عليك أن تهدئه وتتركه حتى يهدأ.. وخاصة بعد حماقته الصباحية وهو يجري محاولته التسعمائة تسعة وتسعين...

ظل جيمس منصتاً لإميلي وهي تتحدث عن راي، حتى انسحبا داخل مبنى المدرسة، وبمجرد دخولهما إذ بها تلمح راي واقفاً مع مدرس الفيزياء، ذي

اللحية القصيرة المميزة. كان راي يخفي الجزء المتكسر خلف ظهره، ويقول مفتخراً إن السيارة قد حلقت اليوم، وأثناء اندماج راي في الحالة الحالمة التي سيطرت على صوته والأستاذ (ويل) ينصت له باهتمام...

«والدليل في يدي!»، قاطعت إميلي حديثه، فابتسم المعلم في محاولة ألا يضحك.

اعترض راي في حنق: «ولكنها حلقت! لا تصدقها يا أستاذ. لقد وصلت إميلي بعد انتهاء العرض».

«لقد حلقت.. لقد رأيتها»، أقحم جيمس صوته في الحديث، فابتسم أستاذهم: «أخيراً، لمة صديق بدعمك يا راي».

مد المعلم يده ليصافحه باهتمام وينصرف عليه، ثم انتبه لإميلي التي اشتبكت في معاندة راي، ليقاطعهما: «طارت أو لم تطر يا إميلي، هذا لا ينفي أن راي عبقري.. ألا تذكرين ما أخبرتكما به في حصة السبت الماضي؟».. بهتت إميلي ولم تنبس بكلمة؛ حيث كانت تكره الفيزياء، وكثيراً ما كانت تنام في الحصة. واصل المعلم وبن كلامه وهو يذكرهما بأن أينشتاين كان يعتبر العبقرية واحداً بالمائة موهبة، وتسعة وتسعين بالمئة عملاً واجتهاداً.

أضاف راي في ابتهاج: «والعمل والاجتهاد يعنيان كثرة المحاولات التي لا تنتهي».

«أينشتاين من!»، حكّت إميلي رأسها متظاهرة بالغباء: «راي.. أم.. العالم الشهير؟»..

راي أم العالم الشهير؟!

قذف راي صوتها مستهزئاً، ثم انفجر ضحكة ساخرة وهو يجلس في مقعده، مما جعل إميلي تجلس بكل ثقلها، لتدحس قدمه اليسرى بكل قوتها: «لقد

أخيرتك مرارًا ألا تنعتني بهذا الاسم القبيح».

كتم راي صرخته، ودفعها بعيدًا عنه لحظة أن نبهته هايدي الغبية بدخول (الغولة) إلى الفصل. لقد كانت تلك المعلمة (الغولة) تترصده شخصيًا من خلف نظارتها، قبل أن ينضم للقائمة هايدي التي تجلس خلفه مباشرة، والتي لقبتها المعلمة بالغبية مؤخرًا، بعدما علمت أنها تتحدث عنها كثيرًا وتنقل كل ما يدور بينها وبين زوجها، لأنها لسوء الحظ جارتها. أما عن اسمها فلقد أخبرتهم هايدي أن زوجها هو أول من نعتها بذاك الاسم نظرًا لضخامة جسدها وصوتها الزاعق الذي يرعب زوجها الذي انتهى به الحال خارج المنزل بعدما يرحته ضربًا.

انتبه الجميع لجيمس الذي دخل خلف المعلمة وهي تعرفهم به، أشارت له ليجلس في آخر مقعد على اليسار. لم يكن أحد يجلس بجواره. «لديك مقعد مميز أيها الـ جيمس». تردد همهمات ضحك بين التلاميذ، فلقد كان لديها طريقة مضحكة في الحديث، فصاحت لتخرسهم جميعهم، ثم ابتسمت لجيمس وتابعت «صدقني إنه مقعد مميز حيث تتبع خلفك أرفف المكتبة، التي لا يقربها أحد.. والخبر السعيد أنك ستجلس في مقعدك وحدك لأن رفيق مقعدك، مريض نفسي ولا يأتي أبدًا.. إنني أحسدك صراحة على مقعدك؛ فكافة المدارس تنميز بحرية الطالب في مقعده، عدا هذه المدرسة الفقيرة، ومديرها الكسول الذي لا يزال متمسكًا بجلوس كل اثنين معًا».

تحدثت هايدي بصوت خافت وهي تضبط نظارتها: «هذا المدير كسول؛ لأنه لم يطردك أبدًا الغولة الحمراء المتوحشة».

لم يتمالك راي كبت ضحكته، وأخفى وجهه على الفور أسفل طاولة المقعد...

«أحمد صلاح»، صاحت المعلمة، «قف!».

ما الذي يضحك؟!

«انني لا أضحك»، أجابها راي، ولكنه لم يستطع التوقف عن الضحك فارتجل متصنعًا البكاء وهو يواري وجهه بيده: «لقد كسرت إميلي النسر المخادع!».

«النسر المخادع!»، تعجبت المعلمة متسائلة، فأجابها تلميذ يجلس في المقعد المجاور لراي: «إنه يقصد سيارته العتيقة».

«التي طارت!»، اعترضه راي بصوت جاد، ليتبين أنه لم يكن يبكي حقًا. تعالت ضحكات التلاميذ، وهو يشرح لمعلمته: «إنها سيارتي الخاصة.. ولكن من المؤسف أنها تحطمت.. لقد قامت إميلي بذلك». تصنع الحزن وإميلي تنظره مصعوقة، والهمهمات بين التلاميذ تتزايد، يحاولون كبت ضحكاتهم، أما راي فأخذ يعيد ما يقوله بشكل ارتجالي: «أجل لقد أسقطتها على قدمي.. ولكنها لم تكن تقصد فعل ذلك، لأنني أخبرتها البارحة، أنني سقطت أول البارحة أو ربما أول أول البارحة.. لا يهم متى ولكن حينها كانت أختي مني، حتمًا تعرفينها جيدًا من العام الماضي قبل أن تنتقل إلى المدرسة العليا.. أختي هذه كانت تطاردني في بيت جدي، لأنني استعرت منها نقودًا ولم أعدها لها، والعجيب أنها سامحتني في آخر الأمر بعدما عرفت أنني ».

يكـــفـــي! صاحت المعلمة بصوت حاد، وهي تأمره بالجلوس.

استدارت تكتب عنوان الدرس على السبورة، وهي تلعنه في سرها، ثم واجهت التلاميذ لتصرخ باسمه كي تبدأ به أولًا.

(11)

رايون

انسل نوح بهدوء خارج الغرفة، بعدما نام راي كعادته في منتصف تلك الحكاية، التي يصر في كل ليلة على سماعها. ربما لو كان يعرف ماهيته لأدرك سر تعلقه بهذه الحكاية تحديدًا. فكر نوح بذلك، متذكرًا وعده لابنته (ليلى) بأنه لن يخبره بأي شيء، وسيسعى جاهدًا لأن يشب كفتى عادي كبقية أقرانه. ولعله نجح في ذلك أمام أسرته، ولكن بداخله كان يشعر بأن هذا الانتماء سيظل ينمو بداخل حفيده حتى يأتي اليوم الذي يعلن فيه تمرده، وحينها سيرضخون له مثلما فعل قبلًا عندما تمسك باسمه الآخر ____.

رايون!

أغمض نوح عينيه، وهو يمدد أرجله على تلك الأريكة التي يفضل الجلوس عليها داخل غرفة مكتبه. شرد في نيران المدفأة التي تبعد عنه قليلًا، وببطء عاد بذاكرته للوراء حيث حياته على كوكب (ميمصدراء). لقد كانت حياة تعج بحروب لا تنتهي. حياة صادمة جعلت القادة أنفسهم يدركون أن نهايتهم ستكون في ذاك الكوكب الأخضر، الذي احتضن الجوزائيين لقرون لا تعد ولا تُحصى. لم يكن أحد يتخيل أنهم سيعودون إلى الأرض مجددًا، ولهذا كان رجوعه إلى الأرض بمثابة المعجزة التي جعلته يُقسم داخل نفسه أنه سينسى حياته السابقة كجوزائي، ويعيش بين بشر الأرض كإنسان عادي، ولعله استطاع ذلك لسنوات طوال، حتى أتى حفيده للدنيا ليصدمه بما فعله...

كان راي حينها لا يتجاوز الثالثة من عمره، وفي ذاك اليوم الذي لا يمكن لنوح

نسبانه، كان صلاح يجلس برفقته، ويتحدث معه في أمور العمل، بينما أمجد ومني كانا يبعدان عنهما قليلًا، منشغلين في اللعب معًا. وعلى مقربة منهما، نجلس ليلى على الأريكة، منشغلة في تمشيط شعر سارة، التي جلست أمامها وهي تتصفح القنوات، باحثة عن مسلسل كارتوني أعجبها البارحة، ولا تتذكر أي قناة كانت تعرضه.

كل شيء كان طبيعي حتى صاحت سارة متأففة من أن (ريموت التلفاز) قد توقف عن العمل، حثتها أمها على أن تضغط بقوة؛ فالبطارية لا تزال جديدة. حاولت سارة مرارًا ولكن لا فائدة. أمسكت ليلى الريموت منها، وأخذت تحاول هي الأخرى، وعلى حين غرة انتبهت لابنتها وهو يصيح بكلمة عجيبة...

رايون!

تلك الكلمة لم ينطقها أمجد من تلقاء نفسه، ولكنها كانت تتردد على التلعاز بشكلٍ واضح، وكأنه يحاول النطق بـ (أورايون). كان باديًا على وجهه كما لو أنه يدرك ما يتم عرضه في التلفاز، حيث فيلم وثائقي عن الحضارة المصرية القديمة. قرأت ليلى اسم العالم الذي يتحدث على الشاشة، (روبرت بوفال). كان عالم الآثار ذاك، يتحدث عن نظريته الحديثة التي يعتقد فيها أن الأهرامات المصرية قد تم بناؤها لتتصطف مع نجوم الجوزاء الثلاثة. في تلك اللحظة تسارعت ضربات قلبها، وتنامى بداخلها شعور غريب دفعها إلى النهوض والتوجه إلى التلفاز لتغلقه.

مرت ثوانٍ خيم فيها الصمت، ونظرات الحيرة على وجوه الجميع، متسائلين عن تصرفها الغريب. لوهلة شعرت بأنها بالغت في الأمر، ولكن هذا الشعور تبخر بسرعة البرق، حيث تفاجأت بصغيرها ينهض رافعًا يده، ويشير بها إلى التلفاز ليعود إلى العمل تلقائيًا.

بدا أن ثمة شيئًا غريبًا يحدث، هكذا خمن صلاح لحظة رؤيته لما حدث. كان صلاح سريع الملاحظة، حيث خمن من نظرات ليلى بل ونوح أيضًا أنهما يعلمان سر ما يحدث. أما عن أمجد فلقد هرول مسرعًا إلى التلفاز وظل يقفز أمامه وهو يردد الكلمة ذاتها في انبهار: «رابون.. رابون.. رابون».

لم تجد ليلى حلًا سوى أن تنزع مقبس الكهرباء لينقطع التلفاز عن العمل. في تلك اللحظة صرخ راي وظل يتأوه، وهو يشير صوب الشاشة السوداء، ثم ينظر لوالده وكأنه يشتكيه. كان أمجد متعلقًا بوالده كثيرًا، ولكن والده في تلك اللحظة كان مصدومًا مما حدث. ظل أمجد بعدها غاضبًا لقرابة أسبوع حتى نسي كل شيء.

ولكنه لم ينس كلمة (رابون) مطلقًا!

ومرور الأيام صار لسانه يردد الحروف الأولى منها؛ لصعوبة نطقها في كل مرة. سنة تلو الأخرى، حتى صار مقتنعًا بأن (راي) هو اسمه الآخر، ولكنه لم يكن يذكر سبب تمسكه بهذه الكلمة تحديدًا. أما عن والده فقد افتقاده الهواجس شيئًا فشيئًا حتى صارحه نوح بالحقيقة الكاملة حول الكيان الآخر لأمجد. لم تكن هذه هي الصدمة الكبرى لصلاح؛ فالصدمة الكبرى جاءته لحظة أن علم بأن ابنه جوزاي بسببه.. لماذا؟

كانت تلك هي الإجابة التي غيرت نظرته عن !

انقطع حبل أفكار نوح إثر صوت تناهى إلى مسامعه. كان الصوت آتيًا من غرفة راي. نهض بخطى مسرعة صوب الغرفة، ولكنه بمجرد أن اشرأب برأسه عبر الباب، اكتشف أن حفيده غارق في أحلامه، ولكنه كان يُحدث نفسه بصوت عالٍ، مرددًا كلمة واحدة، يقمغم بها مرارًا.

بوني...!

كانت تلك هي الكلمة الأخرى التي تثير رعب نوح، وتعلها لم تكن المرة الأولى، حيث امتعض وأغلق الباب في هدوء، ليتوجه تلك المرة صوب النافذة، وهو يدخن سيجار، سعل عدة مرات وهو شارد بنظره إلى السماء. لم يكن يدخن إلا عندما يشعر بالغضب؛ فهذا الاسم صار بمثابة عائق في حياة عائلته. فمنذ البداية، شعر بأن ابنة جراي وكاتلين ستكون بمثابة وباء مثل بقية نسلها؛ فهي حفيدة رافائا.

لم يكن يحبذ التفكير بهذه الطريقة، ولكنها الحقيقة التي لا مهرب منها؛ أن الجوزاء لا يمكنه فعل شيء خارق للعادة إلا بوجود هذا النسل عن قرب. هذا هو تأثير نسل أسورين، كل الجوزائيين يعلمون ذلك جيدًا.

ومن جانبه لم يصدق ذلك إلا عندما رأى حفيدة بقوم بأفعال غير عادية، كسرعة تعلمه للغة الإنجليزية ومن ثم العربية التي كان يحرص صلاح على تعليمها لأولاده الثلاثة، ولعل أمجد كان أسرعهم بشكل مثير للدهشة، حيث كان يلتقط الكلمات من عين لسان والديه وجده ويحفظها من المرة الأولى، ربما ذاك الشيء أفرحهما ولكن فيما بعد بدأ يقوم بأمور عجيبة، كأن تتوقف السيارة وتتعطل عندما لا يرغب في الذهاب إلى مكان ما، أو تنقطع الكهرباء في المنزل لحظة صراخه الشديد، كانت أخته تشعران بأنه السبب، ولكن لصغر سنهما كان يمتدور ليتي إبعاد هذه الفكرة عن أذهانهما. لم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل وازداد الأمر غرابة عندما سمعت ليلى صغيرها ذات يوم، يقلوس وهو نائم مرددًا اسم بوني.

كيف له أن يردد اسمها وهو لم يلتقها قبلًا؟! تلاعبت بها الهواجس لتسأل والدها. لماذا يردد اسمها يا أبي؟ لم تكن ليتي تعلم شيئًا عن ماهية بوني، ولم تكن تعلم أن جراي وكاتلين هما الشخصان اللذان قفزا أمامها في فجوة بوداي.

كل هذه الذكريات كانت مشوشة لديها. ورغم ذلك تضخم شعور بأن بوني هي السبب. بداخلها كانت تبحث عن أي مبرر لأفعال ابنها الغامضة، ولكن نوح لم يرد أن يخبرها بأي شيء، ووعدها بأنه سيجد حلًا. كان عصيبًا على نوح أن يطلب من جراي الرحيل بعيدًا. ولكنه فعل ذلك، متوقعًا الموافقة؛ فمنذ أن كانا في (ميمصدراء). وجراي بطبعه كأبيه وينفذ له أي طلب، ولكن تلك المرة رفض منحججًا بأنه أخيرًا وجد مكانًا يستقر به وينعم بحياة هادئة.

في نهاية الأمر، لم يستطع نوح إقناعه بالرحيل، وكان نتيجة ذلك أن قام بقطع أي صلة به نهائيًا. لم يكن القرار سهلًا، ولكن أن تكون جوزائيًا فحتمًا ستفعل أكثر من ذلك. في ذاك الوقت توصل نوح لفكرة أخرى وهي ابعاد راي عن بوني، ولكنه عندما اقترح على ليلي بأن ينتقل راي ليعيش معه في بيته، رفضت في بادئ الأمر، حتى تفاجأت بسارة ذات يوم، تهرول إليها في فزع، وتخبرها بأن راي قفز من نافذة الطابق العلوي، ليحلق في الهواء ويهبط أمامها دون أن يحدث له مكروه. لم تستطع ليلي تصور أن ذلك حدث، ولكن سارة ظلت تقسم أنه فعل ذلك، مما جعل ليلي ترضخ لاقتراح والدها في النهاية.

لم يكن نوح يدري هل سنفلح فكرته أم لا، ولكنه سعى بكل ما بمقدوره لأن يجعل راي ينسى بوني، وذلك عبر تشجيعه للتعرف على إميلي منذ الصغر كي تصبح صديقته المقربة، وبمرور الأيام اختفت كل الأمور العجيبة التي كان يفعلها راي، وبدأت علامات النبوغ والذكاء في الظهور، لينمو راي ويكبر معه حلم السيارة الطائرة، ولا يدري السر الحقيقي وراء تعلقه بهذا الحلم، مثلما لا يدري سبب تعلقه ببوني، ونرديده لاسمها وهو نائم، وبداخله يعتقد أنه يحبها!

(12)
ذات الشعر الأحمر

لم تكن المرة الأولى التي نفتح فيها عينيها ونجد نفسها في ذاك المكان، ولكن تلك المرة كان الوقت نهاراً، وكل شيء من حولها يبدو منيراً بما فيه هذه الشجرة التي ترقد تحت ظلها. كانت شجرة ضخمة وأغصانها ناضرة، تشع بالحياة. ليست كالشجرة المهيبة المنتهية التي تراها في كل مرة، حتى الأرض التي تحيط بها كان العشب يفترشها، جاعلاً إياها تتلألأ بلونٍ ذهبي تحت ضوء الشمس. مرت نسمة عابرة، دفعتها على النهوض وهي تستند على جذع الشجرة، فتلمست أصابعها شكلاً غائراً في لحائها الخشن. كان عبارة عن قلب مرسوم، ويخترقه سهم، عند رأسه حرف (D) وفي آخره حرف (K). ثمة شيء مألوف في ذاك الشكل وكأنها رأته قبلاً.

ولكن أين ؟!

وبينما كانت تفكر، لمحت بعينيها صدعًا أرضيًا على يسارها. لم تلحظه وهي جالسة، وكأنه لم يكن موجودًا إلا في اللحظة التي أبصرته فيها. خمنت ذلك بمجرد رؤيتها أيضًا لجسرٍ غريب، يمتد فوق الصدع وينتهي عند الحافة الأخرى، التي لم تتضح معالمها إلا في اللحظة التي حركت فيها أرجلها، وراحت تتقدم للأمام. بدأت عيناها تبصران بيوتًا مهدمة تحيط بها أرض قفر، تعلوها سماء حليبة بغيوم قاتمة. إنها الأرض التي تعرفها، فكرت بذلك وهي تقترب من الجسر. كانت لا تزال كما تتذكرها، بالتفاصيل ذاتها التي تخبئها. لم تكن في نيتها عبور الجسر، ولكنها قبل أن تتقدمت خطوة أخرى للأمام، اصطدم رأسها بحائل خفي يعترضها.

تأملتْ بصوت خافت وهي تضع يدها على رأسها. ويبدها الأخرى تفحصت ذاك الحائل الخفي، الذي بدا من ملمسه كزجاج عالي النقاء والشفافية. جالت بعينيها تبحث في الطرف المظلم عن الشجرة ذي اللحاء المتموج كالجمر. لوهلة لم تكن تراها، وفجأة وجدتها عن يمينها في الجهة المقابلة للشجرة الخضراء. راودتها فكرة غريبة، كما لو أن الطرف الآخر ليس سوى انعكاس للأرض التي تقف فيها. بدا أن تخمينها حقيقي لحظة أن رأت صورتها المنعكسة أمامها.

«ولكن هذا ليس بشعري!»، فكرت داخل نفسها وهي ترفع يدها وتتلمس شعرها، فتلدنها الصورة المنعكسة. كاد أن يصيبها الجنون وهي تتفحص شعرها الكستنائي ثم تعود بنظرها لتمعن في لونه، في الصورة المنعكسة. لقد كان مختلفًا تمامًا؛ كان أحمر اللون، وفي غاية الغرابة. وبينما كانت تتلمس الزجاج وصورتها المنعكسة تقلدها، انتبهت لفتاة ظهرت تتوها من خلف الشجرة الملتهبة، كانت تقرأ في شيء ما قبل أن ترفع رأسها وتشير لها.

ظنت لوهلة أن تلك الفتاة موجودة في الجانب الذي تقف فيه أيضًا، ولكنها عندما التفتت بعينيها صوب الشجرة لم تجدها. أعادت بصرها ثانية إلى الجانب الآخر فتفاجأت بتلك الفتاة تهرول إليها، وتخطو فوق الجسر لتمسك بيد صورتها المنعكسة وتسحبها خلفها. تراجعت خطوة للخلف من هول الصدمة. فما حدث أمامها كان يفوق الخيال ذاته. أخذت تتبعهما ببصرها، حتى ابتعدت تلك الفتاة وصورتها المنعكسة تجري خلفها. كانت تعابير الذعر جلية على وجهيهما، وكأن شيئًا ما يطاردهما.

جرت تتبعهما على طول الصدع في محاولة لفهم ما يحدث، ولكن طريقها انتهى فجأة بحافة شديدة الانحدار. لم تنتبه لها إلا لحظة اختلال توازنها وسقوطها. لم تستطع التمسك بأي شيء، لم تستطع فعل أي شيء سوى

الصراخ في هلع، وجسدها يصطدم بالصخور وينزلق منحدرًا، حتى انتهى بها المطاف لأن تسقط على ظهرها فوق عتبة صخرية مسطحة.

ظل جسدها ممددًا غير قادرة على تحريكه، وبالمثل مع رؤيتها التي صارت مشوشة إثر وهج برتقالي، راح يزداد ويزداد حتى أجبرها على إغلاق عينيها، إلى جانب ذاك الطنين المزعج، الذي سيطر على سمعها، ليتبدل في النهاية إلى نغمة مألوفة لها. وفي لحظة واضحة، استطاعت فتح عينيها، لتجد نفسها راقدة في سريرها، والمنبه قرب أذنيها يصدر نغمته المزعجة، وضوء الشمس يتسلل عبر النافذة، وينتشر فوق جسدها.

اعتدلت بوني جالسة. كان جسدها مرهقًا وساقاها تؤلمانها بشدة. وضعت رأسها بين يديها وشعرها يخفي وجهها، فعلى الرغم من عمرها الذي لا يتجاوز الثانية عشرة، إلا أنها بدت كفتاة كبيرة مثقلة بالهموم، فلم تكن أحلامها كبقية أقرانها، كان هذا سرها الدفين؛ ففي كل مرة تستيقظ، تشعر بألم شديد في ساقيها، ويباغتها إحساس غريب كما لو أن حلمها حقيقي وواقعي.

كابوسٌ آخر!

ظهرت كاثلين عند باب الغرفة وهي تنظر لصغيرتها البائسة. لم يكن أحد يعلم سرها سوى والدتها. جلست كاثلين بجوارها وهي تضمها لصدرها وتمسد شعرها. كانت تتمنى بداخلها لو تعرف ما سبب هذه الأحلام التي تراودها، أو أن تخبر والدها، ولكن بوني كانت تصر على إخفاء هذا السر؛ فكلما عرف شخص ما تمر به، ازدادت أحلامها سوءًا، هكذا كانت تعتقد بوني.

كانت بوني شاردة تفكر في الحلم، فخمنت كاثلين تسألها: «المكان ذاته؟».

«والخنادق ذاتها يا أمي!»، غمغمت بوني في ضعف.

سألتها كاتلين: «هل تعرفت عليها؟!». كانت والدتها تعلم أن أحلام ابنتها تزداد عمقًا، ولكنها لا تتذكر أغلب تفاصيلها.

هزت بوني رأسها بالنفي: «ولكنني أشعر بأنها حقيقية.. أعرفها منذ زمن طويل.. ولكنني لم أرها قبلًا.. سواء هي أو هذا الفتى الذي يساعدني على الدوام».

صاد!

تمتمت كاتلين باسمه، فأومأت لها بوني: «أحيانًا أشعر كما لو أنه أخي.. يريد إرشادي لشيء لا أعلمه أو تنبيهي لخطرٍ ما على وشك أن يصيبني.. كلما رأيته أشعر بالاطمئنان.. ملامحه لا تكاد تفارق مخيلتي. ليتني بمقدوري الرسم لأقوم برسمه.. في كثير من الأحيان يكون هو من بحاجة للمساعدة.. ذات مرة رأيته يحتضن فتاة ثم يتركها محاولًا الابتعاد ولكنها بدورها تمسكه وتحتضنه من ظهره، «لا تتركني»، تكررها وتكررها ولكنه بقاومها حتى يكاد ينجح فتخرج سكينًا وتظل تطعنه.. لقد تكرر هذا الحلم مرارًا وفي كل مرة أحاول إنقاذه ولكنه يمنعني.. ومنذ شهور لم أعد أراه وتبدل بشخص آخر مخيف يلبس عباءة سوداء، مرة أجده أمام منزلنا ومرة أخرى أمام سريري». أشارت بوني بأصبعها: «بالضبط هنا.. لقد سمعت صوته ذات مرة، وهو يناديني باسمي.. يسألني سؤال غريب.. لماذا تريدين المساعدة؟ افعليها بمفردك.. وكأنه يتكلم بالألغاز !».

ظلت بوني تقص كل ما رأته وكأنها شاردة، سارحة في عالم آخر ولن تصمت أبدًا.

قاطعتها كاتلين: «توقفي يا بوني! لا بد من الذهاب إلى طبيب».

«لا يا أمي رجاءً»، قالت بوني متوسلة. «لقد قطعت وعدًا ألا تخبري أحدًا».

«ولكن إلى متى ستظلين هكذا.. لم أعد أحتمل رؤيتك على هذا الحال».

«لا علاج من الأحلام يا أمي»، أجابتها بوني: «وأنا واثقة من أن تلك الكوابيس ستزول ذات يوم دون رجعة».

ثم مالت جهة منضدة بجوار السرير، وأمسكت مذكرتها الشخصية، فقالت كاثلين: «حسنًا هيا اغسلي وجهك.. وتعالي لتتناولي إفطارك كي لا تفوتك الحافلة».

غادرت كاثلين وبوني تتأمل غلاف المفكرة المزين بالورود وفي منتصفه قلب غائر. ظلت تتأمله ثوانٍ لتتذكر بعدها، أين رأت هذا القلب المحفور في الشجرة. لقد كان مرسومًا فوق الغلاف ولكن الحرفين مختلفان. كانا (A) و(B) الحرف الأول من اسمها واسم حبيبها.

إنه سرها الثاني بعد الأحلام؛ حبيبها السري الذي تخشى مصارحته.

قرت صفحات المفكرة حتى صفحة بيضاء، وكتبت ما رأته في الحلم حسبما استطاعت تذكره، ثم أنهتها بتلك الكلمات...

"لم تزل الأحلام تؤرق منامي.. وهذا الفتى الغريب راي أشعر نحوه بانجذاب شديد. أشعر بأنه يبادلني الشعور ذاته وربما يخشى مصارحتي خوفًا من صديقي ديريك.. وربما أنا من أتوهم؛ فمنذ الصغر وهو رفيق لإميلي.. إنها أجمل مني بكثير رغم غرابتها.. أتمنى الحديث معه لمجرد الحديث فقط، أريد سماعه يردد اسمي، كم أتمنى لو كنت مكان إميلي! أشعر بأنه خلق لي وهي تمنعه عني، أو أنني أعرفه منذ زمن طويل، واستغنى عني. تصرفاته مستفزة ونعيج بالبرود.. إنه لا يكترث إلا لأفكاره وابتكاراته المجنونة". قامت بشطبها.

«بل الفاشلة!»، همست بها وهي تكتبها بغيظ وتواصل...

"أجل فاشلة ولكنني أحبها.. أحبها رغمًا عني.. عيناه تشعرانني كما لو أنه يريد إخباري أن كل هذا من أجلي، حتى هذه الفتاة إميلي كلما حاولت الحديث معها شعرت بأنها تتجنبني.. تتأملني بغرابة وكأنني عدوتها.. يا لهما من شخصين غريبين كما يقول الطلبة في المدرسة.. ولكنني لستُ مختلفة عنهما. بل إن عيوبي خفية ليست ظاهرة".

تنهدت في ضيق وهي تتوقف عن الكتابة، ثم راحت تخط بقلمها وترسم في نهاية الصفحة. اتضح في النهاية أنه شكل كاريكاتوري لهذا القلب الذي رأته في حلمها. كتبت الحرفين وعقلها منشغل في تخمين معناهما المجهول: «هل حرف(K) يعني راي.. ولكن حرف (E) يقصد به من؟ إميلي؟»، همست داخل نفسها في عدم رضا عن هذه الفكرة.

كان لدى بوني مخزونٌ ضخمٌ حول كل ما يتعلق بعالم الأحلام، حيث انغمست في تفكيرها باحثة عن معنى لهذه الأحرف، وفجأة راودتها فكرة غريبة: ماذا لو كان حرف (K) انعكاسًا لحرف (A) في رسمة غلاف مفكرتها !

فهل يعقل أن حرف (E) يرمز إليّ؟

(13)

مسابقة السيارات

لقد كان شيئًا يفوق العجب.. ولكنه لم يكن أعجب مما رآه في آخر الوادي، اتسعت أعين حميد متفاجئًا بشجرتين عظيمتين يتوهج لحاؤهما بخيوط كانسيل الناري، وبشكل يفوق التصور كان يمر أسفلهما جدول من الحمم الملتهبة، لفحته حرارتها العالية، لحظة عبور الخيول لجسر صغير يمر من فوقها، ثم واصلت تحركها في الجانب الآخر، حيث طريق ترابي متعرج، على جانبيه أرض عشبية واسعة، تترامى فيها أحجار ذهبية مختلفة الأشكال والأحجام، وبعيدًا تنتصب ثلاثة صروح هرمية الشكل كأهرامات الجيزة العظيمة ولكنها من الذهب !

صمت راي لوهلة ، متفاجئًا باندماج التلاميذ. لقد كانت المرة الأولى التي يقص فيها هذه القصة على مسامعهم. حيث وقف أمام السبورة، التي كُتب عليها عنوان الحصة (قصة من وحي خيالي)، ليحكي تلك الحكاية، التي اعتاد سماعها قبل نومه. كان جليًا أن القصة تروق الجميع، وخاصة بوني التي حدجته بنظرة غريبة، وكأنها سمعتها قبلًا.

شجعته المعلمة على المواصلة: «تبدو قصة مشوقة يا أمجد!».

في بادئ الأمر، خمن حميد أنه بداخل واحة مجهولة، ولكن بعد تمام شفائه، أيقن أن تخمينه كان خاطئًا، حيث ظل يجول هنا وهناك، جازمًا داخل نفسه بأن هذا المكان جزء من الخيال ذاته؛ فعيناه كانتا تبصران مروجًا صفراء وخضراء وينابيع مياه، وعددًا كبيرًا من السكان يروحون ويجيئون حوله. ظلت الهواجس تتلاعب به حتى وصلت لأقصاها لحظة أن قادته أقدامه إلى

غابة عظيمة تعج بأشجار عملاقة لا حصر لها. كل هذا كان موجوداً بالواحة.

إذاً هذه ليست بواحة!

باغتته هواجس أخرى ليعتقد أنه افتقد لمكان لا يمكن أن يوجد على الأرض أبداً. وازداد اقتناعاً بذلك عندما تبين له أن قاطني هذا المكان، بلا استثناء، طوال القامة بشكل ملحوظ، حتى أطفالهم كانت قاماتهم تتجاوز قامته ببضعة إنشات، ومن بينهم تلك الفتاة الشقراء التي أنقذته، والتي حسبها امرأة، وتبين له فيما بعد أنها فتاة صغيرة لا تتجاوز الحادية عشرة من عمرها.

ثمة شيء وحيد كان مألوفاً لحميد، وهو لهجتهم البسيطة واللغة التي يتحدثون بها؛ فعلى الرغم من غرابتها إلا أنها كانت شبيهة باللغة العربية إلى حدٍ كبير...

هل أنا في الجنة؟!

سأل هذا السؤال ولكنه تلقاه بإجابتهم، التي أكدت له أنه لا يزال في كوكب الأرض، وأن بإمكانه العودة إلى بلده إن أراد. في البداية رفض، وأخبرهم أن هذا المكان كالجنة لا يمكن لأحد أن يدخله ويغادره. ولكن بعد مرور شهر، وبينما كان يتجول قرب الغابة، وقعت عيناه على خاتم ذي ياقوتة حمراء ملقى بين كومة من الحجارة الذهبية. شهق مدهوشاً من مدى جماله وروعته، ولكن الابتسامة على وجهه خبت سريعاً حين تذكر أن لا قيمة له في هذا المكان.

يوماً وراء يوم، تلاعبت به الأهواء، وفكر في الرحيل بذاك الخاتم الثمين، ومعه قدر ما يستطيع حمله من تلك الحجارة الذهبية.. استغرق مراراً في هذه الفكرة، بعدما اعترف داخل نفسه أن الحياة في هذا المكان رتيبة ومملة، وفوق كل ذلك، كان الذهب يتراصى في كل مكان، ولا أحد يدري

قيمته.. أما في بلده فسيكون أغنى من الأمراء، بل سيكون هو الأمير.

ارتسمت ابتسامة على وجهه وهو يقبل الخاتم ويضعه في جيبه، عازمًا على تنفيذ خطته بحلول الليل والناس نيام. ظل يفكر في ذلك حتى استولى عليه النعاس ولم يدر بما حوله، إلا لحظة استيقاظه على صوت صياح وأناس تتعارك، ونساء تمر بجانبه وتضحك على هيئته وهو ممدد بالأرض، وشعره ملابس بالية.

انتفض حميد في تلك اللحظة، والذعر يتملكه. هل كان يتوهم؟ هل كان يحلم؟!

«لا لم أكن أحلم!»، همس بداخله لحظة أن تلمس الخاتم في جيبه ووجده في مكانه. ظل يجول حوله لا يدري ما الذي حدث، حتى تفاجأ بحارسين يلقيان القبض عليه. شهق الأمير مدهوشًا لحظة رؤيته لهذا الخاتم، ليطلب من حميد أن يقص عليه قصته العجيبة تلك. ولكن حميد تناجأ بأنه نسي أغلب ما حدث له. فقط ظل يحكي ما استطاع تذكره، وكلما عجز عن تذكر شيء، أقسم أنه صادق. وأنه كان يعلم الكثير عن هذا المكان. ولكن ذلك لم يشفع له أمام الأمير...

أمر الأمير بسجنه ظنًا بأنه لص سارق اختلق هذه الحكاية ليهرب من فعلته. ولكن أحد الحكماء أخبره أن هذا الخاتم لا يمكن أن تصوغه يد بشرية، وأنه لم ير مثيلًا له في مصر وليبيا وكافة البلاد المجاورة، وهذا لا يعني سوى شيء واحد، أن كل ما قاله حميد حقيقي كحقيقة هذا الخاتم.

ومن ذلك الحين، بدأ حلم العثور على هذه الواحة باقيًا، يتناقل من جيل إلى جيل، وحتى يومنا هذا لا يزال يُعقد اجتماع سنوي في إيطاليا، يجتمع فيه الكثير من العلماء والباحثين ليتناقشوا في أمر هذه الواحة المضربة، التي يعتبرها الجميع بمثابة جنة الصحراء الخفية...

انتهى راي من قصته وسط صمت وسكون بالغ، بدده على الفور رنين جرس الحصة. نهضت المعلمة وهي تبدي إعجابها بتلك القصة المشوقة، والتي لم يسبق أن سمعتها قبلا. ولكن بمجرد أن غادرت المعلمة، إذ بديربك يسخر منه كعادته، «رائع يا راي.. قصة في منتهى الروعة!»، لم يجبه راي وجلس بجوار إمبلي، «أنت يا راي شخص خيالي.. وكل أصحاب الخيال مرضى نفسيون.. ومرضك الحقيقي هو سيارتك العقيمة التي تحلم بأن تحلق في الهواء.. لا بد أن تبحث عن علاج».

قاطعه المعلم وبل وهو يدخل الفصل: «بدون الخيال لن يتقدم الإنسان.. لن يرقى الإنسان.. الخيال هو عماد الواقع.. لقد قالها أينشتاين قبلا يا ديربك، "الخيال أهم من المعرفة.. فبالخيال يمكننا رؤية المستقبل"».

«وبمناسبة حديثنا عن الخيال!»، التفت المعلم إلى الطلبة في ابتهاج، «لدي خبران سعيدان.. أولهما سيسعد إمبلي، لا حصة للفيزياء اليوم يا إمبلي». صاحت إمبلي مهللة، ليهلل بعدها التلاميذ. «كما توقعت بالضبط أن إميني لبست وحدها.. وثانيا___»، توجه صوب التلفاز ليدخل شريط فيديو، «فموضوع حصتنا اليوم سيكون حول مسابقة العباقرة (ذي. نو. إم. إي.).. تلك المسابقة التي يحصل الفائز بها على جائزة هوجو في العبقرية الخيالية.. إنها الجائزة التي يحلم بها كل الصغار العباقرة.. ربما بعضكم قد سمع عنها قبلا، ولكن محتوى الفيديو سيعرض لكم كل ما استجد هذه السنة...

ترك المعلم شريط الفيديو يعمل، وانخرط في الحديث معهم حول هذه المسابقة...

بعد شهر ونصف الشهر ستبدأ إجازة نصف العام، وسنبدأ معها تلك المسابقة، (ذي. نو. إم. إي.)، تذكروا تلك المسابقة، فهي على الدوام تحمل كمّا من الإثارة والتشويق لكل متابعيها، البعض يشبهونها بالأولمبياد

الرياضي، لأنها تحوي الكثير من المسابقات التي يمكن الاشتراك بها.. وبمناسبة أن هذه السنة ستشهد مجالات مستحدثة، فثمة مسابقة يمكن لأغلبيتكم المشاركة بها وهي سباق السيارات الصغيرة...

قالت إميلي: «ولكن راي لا يمكنه المنافسة بسيارة من صنعه.. هل سيسمحون له بالمشاركة إن أراد؟».

أجابها المعلم: «لا قيود في مسابقة العباقرة.. سيارة محترفة أو سيارة عادية.. المتسابق له حرية فعل أي شيء أثناء السباق.. ولجنة المسابقة مندوبون عن مؤسسة (ميملار)، الشهيرة بعين الحكومة.. هذه المؤسسة تعتبر من أهم المؤسسات عالميًا إن لم تكن الأهم على الإطلاق في المجالات الاقتصادية والعلمية.. وخاصة، لسعيها الدائم لتبني العقول الصغيرة وتنميتها».

وما فائدة مسابقة السيارات؟! قاطعته هايدي وهي تنهض وتجلس بسرعة.

ابتسم المعلم قائلًا: «سؤال جيد يا هايدي.. في كل مرة تقام فيها مسابقة العباقرة.. لا يفوز بها أحد سوى خمسة مشتركين على الأكثر.. وعلى الرغم من عدد المشتركين الضخم، إلا أن المسابقات دومًا ما تكون معقدة للغاية.. وبالنظر لسباق السيارات فأنا أعتقد أنه ليس سباقًا للسرعة.. إنه سباق يبحث عن الأفكار الجديدة والحيل العبقرية للفوز بالمراكز الأولى.. وبغض النظر عن روعة الجائزة، إلا أن المؤسسة أيضًا، تمنح الفائزين فرصة الالتحاق بمدرسة الموهوبين لديها.. ولي الفخر بأن أخبركم بأن صديقي (د. نورمان إيزاك)، صديق الطفولة، صار الآن عالمًا ذا مكانة مرموقة ولديه حياة أكثر من رائعة...

أشار المعلم جهة التلفاز: «ثمة تفاصيل كثيرة في هذا الفيديو.. سأتركم لخمس دقائق، لجلب استمارات الاشتراك من مكتبي.. أتمنى أن تبقوا أعينكم على التلفاز وتلتزموا الصمت.. اتفقنا».

وبمجرد خروج المدرس، إذ بديريك، الذي ظل صامتًا متضايقًا من رد المعلم الذي لم يرق له.

«هل ستشارك يا راي؟!». قالها ديريك وهو يستدير ناظرًا إلى راي. «رجاءً لا تفعل.. سيسمون مدرستنا بمدرسة السلحفاة فور رؤيتهم لسيارتك في آخر المضمار». ضحك التلاميذ، ليواصل بعدها إيثان وديريك يغمز له، «إنه فقط يبرع في الحكايات والسباحة في الخيال.. وربما سيارته قد تحلق هناك في واحته الخيالية».

«سيارته ستحلق بالفعل!»، صاحت إميلي لتسكتهما، «لأنه بمستحيل أن يتواجد أشخاصٌ أمثالكم هناك». ورمقت بوني وحدجتها في ضيق، «وسيارة راي ستشارك وستفوز حتى لو كانت بطيئة كالسلحفاة». كانت إميلي معروفًا عنها جمالها الأخاذ ولا ينافسها أحد في جمالها، ولكن الجميع كانوا يخافونها وينفرون منها.. فكل من يرغب في عداوتها تحدث له مصائب لا تنتهي؛ فهي فتاة مشؤومة وملعونة بجمالها، هكذا عُرف عنها بين التلاميذ.

تحدثت هابدي وهي تحرك نظارتها: «السلحفاة هزمت الأرنب لأنه قلل من شأنها».

اعترضتها ليانا بصوت بارد: «ولكن سيارة راي ليست بسلحفاة؛ إنها النسر المجروح». تلك المرة لم يضحك إلا قلة قليلة، ومن بينهم بوني، جز راي على أسنانه، فوكزته إميلي وهو بطأطئ رأسه على طاولة مقعده.

إياك وأن تبكي!

مالت إميلي إليه، وأمسكت يده بقوة. اختلست بوني النظر إليهما، فرأت إميلي تربت على ظهره فتملكها الغيظ الشديد.

صاح ديريك في ضيق أكبر: «إنه فتى معتوه.. وأنا على يقين من أنه سيخسر

إذا تجرأ وشارك».

اقشعلت هايدي تلك المرة ضحكة استهزاء، ولكن بصوت أشد استفزازًا فيه تحدٍ: «وإذا فعلها وفاز؟!».

«حينها سموني بالأحمق!»، صرخ دبريك بذلك وهو في قمة غضبه.

«إنه اسمك بالفعل!»، أفحمته هايدي بتلك الحقيقة، فانفجر الفصل بعدها في ضحك هيستيري.

دخل المعلم، يبعود الصمت من جديد. لاحظ المعلم أن راي مطأطئ الرأس. انتبه لبقية الطلبة، وقام بتوزيع أربع استمارات لم يكن منهم راي، والغريب أن دبريك طلب استمارة. وأقسم بصوت غاضب، أنه سيشتري سيارة باهظة الثمن وسيفوز في هذا السباق. تركه المعلم يتحدث ولم يجادله. كان على يقين بأن ثمة مشادة كلامية قد حدثت بينه وبين راي، فلم تكن المرة الأولى. مرت الدقائق الأخيرة من الحصة، والتلاميذ منشغلون بما يتم عرضه على التلفاز، حتى رن جرس انتهاء وبدء وقت الراحة. جمع المعلم أشياءه وهو ينظر لراي: «تعال معي يا راي.. أريد إخبارك بشيء».

نهض راي وتبع معلمه، الذي ظل يحدثه وهما في طريقهما إلى مكتب المدير...

«تذكر دائمًا أن الضعفاء وحدهم من يسخرون ويهزؤون من غيرهم.. ودبريك على يقين من أنك أفضل منه.. ربما لن يقولها لك مهما حدث، ولكن تعلّم أن تقرأها في كلماته، لا أن تبكي.. إنك بذلك تزيدهم ثقة وتؤكد لهم أنك فاشل حقًا».

«إنني أحاول مرارًا.. لم أنجح مطلقًا.. ربما أنا فاشلٌ حقًا ومحاولاتي ليست سوى ».

«أنت لست فاشلًا يا راي.. أنت تخاف الفشل.. ومن يخف الفشل فسيظل عالقًا في المنتصف لا يحقق أي شيء».

«وربما أخاف النجاح»، قال راي. «إميلي تخبرني بذلك على الدوا ».

«أنت تنجح في نظري كل يوم!»، قاطعه المعلم. «أن نجد التلاميذ كل يوم محتشدين، بانتظار محاولتك الجديدة وما تحمله من تشويق، هذا يسمى نجاحًا.. أن تصير جزءًا من حديثهم اليومي وتترك بصمتك المميزة في أذهانهم، هذا يسمى نجاحًا.. هل تعتقد أن الناس جميعهم كانوا ينظرون لبيبون وأينشتاين وغيرهم بالنظرة ذاتها.. لا بالطبع، لقد كان لهم معجبون وكارهون. البعض كانوا يرونهم عباقرة، وآخرون يرونهم حفنة من المجانين، وآخرون يؤمنون بحقيقة نظرياتهم والبعض الآخر يشكك فيها.. آراء كثيرة لا تنتهي تلاحق كل مجتهد لا لتنقص منه ولكن لتزيد من قيمته.. وفي النهاية يصير اسمه علامة منيرة في ذاكرة البشرية جمعاء سواء برغبتهم أو بالإجبار».

فتح باب غرفة المدير، ودعاه للدخول، وهو يواصل حديثه: «عندما اقترحت أن تشارك المدرسة في مسابقة العباقرة.. أتدري من أول شخص نطق المدير باسمه؟».

لقد كان أنت!

«بالطبع ومَن غير أمجد صلاح، الشهير براي؟». ابتسم المدير وهو يصافحه باهتمام. «ما نفعله في فناء المدرسة، والتلاميذ تحتشد حولك، يجعلني موقنًا بأنك ستجتذب الأنظار حتى لو لم تفز».

عقب راي قائلًا: «ومع ذلك يضحكون ويسخرون!».

«وأنا أيضًا!»، أفحمه المدير بتلك الحقيقة وهو يدعوه للجلوس. «ولكن أتم تتساءل يومًا عن السبب؟».

«السبب يكمن في نظرتك أنت لهم!»، تنهد المدير وهو يجلس بجواره ويربت على كتفه. « عندما كنت صغيراً منك كنت مؤمناً بما أملكه من عقل فذ.. كنت أعتقد أن بمقدوري فعل أي شيء بمفردي.. لم أكن أسمح لأحد بمساسه خوفًا من أن يتسبب في تخريبه.. وأعتقد أنك يا راي أيضًا تمر بهذه المرحلة وتعتقد أن زملاءك يسخرون منك لأنهم يكرهونك لشخصك.. ولكنهم في الحقيقة يغارون منك؛ لأنهم واثقون من أنك عبقري وتمتلك قدراً من الذكاء أكثر منهم، وكامل تصرفاتك يؤكد لهم أنك لست بحاجة لهم.. إذًا ماذا تنتظر منهم أن يفعلوا ».

«استمع لي يا راي». صمت المدير للحظات قبل أن يواصل حديثه: «العبقرية صفة عظيمة تميز صاحبها، ولكن أخلاقيًا لا بد أن تتعلم كيفية التعايش بها بين البشر.. كأن تجعل كل من يقربك يشاركونك في كل ما تفعله.. أو أن تشرك من تحبهم في كل ما تقوم به، وتدعهم يساعدونك. اجعلهم جزءًا من حياتك ولو جزءًا بسيطًا للغاية، تتصبح أنت أيضًا جزءًا من حياتهم، وحينها ستراهم يعترفون بقيمتك ويتباهون بها، بل ستسمع السعادة في صباحهم وهم فرحون بما نعرج به.. هذه هي الطريقة الوحيدة لكي نحقق مبتغاك.. ولا بأس من أن تحاول ذلك في المرة التسعمائة لسيارة التسر المخادع».

ابتسم راي وهو في غاية سعادته. وحينها قال معلمه وهو يربت على كتفه: «موافق أم ».

(14)

أ.د.ميملار

لقد اعتقدت أنه طفل عادي، ولكن !

سعلت تلك العاملة وهي تعود بذاكرتها للوراء منذ أحد عشر عامًا، وتحديدًا عندما أوكلوا لها مهمة مجالسة هذا الطفل وتحليل سلوكه. تمنت بداخلها أن تصرخ في وجه هذا الأشيب الأحمق الذي لا يكترث لما تقوله، ورغم ذلك كانت نبرة الخوف واضحة في كلماتها؛ فجلوسها أمام المالك الأول لمؤسسة (ميملار)، أخطر من جلوسها أمام رئيس الولايات المتحدة الأمريكية. فبمجرد أن طرح سؤاله، وجدت نفسها بدافع الخوف تفصح عن كل ما تعرفه حول هذا الطفل الغريب. وبداخل عقلها سؤال واحد يثير حيرتها؛ لِمَ الحاجة لاستجوابها وذاك الطفل قد صار شابًا يافعًا الآن.

كانت الإجابة عن هذا السؤال، تسبح وسط مئات الأفكار التي من المستحيل أن يعلم بها أحد سوى هذا الرجل الغامض الملقب بالأشيب، والذي كان يدور بداخله سؤال محير آخر يتعلق بهذا الطفل...

هل هو الطفل الذي يبحث عنه؟

كان الأشيب يسمع الخوف في كلماتها، بل وفي ضحكاتها التي كانت تواري بها رهبتها؛ فالجميع يخافونه. كان يوقن بتلك الحقيقة أتم اليقين، منذما يدرك تلك الحقيقة التي لا تزال تطارده، في أحلامه ويقظته. الحقيقة التي جعلته مالكًا لتلك المؤسسة الضخمة، الشهيرة بعين الحكومة وعقلها.

قلة قليلة ممن كانوا يعرفون أنها اشتهرت بذاك اللقب، نسبة للرمز الغريب

لمؤسسته! فكر الأشيب في ذلك وهو شارد في صورة الغلاف للمجلة الأسبوعية التي تصدرها المؤسسة، كانت صورة جوية، تظهر روعة التصميم المعماري لمباني المؤسسة، التي كانت تتشابك معًا في نظام دقيق، لتحاكي رمزًا هندسيًا أشبه بعين مغلقة، ذاك الرمز الذي لم يتغير منذ أن تأسس هذا الكيان العتيق، تحت مسمى (جي. أرلام) وذلك في منتصف القرن التاسع عشر قبل أن تشتهر كمؤسسة مساهمة في الحركة الاقتصادية، فور امتلاك عائلتي ديركفلو وأدلنشرو، لأكبر حصة من الأسهم، ولكن في عام 1991 تمت إعادة هيكلة المؤسسة على يده، والتوسع في مجالاتها العلمية لتظهر المؤسسة في شكلها الجديد وبتغيير اسمها إلى (أ.د.ميمذر)، مثلما تغير اسمه القديم (سام إزرا جابريال) ليلقب بـ (العم) عند السلطات الأمريكية قبل أن يشتهر باسم الأشيب مؤخرًا.

منذ عشر سنوات فقط، لم يكن أكثر من إسكافي فقير، يقطن المحل الذي ورثه عن أبيه، والذي كان يصدعه على الدوام بأنه من أصول عائلة ثرية، وأن جده (جابريال) كان يملك تلك المؤسسة قبل اختفائه في ظروف غامضة، لتهيمن فيما بعد كل من عائلتي ديركفلو وأدلنشرو على أكبر حصة في المؤسسة. كم من مرة سخر فيها من ترهات والده وأكاذيبه الواهية. ولكنه لم يتخيل أن السنين ستمر، وسيصبح مالكًا للمؤسسة تلك وفي تلك المكانة المرموقة، التي تتجاوز في سلطتها سلطة أي رئيس دولة في العالم. وعلى الرغم من كل هذه الهيبة إلا أنه كان يشعر بأنه لا يزال ذاك الإسكافي الفقير الذي كان عليه في يوم من الأيام.

ربما كان ينسى أو يتعمد تجاهل صورة هذا الغريب الأصلع الذي وضعه في هذه المكانة المرموقة، وطلب منه تغيير اسم المؤسسة إلى (أ. د. ميمذر)، والغريب في الأمر أن الناس لا تزال تخمن أن حرفي الـ (A.D) إشارة إلى عائلتي ديركفلو، وأدلنشرو، بل ووصل بهم الخيال لأن يعتقدوا أن رمز

المؤسسة تم تصميمه ليحاكي رمز الماسونية، نظرًا لانتماء العائلتين للماسونية بشكل صريح. ولكن سام جايريال، كان موقنًا بداخله من أن رمز المؤسسة وأسماءها المتعددة تشير لذاك الرجل الغامض وحده، الذي يُعتبر المالك الخفي لتلك المؤسسة بأكملها.

كان سر يقينه من ذلك يرجع لما حدث معه، فإن رأيت رجلًا غريبًا يطرق بابَ منجرك، ويعرض عليك منصبًا كهذا، وبمرور يوم واحد تستيقظ لتقرأ في الصحف عن وفاة المالك لأكبر حصة في المؤسسة، وأنك أنت من اشتريت حصته بأكملها. بالطبع هذا ضرب من الخيال، ولكن هذا ما حدث معه بالضبط، ليصبح في ليلة وضحاها رئيسًا للمؤسسة بأكملها.

من هذا الرجل؟ هل هو جني المصباح؟ ولكن لا.. ثمة طلب كان مقابل كل هذا!

البحث عن طفل صغير تتولى المؤسسة رعايته!

من هذا الطفل؟

إحدى عشرة سنة ولا يزال يبحث عن طفل مجهول الهوية، دون اسم، ولا أي شيء يميزه عن بقية الأطفال. سوى أنه عبقري. ما هذا الجنون؟! والمثير في الأمر أنه عندما سأله عن كيفية العثور عليه، نصحه مستهزئًا، أن يقيم مسابقة عالمية للعثور عليه، «ويمكن اسمها (ذي. إم. تو. إي.) على سبيل المثال». هكذا أخبره بالضبط بنبرة الاستهزاء ذاتها. وعلى الرغم من أن فكرة هذا الرجل بدت هزلية إلا أن الأشبيب انصاع لها دون تفكير ومضى في تنفيذها بالحرف.

ومنذ ذلك اليوم، لا يزال قائمًا هذا المشروعُ السريّ، الذي يُظهر للمواطنين في هيئة مسابقة لتبني العباقرة، حتى صارت المؤسسة تعج بعدد كبير من الأطفال، ولكن لم يعثر على الذي المنشود بعد. كان أحيانًا يفكر في أن هذا

الرجل الغامض قد مات أو أنه ملاك وضعه في هذا المكان لسبب وهمي ورحل.

وتكن كل هذه أفكار بلهاء؛ فعثوره على الفتى بمثابة الخطوة الأولى لبشبت جدارته. أجل هذا ما أخبره به ذاك الغريب، والدليل يقبع أمام ناظره؛ ففي أحد أركان الغرفة الواسعة تلك، تقبع لوحة قديمة، مصنوعة من الجلد، ومرسوم بها رمز المؤسسة. لقد شدد هذا الغريب عليه أن يحافظ على هذه اللوحة جيدًا. وعندما يعثر على الطفل، سيحين وقت لقائهما مجددًا. فقط كل ما عليه أن يقف أمامها ويهمس باسمه؛ فاسم هذا الطفل هو مفتاح العبور.

عبور ماذا ؟!

كان هذا هو الجنون عينه، فلو أخبر أحدًا بذاك لظل يضحك ساخرًا. وكلما كان يستبد به الكبر، يفكر في إحراق هذه اللوحة، كي ينسى كل هذا الهراء.. ولكنه لم يكن يقوى على ذلك خوفًا من أن يعود لمتجره القديم أو على الأرجح إلى قبره.. ولهذا ظل أمينًا في مسعاه طوال هذه المدة، ولا يدري أهو عثر على الفتى ولديه ما يكفي من الغباء حتى لا يكتشفه أم إنه لم يعثر عليه بعد...

«إي. ذي. إي. إم.. وكأنه ينهجي اسمه !».

استفاق الأشيب من شروده، لحظة سماعه لتلك الحروف التي نطقت بها تلك السيدة وهي تتزمر. كانت لحظة صادمة، حيث رفع إصبعه وهو يميل برأسه مستفسرًا عما ذكرته للتو. خيم الصمت للحظات ما بين تشوق الأشيب وتردد الخبيرة النفسية، تنحنحت في خوف، ثم أجابته بأن هذه الحروف كان يرددها ذاك الطفل كثيرًا، ثم أفصحت عن فكرة مزلية راودتها يومًا ما: «لدرجة أنني اعتقدت أن مسابقة العباقرة تمت تسميتها نسبة لحروف

اسمه».

بدا الأشيب مصعوقًا. هكذا لاحظت من تعابير وجهه، لدرجة أنها شعرت أنها تفوهت بمعلومة بالغة الأهمية. لو صمتت قليلًا، لحصلت على مبلغ مالي لا نحلم به، مقابل إخباره بتلك المعلومة.

«اسمه آدم!»، غمغم الأشيب بصوت مسموع يحدث نفسه، فابتسمت العاملة علّها تعود الفرصة لها من جديد: «أجل لقد اعتقدت أن هذا اسمـــ...»، ولكنها توقفت عن الحديث لحظة أن رفع إصبعه وقاطعها شاكرًا.

في تلك اللحظة أيقنت الخبيرة، بأن وقتها قد انتهى، وبالفعل في غضون ثوانٍ كانت قد غادرت الغرفة، وهي تتمتم من الغيظ، تلعنه وتلعن كل من يعملون في تلك المؤسسة.

دي، إم، تو، إي، تعني آدم!

شعر الأشيب برهبة كبيرة؛ فتلك الحروف لم تكن سوى اسم هذا الطفل، «آدم»، كيف فاته ذلك. في تلك اللحظة التفت عيناه من تلقاء نفسها، لتثبت جهة اللوحة الجلدية المعلقة على الحائط. لقد عرف اسمه الآن، ولكنه لم يعثر على الفتى بعد! فكر في ذلك ولكنه كان لا يزال مصرًا على أن يتأكد من أنه حصل على الاسم الصحيح، توجه إلى تلك اللوحة بخطى مترددة ، ثم وقف أمام اللوحة ونطق بكلمة آدم. كررها مرارًا حتى شعر بسخافته عندما لم يحدث شيء.

أي جنون هذا؟!

حدّث نفسه، متذكرًا قصة علي بابا والأربعين حرامي، وقدماه تتحركان إلى نافذة الغرفة، التي امتدت بعرض الحائط وطوله، لتظهر ساحة المؤسسة

الأمامية، في أبهى صورة لها وتلك النافورة الضخمة التي تتوسطها، نعلوها خطوط ضوئية متداخلة، تمثل رمز المؤسسة. همس داخل نفسه: «النعنة على هذا الرمز». كلما نظر إليه، انتابه شعور مخيف كما لو أن هذا الغريب يراقبه. تمنى لو كان الأمر كله مجرد خيال، ولكن إن كان الأمر خيالًا حقًا، فوجوده في هذا المنصب وهذه المؤسسة، جزء من الخيال ذاته.

(15)
الورقة المفقودة

هذا هراء.. ومضيعة للوقت!

صاحت إميلي متأففة، لحظة سقوط سيارة راي، للمرة الثالثة، في فتحة المدفأة العلوية.

سأله جيمس: «أواثقٌ يا راي من أن جدك لن يوبخك ما إن يرى ما فعلناه بالحديقة».

ابتسم راي بطمئنه: «بالطبع لا! جدي لا يغضب مني مهما حدث».

لقرابة أربعة أيام، عكفت إميلي وجيمس على مساعدة راي في بناء مضمار شبيه بالمضمار الذي ستجري فيه المسابقة، وبعد الاتفاق على الخطة كلها، إذ براي يفاجئهم بفكرة إضافية وهي أن السيارة ستطير وتحلق قرب خط النهاية لإبهار الجمهور.

«بالطبع إبهارهم!»، صاحت إميلي. «مثلما أبهرتنا الآن بسقوط السيارة في فتحة المدفأة».

وضح راي السبب: «إنها ليست لإبهارهم وحسب.. إنها حيلة جيدة أيضًا لتخطي هذا المنحدر شديد الانحدار».

«ولماذا؟!»، قال جيمس. «خطتك الأولى جيدة.. والخطاف الذي ستضيفه للسيارة سيساعدها على تخطي خط النهاية بسهولة ويسر!».

«ربما ___ !»، قال راي. «ولكن المسابقة في المقام الأول، نعتمد على الحيل

والأفكار المبتكرة.. واللجنة حتماً ستتوقع أن الأغلبية ستلجأ لهذه الحيلة التقليدية».

اعترضته إميلي: «ولكن برمجتك للسيارة على تجاوز كل هذه المراحل، وسبلة غير معهودة بالمرة، ستمكنك من تحطيم الرقم القياسي وإحراز المركز الأول بسهولة.. أما فكرة الطيران والبحث عن إبهارهم فسيؤخر وصول سيارتك للنهاية في الوقت المناسب، حتى لو كنت واثقًا من نجاح الأمر هائة بالمائة.. وحينها ستجد الكثير من المتسابقين اجتازوك».

أجابها راي: «أنت محقة.. ولكن أستاذ والت، أخبرنا أن المسابقة في كل سنة تحمل مفاجآت، هذه الصعوبة الحقيقية، عوائق مجهولة لا ندري عنها شيئًا في مضمار نحسبه آمنًا.. وإدارة المسابقة حتمًا ستضع عوائق ومفاجآت قادرة على إفشال خطط الكثيرين.. وفكرة الخطاف، تقليدية ومتوقعة وحينها قد تكون سببًا في خسارتي وليس فوزي».

خيال اللجنة لن يصل إلى هذا الحد!

«لا أظن ذلك!»، أشار راي جهة المضمار معللًا: «هذا المضمار تم تصميمه ليقلل عدد السيارات مع كل مرحلة، مرحلة تعتمد على التوازن، وأخرى تعتمد على دقة الحركة وزوايا الانحناء.. إنه ليس سباق سيارات تجري خلف بعضها حتى تصل لخط النهاية.. إنه سباق للسيارات الذكية، كما قال أستاذ وبل.. وأي شيء خاطئ بعني سقوط السيارة في المياه أو تعرقلها في الوحل أو غوصها في الرمال المتحركة، أو احتراقها أو تهشمها.. نعم البرمجة التي قمنا بها ستساعدني على تخطي كل هذه العقبات التي لن يتخطاها إلا قلة قليلة من المتسابقين، والبرمجة التي قمت بها ستمكنني من التفوق عليهم في عامل السرعة.. إذًا لِمَ لا أبهرهم بروعة اجتيازي لخط النهاية».

«أنت بالفعل ستبهرهم»، غمغمت إميلي، «ولكن بحماقتك!».

قال جيمس: «قلق إميلي في محله يا راي؛ فالزمن الذي نستغرقه السيارة في التحليق كي نصل لخط النهاية سيستغرق سبع دقائق على الأقل».

ما المشكلة؟!

أجابه جيمس موضحًا: «المشكلة أنك لا تعلم من سيجتاز هذه العقبات منك ويحرز المركز الأول.. وسيارتك لا تزال ترتفع في الهواء كالسلحفاة.. السرعة عامل رئيسي للفوز، ولا بد أن تحافظ عليه حتى خط النهاية.. لا بد لسيارتك من أن تنطلق ببراعة وتجتاز خط النهاية باحترافية كبقية المراحل.. وإن كنت تريد إدهاشهم بتحليقها فلتزدْ سرعة الصعود وحسب.. اجعلها تبدو كصاروخ صاعد ولكن على الأرض!».

«ماذا قلت؟!»، سأله راي وهو ينظر في شرود جهة المضمار. «كالصاروخ الصاعد»، كرر جيمس تشبيهه، وهو ينظر لإميلي باستغراب.

انتفض راي منفعلًا: «أجل، أنت محق.. هذه هي الحيلة.. كالصاروخ الصاعد».

ظل جيمس وإميلي ينظران لبعضهما لحظة أن وثب راي وارتكز بركبته على الأرض، يحدث نفسه كالمجنون، ويخط بقلمه رسومات هندسية، وبعض الحسابات الرياضية على جزء من البساط الجلدي الذي يجلسون فوقه.

ارتكزت إميلي بجواره: «أيًا كانت فكرتك.. فلا بد للسيارة من أن تجتاز المرحلة الأخيرة في دقيقتين لتحافظ على سرعة تقدمها».

أجابها راي وهو يهز رأسه: «لستُ بحاجة للوصول إلى المرحلة الأخيرة».

ما هذا الجنون؟!

غمغم راي قائلًا: «لا وقت للشرح حتى تكتمل الفكرة». أخذ يحيط ما قام بخطه، بإطارات مظللة: «غدًا سنبدأ العمل على الفكرة الجديدة.. مني وسارة

قادمنان اليوم.. وغدًا ستساعداننا في تنفيذ الفكرة الجديدة».

امتعضت إميلي: «أخشى أنك ستجعلنا محلًا للسخرية يا راي!».

غمزها راي وهو يبعثر شعرها: «لا تقلقي يا غبملي!».

«لقد طفح الكيل!»، صرخت إميلي وهي تدفعه، لتقفز فوقه وتنهال عليه بالضرب: «آلاف المرات أخبرك بألا تنعتني بهذا الاسم.. ولا تزال مصرًا على ترديده !».

ظل جيمس يحاول فصلهما عن بعضهما، حتى تراجعت إميلي وهي تمسك يدها التي آلمتها من كثرة الضرب، أما راي فتمدد على الأرض وأخذ يضحك مقهقهًا: «وآلاف المرات أخبرتك أن يديك ضعيفتان لا تؤثران في جسدي البتة!».

ظل راي يضحك، وإميلي تدفعه بقدميها في غيظ، وجيمس يراقبهما وهما يتشاكسان بعضهما، حتى طرح عليه سؤالًا يحيره...

لماذا تصر يا راي على أن تكون السيارة قادرة على التحليق والطيران؟ أليس لكل شيء وظيفة؟ السيارة تسير على الأرض، والطائرة تحلق في الهواء.

أجابه راي: «إنه حلمي يا جيمس.. منذ أن كنت صغيرًا وأنا أحلم بأن أرى سيارات طائرة.. عالم جديد ما بعد عصر السرعة».

- «أجدادك المصريون ابتكروا العجلة وأنت تريد زوالها».

- «بالطبع لا.. ولكنني أشعر بأن الوقت قد حان كي تتحول العجلة إلى كرة تحلق في السماء.. هل تخيلت قبلًا سيارة تحلق في السماء بكرات بدل العجلات».

حاولت إميلي السخرية منه، «إنني لا أمزح»، قاطعها راي بصوت جادٍ، أخذ

يرق تدريجيًا ليتحول لنبرة حالمة. «لقد سقطت تفاحة نيوتن وحان الوقت لترتفع ونحلق في السماء.. فكرا معي ماذا لو تمكنتُ من صنع سيارة تحلق في الهواء؟ ماذا سيحدث حينها في هذا العالم؟ سيكون عالمًا آخر، مختلفًا عما نعرفه.. إنني دومًا ما أتخيل نفسي أقود سيارتي الطائرة وبجانبي بوني وهي منبهرة بي.. والجميع !».

«هراء !»، صاحت إميلي وهي تقترب منه وتضربه على رأسه.

ثوانٍ وتبدد سرابه الحالم، بضربة أخرى من يدها، جعلته يتميز من الغيظ، وهي توبخه بشدة: «كل ما تقوله بمثابة هراء.. لن يتحقق أبدًا.. طالما ذكرت اسم هذه الفتاة».

صاح راي في حنق ظاهر: «لماذا تكرهينها يا إميلي؟!».

«انتظر لمن يصادقونها!»، أجابته إميلي في صياح، «وعلى رأسهم ديريك، هذا المعتوه الذي لا يكف عن مضايقتنا».

قاطعها راي: «ديريك يضايق ويسخر من الجميع.. ورغم ذلك عندما يسخر مني فهي لا تضحك».

«إنها تضحك!»، دفعته إميلي وهي تنهض، «ولطالما كانت تضحك.. أم إنك نسيت لحظات بكائك لأنهـ ».

صمت راي مبهوتًا وطأطأ رأسه، غير قادر على مجادلتها!

نظرت إميلي لجيمس قائلة: «هيا بنا يا جيمس.. لا فائدة من وجودنا هنا، صديقك يبحث عن بوني».

صاح جيمس يناديها وهي تغادر مبتعدة: «انتظري يا إميلي».

نهض جيمس وهو ينظر لراي: «إنها محقة يا راي.. بوني تهتم بديريك وكل

التلاميذ يعرفون ذلك.. إلى جانب أنني رأيت بوني مرارًا وهي تضحك لحظة سخريتهم منك».

أجابه راي: «الجميع يضحك.. ولكن إميلي تكرهها منذ سنين.. وبدون سبب!».

«لو كانت تكرهها فهذا لأنها معجبة بك يا راي.. وتغار كلما ذكرت ».

«أنت مخطئ»، قاطعه راي. «كلانا يعلم جيدًا إلى من تكنّ إميلي مشاعرها».

لم يتحدث جيمس، ووقف يحدجه في حرج: «هيا الحق بها، فلو كنت مكانك لما تركتها لحظة واحدة».

أومأ جيمس دون كلمة واحدة، وهم بالرحيل، ولكن راي أوقفه: «مع بداية الفصل الدراسي الثاني.. اعتبر نفسك جالسًا بجوارها.. سنستبدل مقاعدنا».

وهل ستجلس وحيدًا؟!

«لطالما كنتُ وحيدًا يا جيمس»، نصنّع راي الابتسام وهو يطأطئ رأسه: «بإميلي أو بدونها.. لطالما كنت وحيدًا».

☆☆☆

راقب راي جيمس وهو يلحق بإميلي، حتى رافقها ليختفيا بعد ذلك عن ناظره. في تلك اللحظة دمعت أعين راي تأثرًا بما قالته إميلي. لقد كانت محقة في كل شيء، ولكنه لا يزال يعاند نفسه. في تلك اللحظة شعر بصداع في رأسه. إنه الصداع ذاته الذي يكرهه، تمنى ألا يستمر طويلًا، وخاصة أنه على أعتاب مسابقة لا بد أن يثبت فيها جدارته.

وإلا فسيكون دبريك محقًا!

ابتسم وهو ينهض، يفكر في ذلك. فمنذ اللحظة الأولى وإميلي تعشقه وتغضب إن غازلته أحد. لقد كانت تسعى للفوز بقلبه ولكنه لطالما اعتبرها أخته. توجه راي صاعدًا إلى سطح المنزل، وهو يواصل تفكيره في إميلي، تلك الفتاة التي لم ير أجمل منها؛ ورغم ذلك لم يقع في حبها، على عكس بوني التي تعلق بها من النظرة الأولى. هل سحرته؟ لا يزال يذكر فكرة إميلي الخيالية؛ عندما أخبرته أن بوني ساحرة وأوعزت والدها بصنع تعويذة ليقع في حبها.

لطالما كانت إميلي تملك خيالًا واسعًا.

وصل راي إلى سطح المنزل ثم انحنى برأسه لينظر في فتحة المدفأة، فوجد السيارة عالقة في المنتصف. قفز بحرص وراح يهبط عبر الفتحة بحذر وبطء ثم إلى أن وصل إلى السيارة. مد يده بحملها، ولكنه فجأة انزلق وسقط داخل المدفأة على حطام الفحم. ابتسم لأن المسافة لم تكن كبيرة ولكنه التفت بجانبه فلم يجد السيارة. اتكأ على يديه يبحث عنها، فوقعت عيناه على فجوة مربعة الشكل، تبدو كمدخل لحجرة تقبع أسفله.

ما هذا المكان؟

انتبه لسلم خشبي يوصل لهذه الحجرة. هبط راي وراح يجول حوله في هذا المكان. كان ضيقًا للغاية، ولا يصله سوى ضوء ضئيل من نافذتين صغيرتين كالتي توجد في القبو، هذا يعني أن هذا المكان بجانب القبو. بحث عن باب في تلك الغرفة فلم يجد سوى هذا الفجوة المربعة الشكل التي هبط منها. هل يُعقل أن هذا مدخلها؟ هل هي غرفة سرية؟

ولكن لماذا؟!

دارت الكثير من الأفكار في رأسه وهو يتفحص محتويات الغرفة، التي لم تكن سوى كرسي قديم، ومنضدة، وكتب وأوراق كثيرة مكدسة في الأرض وعلى

الأرفف.

أمسك راي مجلدًا ضخمًا كُتب عليه (العائلة)، ولكن بمجرد أن سحب المجلد، سقط بعض الكتب وتبعثرت أوراقها على الأرض. كان منها ما هو ممزق وعتيق للغاية. لم يكترث راي وظل يتصفح المجلد الذي في يده. كان يحوي صورًا لجده وجدته ووالدته وهي صغيرة للغاية.

ابتسم راي؛ فلقد كانت تشبه مني كثيرًا، وكأنها نسخة منها. ظل يقلب الصفحات وهو في غاية انبهاره. فقط سؤال واحد كان يشغل رأسه: أين التقطت هذه الصور؟ ولكن سريعًا ما تبخر هذا السؤال، لحظة أن وقعت عيناه على صورة تجمع جده وشخصًا آخر يعرفه جيدًا.

«ما هذا الذي أراه؟!». اتسعت أعين راي من الدهشة. «إنه !».

كان راي يعرفه جيدًا. «إنه والد بوبي.. السيد جراي».

كان جليًا في الصورة أن السيد جراي وجده يعرفان بعضهما جيدًا. وبينما كان يفكر في ذلك، إذ بصوت جده يتناهى إلى مسامعه.

يا للهول.. لقد عاد جدي!

أسرع راي يضع كل شيء مكانه، ومن سرعته راح يضع كل ما تساقط في أي مكان، ولكنه فجأة أمسك ورقة غريبة كانت ملقاة على الأرض بين الورق. كانت ثقيلة وسميكة عن بقية الورق، وكأنها صفحة متقطوعة من كتاب قديم للغاية. ألقى نظرة سريعة على الورقة، فلاحظ أنها مكتوبة باللغة العربية. لقد كان رقم الصفحة بالرسم العربي. هذا ما لاحظه، فتطلع إليها ثانية، ولكن السبب لم يكن في أنها باللغة العربية، ولكن ترقيم الصفحة نفسه كان غريبًا.. (2588).

مستحيل.. لا يمكن أن يكون هذا رقم الصفحة!

ثمة كلمة تعلو رقم الصفحة (با.. بل.. يو.. را). أعاد نطقها كاملة (بابليورا).

ألقى نظره على الفقرات المطبوعة في الورقة، وفجأة تناهى إلى مسامعه صوت نداء جد. أسرع في الصعود إلى فتحة المدفأة، وأغلق الباب الحديدي والخروج منه.

أمــجــد!

جاءت صرخة نوح كالصاعقة: «ماذا تفعل عندك؟».

نهض راي في اضطراب، وهو يحاول الابتسام، ولكنه لم يقدر على ذلك ما إن أبصر وجه جده الغاضب، للمرة الأولى يرى جده غاضبًا بهذا الشكل. لم يقو على النطق إلا عندما لاحظ الجد أنه يخفي شيئًا خلف ظهره: «ما الذي تخفيه وراء ظهرك؟».

تلعثم راي والجد يقترب منه ويمسك ذراعه، فإذا بالسيارة هي التي في يده.

هتف راي متلعثمًا: «لقد سقطت السيارة في فتحة المدفأة وجئت إلى هنا لأجلبها».

تفحصها الجد قائلًا: «جئت لتجلبها أم تسلقت إلى الأعلى وسقطت من فتحة المدفأة».

تصنع راي الابتسام، ولم ينبس بكلمة واحدة.

قال نوح: «لو علمت والدتك فستغضب مني.. كان من الممكن أن يصيبك مكروه».

أومأ نوح ثم ابتسم وهو يربت على وجهه، فتصنع الابتسام، ولكن في الوقت ذاته كان قلبه يخفق بشدة، لدرجة أنه ظنَّ أن جده يسمع نبضاته! مرت ثوانٍ من الصمت وكأنها ساعات حتى صدح صوت أخته الذي أنقذه.

دخلت سارة ومني وهما تضحكان، فجرى نحوهما. فتساءلت سارة: «ما الذي لوث ملابسك هكذا».

أجابها الجد قائلًا: «لقد كان يمني مضمارًا للسباق مع إميلي وجيمس.. هيا بنا لنراه معًا».

استدار وغمز لراي: «هيا أسرع يا راي لتستحم وتبدل ملابسك.. ونحن سننتظرك بالخارج لتروا نسرك المخادع كيف يحلق».

ابتسم راي وهرول صاعدًا إلى غرفته، وهو يفكر في ماهية هذه الحجرة الضيقة؛ هل هي سرية حقًا، وما علاقة عائلته بأسرة بوي؟ مزيج من السعادة والخوف سيطر على كامل حواسه وجعله يوقن من أن ثمة أمرًا سريًا يخفيه جده، سر جعله غاضبًا لحظة أن رآه بالقرب من المدفأة.

أخرج راي الورقة من جيبه، وفتح خزانته ليخبئها. «لا يجب أن يعلم جدي أنني »، توقف عقله عن التفكير، وعيناه تحملقان في الورقة التي بيده. ارتجفت يداه وهو يقلب الورقة على وجهيها، لا يصدق ما يراه!

كانت الورقة فارغة، مجرد ورقة باهتة لا أثر لأية كلمة بها.

(16)
النسر المخادع

يا للهول ما هذا؟!

اتسعت أعين إمبلي لحظة رؤيتها لكل التغييرات والعوائق التي وضعت بالمضمار، ولكن ليس بقدر صدمتها وهي تحملق جهة خط النهاية، حيث المنحدر الصاعد. ثمة مطرقة عملاقة كانت تعلو وتهبط بشكل مرعب وخاطف، وكأنها تحذر من سيجرؤ على الاقتراب منها. «جيد أن راي لم يستمع لفكرتي». فكرت داخل نفسها وجيمس بجوارها يؤيدها بصوت ذاهل.

بالضبط كما توقع راي!

رفعت إمبلي رأسها، باحثة عن راي بين المتسابقين. كان واقفًا بالأعلى، حيث المنصة العلوية التي تسمح له برؤية المضمار من بدايته لنهايته. كان المضمار يمتد على مساحة ملعب لكرة قدم. لم يعبأ راي بما استجد بالمضمار، حيث كان يتلفت حوله يبحث عن شيء ما، ولا يبدو على وجهه القلق مطلقًا.

«عمَّ يبحث هذا الأبله؟!»، تساءلت إمبلي في نفسها، فجاءتها الإجابة على الفور لحظة رؤيتها لبوني.

«تبًا لك يا راي»، همست في غيظ، وهي تنظر نحو التي وقفت بجوارها هي وسارة، تلوحان لراي وتناديانه. استدار راي وانتبه لهما، إلا أن إمبلي ظلت منتبهة لبوني التي رفعت رأسها، تنظر لراي حيث يقف وتبتسم له.

«بوفي نبتسم لراي!». همست إميلي بداخلها غير مصدقة. «ربما ننظر لديريك!». فكرت بذلك وهي تجول بعينيها باحثة عنه، ولكن ديريك كان من بين المتسابقين المتأخرين، حيث رأته عبر الشاشة الكبيرة، وهو يضع سيارته عند خط البداية، ليهرول بعدها صاعدًا إلى مكانه.

أعـــزائـــي الجـــمـــاهـــير!

صدح صوت المعلق عاليًا: «أعزائي الجماهير، في هذا اليوم الذي يجتمع فيه شباب المستقبل، على سباق المتعة والإثارة، أود إخباركم أنه لم يفز أي شخص في هذا السباق في سنة الأيام السابقة». دوى صوت ضحكات بين الحضور، ليتابع المعلق من جديد: «أجل لا أحد على الإطلاق.. ورغم ذلك لا تزال الجماهير متشوقة؛ يتطلعون إلى فائز يكسر عقدة هذا المضمار.. أعلم أنه مضمار الموت، ولكنه لا يزال من أمتع وأفضل مسابقات (دي. إم. نو. إي.) المستحدثة.. ولكن السؤال الآن: هل سيكون يومًا مختلفًا؟ هل هناك مفاجآت تنتظرنا؟ هل سيكون السباق مثيرًا؟ هذا ما يتطلع الجميع لرؤيته، ورؤية المتسابق الذي سيعبر خط النهاية».

علا صوت الجماهير بشكل أكبر، فضحك المعلق: «حسنًا، حسنًا.. لا بد أنكم متشوقون لمعرفته على أحر من الجمر، فلنحي معًا أبطالنا المتسابقين، فالعد التنازلي على وشك البدء، وها هي ساعة الإثارة، ساعة المتعة...

علا صوت موسيقى حماسية تصدح في الخلفية، مع العد التنازلي (20، 19، 18...)

لمحت إميلي راي يغمزها، ويشير بوجهه المبتسم جهة خط النهاية. مالت بوجهها له في امتعاض، لتتفاجأ بوكزة خفيفة من مني. «لماذا يغمزك!». (14، 13، 12، 11....).

- «ألا تعلمين أخاك.. إنه معتوه». (9، 8، 7...).

- «لا تنعتيه بالمعتوه.. أنا فقط من أدعوه بذلك!». (3،4،5....).

«اصمتا أنتما الاثنتان!»، صاحت سارة وسط تهليل الجماهير، وصافرة الانطلاق تغطي على صوت الجميع...

وبدأ السباق...

انطلقت السيارات عبر هذا المضمار، الذي بدا كطريق خيالي من عالم آخر، تم تصميمه ببراعة فائقة، وتنظيمه بشكل دقيق، ليتدرج في الصعوبة مع كل مرحلة منتقدمة من المراحل السبعة. فقط المرحلة الأولى كانت أسهل المراحل، والتي كانت عبارة عن طريق مستقيم به بعض الانحناءات الطفيفة، التي تنتهي عند المرحلة الثانية (الأرض الرملية).

النرم بالخطوط الآمنة، صاح المعلق ليقرأ لافتة المرحلة الثانية.

بمجرد اقتحام السيارات للمرحلة الثانية، بدأت بعض السيارات تتعرقل وتتوقف، مما أدى إلى حياد بعض السيارات عن الخطوط الآمنة، لتواجه أولى العوائق الخفية، وهي أن الرمال (متحركة)! ففي غضون ثوان، بدأت السيارات تختفي أسفل الرمال، أما سيارة راي فلم تصل للمرحلة الثانية إلا عندما وصلت السيارات للمرحلة الثالثة.

نافخت إميلي وهي تتابع تقدم السيارة البطيء، كانت حركتها تثير الضحك والغيظ، لا تقلقي هذا جزء من الخطة! هكذا أخبرها راي في صباح هذا اليوم.

لم تكن إميلي على دراية بالخطة، على عكس مني التي بدت منشوقة لها، في ذاك الوقت، انتبهت إميلي لسيارة وحيدة لا تزال تتحرك ببطء شديد في منتصف المرحلة الأولى، كانت تحمل رقم (18)، تطلعت لصاحبها الذي كان يقف بجوار دبربك، ثم انتبهت لسيارة دبربك التي كانت بين السيارات المتقدمة.

كان عدد السيارات المتوقفة والخارجة عن السباق، في ازدياد، ومع ذلك لم تسقط سيارة ديريك. «باله من محظوظ!»، فكرت إميلي في ذلك، وهي تراقب سيارته المسرعة، وهي توشك على تخطي المرحلة الرابعة (المائية).

لم يتبق سوى ثلاث مراحل!

أرجعت رأسها منتبهة لسيارة راي التي تحمل رقم (19)، وهي تفكر في غبظ أكبر. لقد كانت البرمجة الحاسوبية لتخطي مراحل السباق، فكرة رائعة للغاية. وخاصة تلك الحركة التي كانت ستقوم بها السيارة، في المرحلة ما قبل النهائية، بأن تسير على حافة المضمار.

همست إميلي متأففة، وهي تحدث نفسها: «وهذا الأبله ألغى كل هذا وكأنه يتعمد إغاظتي».

لم تكن إميلي تعلم أي شيء عن الخطة الجديدة؛ لأنها تغيبت عن حضور تجربته لها، يوم أمس. رفعت رأسها تنظر لراي، فابتسم لها وغمزها، ليصدح بعدها صوت المعلق: «السيارة رقم (19) تفقد توازنها.. هل ستحيد عن الخط؟ هل ستحيد؟ أووه يا إلهي.. لقد سقطت في حوض المياه.. إنها الضحية السابعة التي تسقط في المرحلة المائية».

صُعقت إميلي، لا تصدق ما حدث. وكزتها منى. «هذا جزء من الخطة!».

أي خطة حمقاء هذه! صرخت إميلي، وهي تنظر لراي الذي انتبه لعدد السيارات المتبقية. وكلها أوشكت على اجتياز المرحلة الخامسة، أو لا تزال في منتصف المرحلة الخامسة. في تلك اللحظة انتبهت لديريك الذي انخرط في الضحك. خمنت سريعًا سبب ضحكه. فدمعت عيناها وهي تصيح بصوت ضعيف: «أخوك هذا منحوس ويكره النجاح».

في تلك اللحظة، كانت بوني تنظر لراي ثم تنظر لأخيه وصديقيه. لم تكن

تدري ما الذي يحدث، كانت تشعر بأن ثمة شيئا سيحدث، كانت نظرات راي المترقبة تفصح عن ذلك. أما راي فلقد كان يترقب وينظر في ساعة يده، وكل ثانية يزداد خوفه. هل سيخطئ توقعاته وسيكون بين المتسابقين شخص يستطيع تخطي خط النهاية قبله. كانت تلك المطرقة العملاقة في النهاية، تبدد خوفه؛ فلا أحد يمكنه تخطيها مهما حدث.

تطلع راي لديريك الذي كان في أتم سعادته، ولكنه في تلك اللحظة لمح المتسابق الذي يقف بجواره. لقد كان يتابع السباق مثله. لم تكن يده على ذراع التحكم. حتما سيارته قد سقطت، همس بداخله ليخيب توقعه، متفاجئا بالسيارة رقم (18) تتقدم في المرحلة الثالثة ببطء شديد. كيف لم يلحظها؟ ازدادت ضربات قلبه، وشعر بقلق شديد. هل يقوم بتفعيل الفخ الآن؟ ارتجفت يداه، وبدون تفكير ضغط زر التفعيل. ليصدح بعدها صوت المعلق...

«ها هي المرحلة الأخيرة، لا تنخدع فيما تراه»، صاح المعلق وهو يقرأ لافتة المرحلة النهائية.

كانت الشاشة العارضة، تظهر سيارة ديريك تتقدم بين سبع سيارات، على وشك الوصول للمنحدر الصاعد. كان يدور في خلد الجميع أن ثمة سيارة سيحالفها الحظ وستتخطى تلك المطرقة.. ولكن توقعاتهم خابت لحظة إطلاق السيارة الأولى لخطاف، ليصطدم بنقطة عالية في المنحدر، ثم سقط والمنحدر يهتز لأعلى وللخلف، تاركا السيارة الأولى تسقط في فجوة تقبع أسفله.

مرت السيارة الثانية لتلقى المصير ذاته. والثالثة، أما السيارات الأربع، فلقد حالفها الحظ لتصعد المنحدر وتتقدم به لثوان، لتهبط المطرقة وتصطدم مع طرف المنحدر بقوة، تتلقى ثلاثة سيارات طريقها في الهواء خارج المضمار.

كانت سيارة ديريك المحظوظة التي تلقت دفعة صغيرة لتجتاز المطرقة بأعجوبة، وتتقدم صوب خط النهاية وديريك يهلل وهو في غاية سعادته لأن المطرقة ارتفعت عاليًا، ولكنه لم ينتبه إلى أن المطرقة لم تهبط ولكنها أكملت دورتها لتهبط فوق سيارته وتهشمها إلى فتات.

ضحك المعلق: «هذه المرحلة لا تعرف الرحمة، وعنوان السباق ليس السرعة ولا مكان للحظ هنا!».

صرخت إميلي من الفرح، وأثار ذلك الدموع في مقلتيها: «ماذا يفعل أخوك؟ لماذا ينتظر؟ لماذا ينتظر؟».

لم يتبق سوى سيارة الشبح المخادع. صاح المعلق: «هل ستظل تتحرك كالحلزون أم إنها تخبئ لنا مفاجأة؟».

التفت الجميع للسيارة الوحيدة في المضمار، التي لم ينتبه لها أحد سوى إميلي. في تلك اللحظة بدا كما لو أن المتسابق يستعد لفعل شيء ما. وبمجرد اقتراب السيارة من المياه، إذ بها، تخرج ثماني مراوح ترفع السيارة عدة إنشات، لتحلق فوق المياه، قرابة نصف دقيقة، لتجتاز المرحلة المائية. ولكن السيارة كانت لا تزال تحلق وتجتاز المراحل بشكل مثير.

اشتد صياح الجماهير لحظة عودة الأمل. لم يتبق سوى مرحلتين حتى المرحلة الأخيرة، وأختنا راي تنظران إليه في قلق. خمن راي أن معدل الضخ ضعيف. ثمة ثقب بالبالون. خمن ذلك لحظة رؤيته لفقاعات هوائية تخرج من الماء. ربما لم يلحظها أحدٌ سواه، ولكن لو نظر أحدهم إلى حوض المياه فسيرونها جيدًا.

مرت عشر ثوان.. وسيارة الشبح المخادع تقترب من المرحلة الأخيرة.. خمس ثوانٍ على الإطلاق. بدأ راي يوجه ويضبط زاوية الإطلاق. ترك مكانه ليضبط الزاوية بدقة.

ماذا يفعل هذا المعتوه؟!

انتبه المتسابقون لهذا المتسابق المجنون.. وإذ به يُفعّل أمر الإطلاق، يتناهى إلى الجميع صوتٌ مكتومٌ يبعثه حوض المياه. التفت بعض الجماهير يؤشرون صوب المياه.. وإذا بانفجار مدوي يطرد دفعة هائلة من المياه لتنبثق من بينها كتلة نارية لم تتضح معالمها، ولكن الجمهور صاروا جميعهم يتابعونها وهي تحلق ككرة من النار، وتنطلق بسرعة هائلة صوب خط النهاية. فجأة نسي الجميع أمر الشبح المخادع، وتابعوا هذه الكرة المتوهجة التي بدأ يتضاءل وهجها، لتظهر سيارة راي مشتعلة وهي تحلق في الهواء. لقد قام بطلانها بزيت قابل للاشتعال...

«إنه يوم السحر والإبداع»، صدح صوت المعلق في ذهول. «ما هذا الذي تراه؟ شعلة نارية تحلق فوق المضمار وتنطلق صوب خط النهاية.. النسر المخادع، خدع الجميع ليثور من أسفل المياه ويحلق عاليًا بنيرانه المتوهجة.

يا ترى من سيفوز؟ من سيسبق؟!

وإذ بالسيارتين تتخطيان خط النهاية وصوت الجماهير يعلو ويعلو...

علا صوت المذيع والجميع يتابعون ما حدث في الدقيقة الأخيرة على شاشة العرض الكبيرة: مرحى.. ما أروع هذه السيارة المتوهجة! إنها حقًا نسر مخادع. الآن يصرخ محلقًا بوهج ناري، بعد أن اندفع من قاع المحيط، ويتوجه إلى خط النهاية بكل إصرار، ولكن الشبح المخادع، تغلب عليها بفارق ثوانٍ.

شاهد الجميع الإعادة على الشاشات وسيارة الشبح تمرق فوق المطرقة لتقذفها عاليا وتحلق بجوار سيارة راي، وتمرق قبلها بفارق ثوانٍ معدودة: «لقد سلبت بصفة النين عقول وأنظار الجميع ولكن الشبح المخادع كما خدعنا طوال السباق، فها هو يخدع النسر المخادع ويتخطاه.. أعزائي

الجماهير نحن بصدد عبقرية وإثارة لا تتكرر كل سنة.. عرض سحري تتحكم به عقول الصغار، كما ترون في شاشة الإعادة لقد خدعتنا هاتان السيارتان حقًا».

المركز الأول حصدته سيارة (الشبح الطائر) لصاحبها آدم لار، وتلتها سيارة (النسر المخادع) لصاحبها أمجد صلاح.

«أيها المشهور، المعتود، الأبله، المنحوس.. لقد فزت أخيرًا»، صرخت إميلي مهللة، وهي تقفز فوقه وتحتضنه، وجيمس بجانبها يدفعه ويرتب على كتفه مهنئًا، بينما كانت سارة ومني تهرعان إليه في سعادة بالغة ومني تصيح مهللة...

مباركٌ لك يا راي!

اقترب شابٌ طويل القامة، قصير الشعر، ذو بشرة قمحية، وهو يضبط نظارته في ابتهاج، ويمد يده ليصافح راي...

«مبارك لك أنت يا آدم»، صافحه راي بسعادة بالغة. «أنت تستحق المركز الأول بجدارة».

لمح راي في عينيه مدى تواضعه، وهو يبتسم في خجل ويجيبه: «أنت من تستحق هذا المركز».

جال راي برأسه وهو ينظر للجماهير، مستمعًا لكلمات آدم: «الجميع يتحدثون عن النسر المشتعل، وسرعته الهائلة.. لقد صُعقت عندما رأيت سيارتك تخترق المياه وتحلق كالشعلة في الهواء.. لو لم تشرب الغاز من البالون لكنت أنت الفائز»!

«ألاحظت ذلك؟!»، نظره راي مبهورًا، فتأوه آدم في ابتهاج: «أجل.. وهذا ما جعلني ...

صدح صوت المعلق ليغطي على صوته: «كنا كنا حديثًا عن مستقبل السيارات الطائرة.. لقد حان وقت التكريم أيها البطلان، هيا، هيا.. الجميع بريدون رؤيتكما على منصة التكريم».

☆☆☆

رحلت سارة ومني وهما تتحدثان عن سعادة راي البالغة وسط أصدقائه. كانت سارة في غاية سعادتها والجمهور يهتف باسم السيارة، ويتحدثون عما حدث في انبهار وعدم تصديق. وأثناء توجههما الى محطة المترو، إذ بمني تتوقف مصعوقة من هذا المنظر الذي استنزها، لتلعن في سرها وهي تهرول جهة شخص كان يركل فتاة تقف في استسلام لا تفعل شيئًا.

«أنـــت.. يا هذا»، صرخت مني في حنق، لحظة تبينها أن بوني هي الفتاة، وأن من يضربها هو دبريك.

«نعم أنت، أيها الخنزير!»، صاحت مني وهي تقترب من دبريك، الذي التفت لها وهو في قمة غضبه.

صفعت مني مؤخرة رأسه: «ما هذا الذي تفعله؟ تمد يدك على فتاة! وتركلها بقدمك!».

صفعته مرة أخرى. «أي وقاحة هذه أيها الخنزير؟!».

تراجعت بوني خلفها في صمت، فإذا بدبريك يمسك يدها ويسحبها إليه قائلًا: «دعينا وشأننا.. وارحلي من هنا يا أخت العاشل».

احمر وجه مني وهي ترفع يدها، تصفعه على رأسه مرارًا وهو بدوره لا يستطيع تفادي يدها.

صرخت مني في ضيق: «إياك وأن تدعو أختي بالفاشل.. أفهمت أيها الخاسر؟».

حاول أن يرفع يده ويضربها، فحدجته بعيون ذاهلة: «ماذا تفعل؟ أجننت؟ إياك وأن تفكر في مساس فتاة أبدًا.. أسمعتني.. ثم إياك وأن تقترب من بوني مجددًا.. أفهمت؟ هيا اعتذر لها.. هيا !».

حاول الفرار والابتعاد، ولكنها ظلت ممسكة به حتى أجبرته على الاعتذار، وهي تضربه على رأسه مرارًا.

صاحت بها سارة وهي تحرره من يدها: «يكفي يا مني.. دعيه يرحل إنه فتى صغير».

«صغير!» التفتت لها في استنكار، فاستغل ديريك الفرصة، وفر هاربًا وهو ينعتها بأفظع الشتائم، همت منى لتلحق به، ولكن سارة أمسكتها، وهي تصيح فيها.

لم تصمت منى، وظلت تغمغم مع نفسها، بينما تقدمت سارة برفقة بوني وهي تسألها عن حال والديها، لم تكن بوني تعلم أن والديها على معرفة بأسرة راي، لقد اعتقدت أنهما يعرفان والدها، نظرًا لترددهما كثيرًا على متجر الكتب.

شكرتهما بوني وهي في غاية سعادتها، لتنظر إليها منى في ضيق: «كيف تصادقين هذا ؟!».

كان باديًا على وجه منى التأثر، مما رأته منذ قليل: «الخنزير الـ ».

قالت سارة: «أتفاظلك يا منى.. إنه طفل صغير لا بد أنه يمر بظروف صعبة».

«أجل»، أيدتها بوني قائلة: «والدته مطلقة ويعيش مع أبيه وزوجته».

«أهذا مبرر ليفعل ما فعله؟ يركل فتاة بقدمه! أي نوع من الفتية هذا؟!».

«لقد كان يعاملني بشكل جيد وفجأة تغير بعد خسارته».

«لماذا؟!»، سألتها سارة.

«لأنني أخبرته أن راي يستحق الفوز.. فلم يتقبل ما قلته واستشاط غضبًا».

«أليهذه الدرجة يكره راي؟».

عللت بوني مبتسمة: «إنه يغار منه فقط.. إلى جانب أنه تحدى التلاميذ بأن راي سيخسر، وإن فاز فلبنعته الجميع بالأحمق طوال حياته».

قهقهت مني قائلة: «الآن صرت فخورة بفوز راي حقًا!».

قالت سارة: «يجب أن تبتعدي عن هذا الفتى يا بوني.. فكما رأيت وقت غضبه صار كـ ».

«كالخنزير البري!»، قاطعتها مني.

«مني!»، صاحت سارة وهي تدفعها بيدها: «إنه طفل.. وحتمًا سيتغير مع إن يكبر».

«أجل.. سيصير خنزيرًا أكبر»، قالتها مني معقبة، فلم تجد بوني مفرًا من الضحك.

قالت سارة: «دعك منها يا بوني.. في الحقيقة لو كان راي يعبش معنا لكنت الآن صديقته وتذهبان معًا إلى المدرسة».

سألتها مني: «ألا تملكين أصدقاء غير دبريك هذا يا بوني؟».

أجابتها بوني: «صديقات كثرًا ولكنهن صديقات دبريك أيضًا.. وبعد الذي حدث سيتجنبنني».

«أليست إميلي صديقتك؟!».

هزت بوني رأسها في نفي، ولم تنبس بكلمة واحدة.

قالت مني: «حسنًا. ما رأيك إن صرت أنا وسارة صديقتيك؟».

لم تجبها بوني، ولكنها أومأت لها في ابتهاج، وعيناها تظهران مدى سعادتها.

(17)
عرضٌ مُغرٍ

الأبراج!

طبعت المعلمة عنوان الدرس على السبورة، لتنخرط في حديثها عن الأبراج، والطلبة تتجاوب معها في سعادة بالغة. بدأت بالحديث عن الحمل، ثم الثور، ومن بعده برج الجوزاء (التوءمان اللذان لا يفترقان).

«مثل راي وإميلي»، قالتها هايدي في مرح، لتصحح لها تيسا السمينة: «تقصدين جيمس وإميلي الآن».

همهم التلاميذ فيما بينهم؛ فتغيير المقاعد بين راي وجيمس كان ملحوظًا على عكس تلاميذ آخرين؛ فالتلاميذ جميعهم يعلمون أن راي وإميلي، لا يمكنهما الافتراق أبدًا عهما حدث. إذًا لماذا يجلس جيمس بجوار إميلي الآن ؟!

«أشعر أن راي متغير اليوم!»، قالها جيمس وهو يهمس لإميلي ولكنها لم تنتبه لما قاله؛ فثمة شيء آخر كان يشغل بالها، وهي بوني التي لاحظت تصرفاتها الغريبة منذ يوم السباق، ولكن الآن بدا أن ثمة شيئًا غريبًا يحدث. يا ترى ماذا حدث؟ تساءلت في نفسها منذ اللحظة التي دخلت فيها الفصل، لتنفاجأ بجلوسها بجوار زميلتها لبانا، تاركة مقعدها لإيثان ليجلس بجوار دبريك. «هل تخاصما؟!»، همست بداخلها في حيرة. «ولكن بوني تبدو في أفضل حالتها.. ودبريك أيضًا!».

تعجب جيمس متسائلًا: «إميلي، فيمَ أنت شاردة؟».

استدارت له إمبلي: «عذرًا يا جيمس! ماذا كنت تقول؟».

تحدث جيمس بصوت خافت: «إنني منعجب من حال راي.. منذ بداية اليوم وهو مكتئب وشارد.. ألم يكن مبتهجًا البارحة، قبل أن يغادرنا ويذهب إلى بيت أسرته». استدارت إمبلي تنظر إليه.

همس جيمس متشككًا: «ربما قد يكون حزينًا لتبادلنا المقاعد!».

هزت إمبلي رأسها: «لا يا جيمس، هكذا هو راي.. تارة تجده فرحًا وتارة أخرى حزينًا ومكتئبًا.. بمرور الوقت سنعتاد على مزاجه المتقلب».

لم تكن إمبلي على دراية بما يدور برأس راي في تلك اللحظة، بل لم تكن تعلم ما الذي حدث بعدما تركتهما وذهب إلى بيته. كانت كلمات (سارة) لا تزال تتردد في رأسه منذ زيارة البارحة، وتحديدًا لحظة رؤيته "بوني" وهي تلعب معهما في حديقة المنزل. لم يكن يعلم هل يفرح من السعادة، أم يحزن لرحيله...

«نرحل إلى أين؟!»، سألته سارة ليرد عليها بسؤال آخر: «منذ متى وبوني صديقتكما!».

حكت له سارة ما حدث ليزداد تعجبًا، ثم نظر إليها في عتاب...

- «ولماذا لم تخبريني بذلك يا سارة؟ ألست تعلمين أنني معجبٌ بها وأتحين الفرصة لـ...».

- «وبالفرض إن كنت أخبرتك.. هل كنت ستأتي لتعيش معنا من أجلها.. إن كنت لم تفعلها من أجل أسرتك».

- «الأمر ليس كذلك!».

- «بل هو كذلك.. ولكنك لا تعترف به».

لم يتخيل راي أن سارة قد تتفوه بمثل هذه الكلمات: «أنت شاب مثالي يا راي.. عطوف وحنون وعبقري.. ولكن أسلوب حياتك جعلنا نتجنب إخبارك بأي شيء حتى لا نبتعد عنا أكثر.. كل أفعالك تؤكد أنك جزء ثانوي من حياتك.. مجرد أقرباء لك لا ندري عنك شيئًا سوى أننا أسرتك وحسب.. بل تشك من هم أقرب وأحب الناس إليك، ثم انظر حولك في كل لحظة تبتسم فيها وتحزن فيها وابحث عنهم حولك وحينها ستأتيك الإجابة.. لا أحد!.. لا أحد!».

راي.. فيمَ أنت شارد؟!

انتبه راي، مفاجئًا بصوت معلمه (وبل). لم يلحظ أن الحصة انتهت وحصة الفيزياء بدأت...

سأله المعلم: «لم تزل منحيرًا بشأن العرض.. ألبس كذلك؟!»

اعترضته إميلي منعجبة: «أي عرض يا أستاذ؟».

أجابها المعلم: «ألم يخبرك راي؟ فمؤسسة (أ.د.ميملار) لم تكتف بجائزة المسابقة، طائرة (الكواد كوبتر).. ولكنها أيضًا وضعت اسمه على رأس المرشحين للانضمام إلى مدرستها الخاصة».

«متى حدث ذلك؟!»، صاحت إميلي وهي تنظر لراي مصعوقة. في الوقت ذاته طأطأت بوني رأسها وسرت القشعريرة في جسدها. لم تستطع تحمل الخبر. لم تصدق ما سمعته لتوها. صاحت بداخلها: «أي نحس هذا؟ عندما اقتربت من أخيه، وصرت صديقتهما.. يبتعد هو نهائيًا.. أي سوء حظ هذا؟!».

رن جرس الحصة، ليعلن بدء (وقت الراحة). عمت الفوضى، والتلاميذ تخرج عبر باب الفصل، بينما نهضت إميلي وجيمس لبقيا أمام راي، ومن بعيد بوني

لا تزال في مقعدها، تخربش في كتابها بيد مهتزة.

كان باديًا على وجه راي الخوف من مواجهة إميلي. ربما هذا الخبر كان مفرحًا لجانبه المبدع العبقري أما جانبه الاجتماعي والعاطفي فكان بمثابة مسمار دُق في قلبه المنكسر، لتحطمه بعدها كلمات أخته القاسية.

كان راي مطأطئًا رأسه لا يريد الحديث، بينما شرعت إميلي في توبيخه، وإصرارها على أن يرفع رأسه ويواجهها. اقتربت منه في غيظ، ورفعت رأسه ليصيح فيها بصوت يائس، «لِمَ لا تفهمين؟ هذا هو مصيري!».

ارتعدت بوني ولم تقو على النظر إليه، بينما احتقن وجه إميلي وانتظرته ليكمل...

قال راي: «كان لا بد لهذا أن يحدث.. عاجلا أو آجلا كان سيحدث». صمت لوهلة وبوادر دموعه تنجرف على وجهه. «هذا ليس مكاني.. إنني مختلف عنكم.. هذه هي الحقيقة التي أتبرأ منها كي أعيش بينكم لأنني أحبكم.. أعيش بينكم (أجهش بالبكاء) وأسمع سخريتكم مرارًا وتكرارًا.. لا أحد يفهمني.. لا أحد يدري ما بعقلي.. الجميع يعتقد أنني أتظاهر بأنني مختلف.. هم لا يدرون لأنهم لا يشعرون بما أشعر به، وأنت مثلهم يا إميلي ولكنك لا تريدين قول ذلك.. والذنب ليس ذنبك.. لطالما حاولت وفعلت المستحيل كي تفهميني والمخطئ الوحيد هو أنا.. أنا المخطئ لأنني تركتك تصادفين شخصًا مثلي.. شخصًا يبحث عمن يشبهونه».

«إنني شخص ولدت لأكون وحيدًا!». قالها راي وهو يرفع رأسه ويمسح دموعه: «جيمس سيحرص عليك أكثر مني.. لأنه أفضل مني بالنسبة لك.. وغدًا ستنسينني مثلما سأنساك وأنسى كل من أحببتهم».

ثم تمالك أعصابها وانهالت عليه بالضرب، تدخّل جيمس محاولًا تهدئتها، وهي تصرخ في انهيار: «أنت تستحق أن تكون وحيدًا.. لأنك تعشق

الوحدة.. وبالفعل سأنساك.. سأنساك لأنك لم تحب أحدًا.. أنت لا تعي معنى الحب.. من يحب لا يترك أحبابه.. وستظل إنسانًا سلبيًا، لا تحب أحدًا سوى نفسك».

صرخت إميلي وسط صوت بكائها: «ارحل.. لا أريد رؤيتك أبدًا! لا أريد رؤيتك أبدًا». هرولت إميلي خارج الفصل وهي تبكي، وجيمس يتبعها. مرت ثوانٍ قليلة ليجوب الهدوء الفصل كله.

استدار راي ينظر إلى بوني التي جلست محتبة الرأس. كانت المرة الأولى التي يطيل فيها النظر إليها، وهو يحدث نفسه: «لو تعلمين كم أحببتك.. ربما لم أجرؤ على قولها لأنني لا أستحقك.. ولا أستحق أسرتي وأصدقائي.. إنني إنسان ضعيف ببراءته، ملعون بذكائه، لستُ أكثر من جبان لم يقو على النطق باسم حبيبته التي لم يستطع أن يحب غيرها ».

نظرت إليه بوني في تلك اللحظة، فتلاقت أعينهما لثوانٍ.

لم ينبس أيٌ منهما بكلمة واحدة، ولكنهما شعرا كما لو أنهما قريبان من بعضهما للغاية، حتى يكاد الناظر إليهما يجزم أنهما سينهضان ويفصح كل منهما عما بداخله، أو تجري إليه وتحتضنه صارخة فيه ألا يرحل، أو أن بهمس هو باسمها فتسمعه، ولكن لم يحدث شيء.

لم يحدث شيء على الإطلاق!

(18)

بابليورا

صدح صوتُ نعيق مفزع، أخذ يتردَّد صداه في الأرجاء. في تلك اللحظة، كانت الغربان تحوم فوقها كما لو أنها فريسة سهلة الاصطياد. اقشعر بدنها، وتملكها الذعر، لتلمح عاليًا تلك القمة التي سقطت منها. كان باديًا على وجهها أنها متفاجئة بهذا المكان الذي لم تره قط في أحلامها، وخاصة تلك الغابة التي تقع عن شمالها. فكرت في النهوض والتوجه إليها، ولكنها لم تستطع الحراك، بل لم تكن تشعر بأرجلها.

لفت انتباهها غرابٌ أسودُ ضخمٌ، تحيط به هالات سوداء، كان يهبط ويمرق بجوارها ثم يعلو زاعقًا بصوت نعيق يبدو كصراخ فتاة تعرفها. كان يكرر ذلك عدة مرات. في كل مرة كان يقترب منها أكثر، ثم يحلق عاليا بجناحين مقززين، تتناثر بهما ثقوب بيضاء، أو دود متكوم تحت بطانة جناحيه.

وفي لحظة خاطفة، هبطت الغربان معًا في دفعة واحدة تنقر أرجلها. أطلقت صرخة ذعر لا حد لها، لتتفاجأ بعدها بضوء ناري آتٍ من جهة الغابة. ثمة شخصان كانا يعدوان بالقرب منها، بل كانا يفران هاربين من مخلوق عملاق، لم تره عيانًا، ولكن تكدس الأشجار خلف بعضها، كان كفيلًا بتخمين حجمه. في تلك اللحظة تفاجأت بالغربان تفر عاليًا إثر ظهور هذا الملثم في السواد، ليصرخ فيها: «تبخطي فأنت نائمة!».

شهقت بولي مفزوعة لتستيقظ في سريرها. كان الهدوء يعم الغرفة، ولا يوجد أثر لمؤثرات طبيعية تتداخل مع أحلامها. ولكن تلك المرة كان الحلم يبدو كما لو أنه واقعي بشكل كبير. كانت أرجلها تؤلمها، وكأن نقرات

الغربان كانت حقيقية. إنه الأمل ذاته الذي اعتادت عليه كلما استيقظت من نومها، ولكنه هذه المرة كان قويًا...

الأحلام تسوء!

فرت صفحات مفكرتها، وبدأت تكتب...

"الأحلام تسوء، ربما لأن راي سيبتعد للأبد، وليس بيدي شيء.. ماذا أفعل؟ إميلي لم تستطع إقناعه.. عندما رأيته ينظر إليّ راودني شعور كما لو أنه يريدني بجانبه، أو أنه ينعذب بسببي، أو بسبب كل من يحيطون به.. كانت كلماته نابعة عن إنسان بائس لا أحد يفهمه.. لا أحد يشبهه.. ربما إميلي لا تريد فهم ما مرّ به، على الرغم من أنها تشبهه؛ تتمتع بجمال لا مثيل له، من شدة جمالها تتحول إلى لعنة، بالضبط مثل ذكاء راي الحاد، ومثل لعنة أحلامي التي تبدو كما لو أنها رسائل غامضة يصعب عليّ حلها.. مثلما يصعب عليّ إخبار راي بحقيقة مشاعري.. وها هو سيرحل دون أن يعلم كم أحبه...".

توقفت بوني عن الكتابة لحظة رنين جرس الباب، لم تمر ثوانٍ، وتناهى إلى مسامعها صوت والدتها وهي تتحدث مع مني، كان صوتها رفيعًا ومميزًا، فأسرعت بوني في إخفاء المفكرة أسفل وسادتها، وصوت والدتها يتردد بالأسفل: «هيا اصعدي لها يا مني.. أيقظي هذه الكسولة التي لا تزال نائمة!».

غاصت يد بوني أسفل الوسادة، وهي تحكم إخفاء المفكرة، ثوانٍ وطرق الباب فرسمت الابتسامة على وجهها وهي تنظر لمني التي فتحت الباب، وتفاجأت بأنها مستيقظة: «بوني.. لقد أخبرتني والدتك أنك مازلت نائمة».

همست بوني بالنهوض قائلة: «لقد استيقظتُ لتوي على رنين الجرس.. أعطيني دقيقة واحدة.. سأغسل وجهي، وأعود».

خرجت بوني من الغرفة، لتجلس مني وحدها، متأملةً غرفتها التي بدت صغيرة مقارنةً بغرفتها، ولكنها كانت منظمة ومرتبة بشكل لافت. وأثناء ما كانت تجول بعينيها إذ بالمنبه يرن. اقتربت مني من المنضدة المجاورة للسرير، وأغلقته.. الساعة تشير إلى الحادية عشر صباحًا.. لقد كان منبهًا لطيفًا، يأخذ شكل قطة تموء. وفجأة لمحت عيناها ورقة موضوعة أسفل المنبه، كانت بالورقة رسمة ركيكة، هزيلة.. ولكن كان جليًا أنها مكونة من ثلاثة حروف (ر ا ي). انتابتها قشعريرة وسحبتها من أسفل المنبه لتتأكد من أنها تقرؤها بالشكل الصحيح. ثوانٍ وسمعت صوت أقدام تقترب، فألقت الورقة أرضًا وهي تعاود الجلوس، دافعةً الورقة أسفل السرير بأرجلها.

همهمت بوني وهي تمشط شعرها أمام المرآة: «لقد كنتُ قادمة لك كما اتفقنا بعد ساعة.. ما الذي حدث؟».

أجابتها مني: «لا شيء.. إنه فقط راي».

همهمت بوني بنبرة منغيرة: «ماذا عنه؟».

لاحظت مني نبرة الاهتمام بل وتغيير وجهها التي تغيرت مباشرة لحظة تردد اسم راي.

لم تجبها مني بسرعة لتتأكد من إحساسها «لقد جاءه عرضٌ مغرٍ للبنضم إلى مدرسة ميملار.. التي نظمت المسابقة».

«أجل.. أعلم!»، أومأت بوني. «المعلم وبل (مدرس الفيزياء) كان يناقش معه بخصوص هذا الأمر داخل الفصل.. ولكن إميلي ثارت وغضبت منه عندما علمت أنه سيقبل العرض».

أومأت مني قائلة: «وهذا بالضبط ما يحدث في البيت الآن.. جميعنا رافضون ذهابه.. وأمي لن تسمح بحدوث ذلك مهما لزم الأمر.. ألا يكفي أنه

بعيد عن أسرته؟!». ودت بوني سؤالها عن سبب بعده عنهم، ولكنها لم تفعل وظلت تنصت لما تقوله مني. «إنه في البيت الآن.. ومعه جدي ووالداي يتشاوَران في هذا الأمر».

«هل تعتقدين أنهم سينجحون في إقناعه».

شردت مني وهي تحدث نفسها: «لو يعلم أنك معجبة به!».

عاودت بوني التحدث: «فيمَ أنت شاردة؟ إنني أسألك.. هل راي سيقتنع؟».

أجابتها مني: «لا أظن يا بوني.. راي عنيد.. وإن كان مصرًا فلا شيء سيمنعه.. لا شيء سيمنعه أبدًا إلا___».

صمتت مني تفكر، فبادرتها بوني بشيء من الإلحاح: «   إلا ماذا ؟!».

نظرت مني إلى بوني، وأطالت النظر إليها لثوانٍ. «بوني   »، ترددت لوهلة. «هل يمكنك مساعدتي؟».

⋆⋆⋆

كل هذا بسببك يا أبي!

كانت ليلى تذرع الغرفة ذهابًا وإيابًا: «والخطأ خطئي من البداية.. أين كان عقلي عندما تركتك تُبعده عني.. لقد جرَّدناه من محبتنا حتى صار يشعر بأنه وحيد».

هتف نوح بخفوت: «أخفضي صوتك رجاءً.. ابنك بالأسفل مع صلاح.. يحاول تهدئته وإقناعه».

«إقناعه!». قهقهت ليلى في استهزاء. «هل تمازحني.. أتحسبني لا أعرف ابني

جيدًا.. إنه عنيد ولا يقبل أن يتحكم به أحد.. حتى لو أقنعك بأنه مقتنع بما تقوله وأقسم على ذلك».

قال نوح: «تفاءلي خيرًا يا ليلى.. راي متقلب المزاج.. أنتِ تعلمين ذلك جيدًا مثلما تعلمين أن صلاح أكثر شخص يمكنه إقناعه بالإقلاع عن هذه الفكرة».

«ليس تلك المرة»، هزّت ليلى رأسها، وهي تذرع الغرفة ذهابًا وإيابًا: «لقد رأيت ذلك في عينيه؛ ثمة شيء قد حدث، شيء أثار غضبه.. أو أنه بدأ يشعر بأننا نخفي عنه شيئًا.. لا بد أن نخبره بالحقيقة علّه يعود لرشده!».

قال نوح: «إن علم أمجد بحقيقة كيانه الآخر.. فسيتغير للأبد، وستتغلب شخصية رايون عليه.. وعندها لن يبتعد وحسب، بل سنفقده للأبد يا ليلى».

«إنني بالفعل فقدته»، ضعف صوتها ودمعت عيناها. «لقد فقدته منذ أن رحل معك.. وبرحيله إلى تلك المؤسسة الملعونة سأفقده دون رجعة.. لقد سلبتني ولدي الوحيـــد...». انقطع صوتها وهي تجهش بالبكاء. «لماذا يا أبي؟ لماذا أبعدته عن حب أسرته حتى صار يبحث عن أسرة أخرى في مكان آخر؟ خطؤنا الوحيد أننا جردناه من كيانه الآخر ونسينا أنه جزء منه.. ولذلك عليك أن تصلح كل هذا.. ولن يطمئن لي بال حتى يعود إلى بيته وأظل كل يوم أراه أمام أعيني ينمو ويكبر حتى يوم مماتي».

«ولكنك تعلمين جيدًا أن أسرة جراي وابنتهما...».

«إننا فقط نتوهم.. نوهم أنفسنا أن يوكي سبب ما يحدث لراي».

☆☆☆

أغلق صلاح باب الغرفة عندما اشتد صياح والدته. لم تكن كلمات صباحها واضحة، ولكنه كان مسموعًا بالدرجة التي جعلت راي متكومًا في كرسيه، صامتًا، لا ينبس بكلمة واحدة.

«والدتك مرعوبة يا راي!». تمتم صلاح وهو يقترب منه. «ربما سنجد هناك كل ما نحتاج به لتحقيق كل أحلامك ولكنك ستشعر بالوحدة.. ستصير وحيدًا».

هز راي رأسه نافيًا: «بل سأجد هناك كل من يشبهونني ويحبونني.. أما هنا فسأظل أوهم نفسي أن الجميع يحبني».

قال صلاح: «الجميع يحبك يا راي!».

«لا أحد يحبني.. أتريد معرفة ما قالته أختي لي؟».

«أنت تعلم أن مني تبالغ في كلامها.. وفي أكثر الأحيان يكون مزاحها مستفزًا».

«لا يا أبي.. إنها سارة.. ولقد كانت محقة عندما أخبرتني أنني لا أهتم بمعرفة أخباركم أو شيء عنكم.. إنني حقًا كما قالت: لا أعبأ إلا لنفسي لأنني بالكاد لا أرى أحدًا يشبهني».

«كون لا أحد يشبهك لا يعني أنك وحيد.. أنت من تسعى لتكون وحيدًا.. وذهابك للمؤسسة سيحقق لك ذلك».

«لا أحد يفهمني يا أبي.. الجميع يسخرون مني وحتى المقربون مني، أسمع في صوتهم أنهم لا يفهمونني.. إنهم يتصنعون ذلك.. إنني أر ».

قاطعه صلاح: «مثلما أنت تتصنع أن هذا هو سبب غضبك». دام الصمت لثوانٍ ثم واصل صلاح حديثه: «ربما لستُ قريبًا منك كفاية ولكنني واثق من أن ثمة شيئًا آخر هو سبب ضيقك، ولا تريد الإفصاح عنه».

ارتبك راي ولكنه لم يجبه بشيء!

جلس صلاح بجوار ابنه: «أتدري يا راي لماذا أجدادك المصريون لا يزالون من الشعوب العظيمة التي تركت أعظم حضارة على وجه الأرض؟ كثيرون يقولون بسبب السحر وقليلون يقولون بسبب ذكائهم الجبار.. ولكن السبب الحقيقي يا بني كان يكمن في الرباط الذي بينهم، الرباط الذي لا يمكنه أن ينكسر حتى يوم القيامة.. إنهم كالجسد الواحد؛ يشعرون ببعضهم ويألمون بعضهم دون سبب، يأنسون ببعضهم ويساعدون بعضهم دون سبب.. هذا سر بقاء شعب مصر حتى الآن.. بقاء حضارته، بقاء قوته، وبقاء نسله الذي لا يوجد مثيلٌ له في أي مكان آخر.. وأنت يا راي واحد منهم.. تحمل بداخلك دماء المصريين».

صمت صلاح لوهلة، ثم قال: «ألم تتساءل يا راي ما هو سر فوزك بالسباق؟ السر ليس في فكرتك الرائعة وليس في عبقريتك المدهشة، السر يكمن في أن أصدقاءك وأحبابك كانوا بجوارك يريدونك أن تنتصر.. ألم تخبرني عندما جئت إلى المصنع ومعك إميلي وجيمس؟ ألم تخبرني أنك كنت تسعى لرؤية فرحتهم بفوزك أكثر من فوزك نفسه؟ هذا هو الانتصار الحقيقي.. الفوز بمحبة الناس لك، وليس الفوز بتعظيم الناس لك وكأنك الوحيد من نوعك.. ربما لو تغيرت نظرتك لهم لاستطعت النجاة ».

فُتح باب الغرفة، ليتوقف صلاح عن الحديث ناظرًا لزوجته ليلى التي دخلت ومن خلفها نوح...

«أمجد حبيبي!»، صاحت ليلى وهي تميل جهة راي، مرتكزة على ركبتيها: «لقد اتفقت مع جدك على أن نعود للعيش معنا.. هنا».

قال صلاح: «وهو - على ما يبدو - تراجع عن فكرة الذهاب ».

ظل راي صامتًا تاركًا الثلاثة يتحدثون، ثم قاطعهم ببرود شديد: «ومنذ متى

وأنا كالدمية التي تحركونها كيفما شئتم.. إنني لن أتراجع عن الذهاب إلى المدرسة.. وعودتي إلى هذا المنزل لن تحدث أبدًا».

قال نوح بحاول تهدئته: «حسنًا يا راي.. سيبقى الحال كما كان وستعود معي إلى بيت جدك، حبيبك».

«أجل.. جدي حبيبي الذي لا يخفي عني شيئًا!»، قالها راي بنبرة ساخرة. ألزمت جده الصمت للحظات وهو ينظر لابنته ليلى، كانت نبرة راي مريبة، أظهرت كما لو أنه يعلم شيئًا حقًا.

ربت صلاح على ظهره قائلًا: «ألم نتفق يا راي؟ ألم تكن موافقًا على كل كلمة قلناها لك وأنك ستعيش وسط من يحبونك؟».

دمعت أعين راي، قائلًا: «إنني لم أعد أعلم يا أبي من يحبني ومن يكرهني!».

قالت ليلى: «نحن نحبك يا أمجد.. إننا أسرتك.. إنني أمك».

اعترضها راي قائلًا: «الأم الحقيقية لا تبعد ابنها عنها.. وأنت لست.....».

لم تحتمل ليلى سماع ما بقوله وانهالت عليه تلطمه على خده، لتنخرط بعدها في البكاء وهي تصرخ بجنون: «لو تعلم كم عانيت وضحيت من أجلك.. لو تعلم كم تحملت فراقك من أجلك».

صرخ راي: «إنني لا أريدكم في حياتي.. أنتم تتظاهرون بحبي».

حاول صلاح تهدئته: «نحن نحبك يا راي!».

صاح راي: «إن كنتم تحبونني حقًا فلتخبروني بكل ما تخفونه عني».

هتف نوح: «نحن لا نخفي عنك شيئًا!».

أومأ راي قائلًا بنبرة متحدية: «نعم لا تخفون أي شيء على الإطلاق!».

تراجع نوح مصعوقًا، وتمنى أن يكون حدسه خاطئ وأن راي لم ير ـــــ

واصل راي كلامه: «والغرفة السرية أسفل المدفأة.. والصور العجيبة الموجودة بها.. أكل هذا وهم؟!».

تأمل راي وقفتهم المتجمدة، ووجوههم المذعورة، ليخرج بعدها الورقة من جيبه وهو يرفعها أمام أبصارهم: «تلك الورقة كانت بها كلمات والآن صارت ورقة بيضاء.. أنتم تخفون عني شيئًا.. شيئًا يخصني وحدي.. وإن كنتم تريدون بقائي، فلتخبروني بكل شيء».

«أخبره !»، صرخت ليلى بنفاد صبر، وبنبرة متوسلة: «أخبره يا أبي رجاءً».

أخذت ليلى تكرر توسلها لأبيها، حتى أومأت على الانهيار، فقام صلاح باصطحابها للخارج، لحظة أن أومأ لها نوح وهو يتحرك صوب حفيده، ويتكئ على ركبته، ممسكًا الورقة منه، ليفردها أمام عينيه. طالت ثوان من الصمت والتقاء النظرات، ثم نطق بكلمة (بابلبورا)، لتعود الكلمات إلى الظهور، وعيتا راي الدامعتان، تتسعان في دهشة عظيمة!

«لقد حان الوقت كي تعرف الحقيقة!».

(19)
أسطورة الجوزاء

الحقيقة!

لطالما كان الإنسان يبحث عن الحقيقة، حتى يؤمن المرء بأنه لا يوجد أحد يعرف الحقيقة كاملة، فقط يمكنك الشعور بها والإيمان بوجودها .. وما سأخبرك به ليس سوى جزء صغير للغاية من الحقيقة، جزء تم محوه من تاريخ البشرية عمدًا حتى صار منسيًا، وواقعًا لا يعلم بشر الأرض عنه شيئًا.

كم من شخص تساءل عن أسرار الحضارة المصرية القديمة، و ما سر اختفائها فجأة، حتى صار السؤال الذي يثير حيرتهم: (مَنْ هم بناة الأهرامات؟).

بينما لم يتساءل أحدٌ قط: (من هم المصريون؟).

قلة قليلة من يعرفون قيمة هذا الشعب جيدًا، ورغم ذلك فهم ليسوا من القلة القليلة، الذين يعرفون القصة كاملة؛ ففي الوقت الذي ينشغل فيه البشر بأمورهم الاجتماعية والصراعات السياسية في كافة البلدان، ثمة بلدٌ وحيد يحيا في أمانٍ تام.

بلدٌ لا يعرف بشر الأرض عنه شيئًا، يقبع في بقعة خفية ما بين مصر وليبيا والسودان، حيث صحراء مصر الغربية.

إنها الأرض المنسية (إيخار)، تعمد أهلها محوها من تاريخ البشرية، اعتبارًا منهم أنهم صاروا جنسًا آخر مختلفًا؛ جنسًا أرقى من البشر، توصل لعلوم جمّة، مكنتهم من التنقل بين الكواكب واستعمارها، ولا يزال بشر الأرض منشغلين في حروب مستمرة، وإفساد وكراهية وبحث عن اللهو والرفاهية

إلى أمد لا يتنهي.

ذلك البلد الذي أحدثك عنه هو (جنة الصحراء) في قصة حميد، التي اعتدت إخبارك بها قبل النوم. هذه قصة شعب لا يزال يعيش بيننا هنا على الأرض وخارجها. قصة حضارة بدأت منذ حقبة مجهولة قبل تاريخ البشرية. كانت مصر حينها مهد الحياة، ومنارة المعرفة، وأرض الموحدين المؤمنين بالخالق الواحد.

بدأت القصة عندما كانت مصر أرضًا تزخر بخيرات لا حد لها. كل من يعيشون خارجها كانوا يرونها بمثابة الجنة في الأرض. لقد كانت مصر بمثابة نقطة النور ومركز الإلهام للبشرية جمعاء. كانوا يرونها بمثابة الأم التي تنتج ذراعيها لأي إنسان، وأبناؤها هم جنود الأرض الأوفياء. أما (عين الشيطان) وأعوانه، فكانوا يسعون دومًا لإيجاد الوسيلة لإخضاع البشرية وإغوائها لتنفيذًا لأوامر الشيطان. ولكن أهل مصر لم يكن يؤثر فيهم شيء، فأي عدو كان يطأ أرض مصر، إما أن تكون مقبرة له، وإما أن يصير واحدًا من أهلها. أدرك الشيطان حينها أن لا سبيل لكسر هذا الشعب إلا بمكيدة خبيثة طويلة الأمد، تستهدف النفس البشرية وتعظم رغباتها عن طريق تبديل منظورهم للأشياء تحت مسمى التطوير.

منذ قديم الأزل، عُرف أن التطور هو سلاح الشيطان الخفي!

هذه هي الطريقة التي مكنت (عين الشيطان) من دخول مصر، لينشر الوباء في الشعب بأثره ويجعلهم يلهثون خلف أهوائهم وتعظيم وتمجيد أنفسهم. كانت معرفة المصريين وقتها تتجاوز ما نعرفه الآن بمئات المرات. فجأة تحولت كل هذه المعرفة وترسخت من أجل تسهيل الحياة. صار الناس كسالى، باحثين عن الرفاهية حتى صارت الأغلبية تتجنب إعمال العقل. هذه هي الطريقة التي مكنت العدو من احتلال مصر، وهي إغفال عقول شعبها.

كان (عين الشيطان) وأعوانه بمثابة وباء شيطاني. انتشروا وأذاعوا الجهل بين الناس، على الرغم من المعرفة الضخمة التي كانت بتميز بها شعب مصر.

فمع دخول هذا الوباء بدأت معاني الجهد تتبدل في نفوسهم. غرق الشعب في اللهو بشكل أعمى. تحولت كامل طاقاته الإبداعية إلى اختلاق سبل غير معهودة في تطوير سبل الرفاهية والاستمتاع بالحياة. شيئًا فشيئًا صارت العلوم مهجورة، واستترت عن عقول الناس، حتى صار الأغلبية يتفرون منها وينفرون ممن يتمسك بها...

كانت هذه هي البداية؛ فبعد أن كانت طاقتهم الابداعية توظف في البحث والتأمل في إبداع الخالق، صاروا يرسخونها من أجل اللهو وتمجيد وتعظيم كيانهم البشري. إنها الحيلة الرخيصة ذاتها التي لا يعرف إبليس غيرها.

إغواء النفس!

شيئًا فشيئًا بدأت اللغة تتبدل وتعرفها الألسنة، حتى فُقدت قيمتها في نفوس الشعب. كل القيم تبدلت معانيها والاسم كما هو، تبدل الخير في القلوب، ورويدًا بدأ يحدث تشقق في الرباط بين هذا الشعب. كان الشعب يشعر بذلك ولكنه لم يكن يدري ما السبب. كل العادات والتقاليد لا تزال كما هي بمسمياتها ولكنها صارت محكومة بدائرة المقربين، ومن ثم صارت دائرة المقربين تضيق وتتعدم. هذه هي خدعة الشيطان؛ أن يجعلهم مغيبين وعقولهم ملهية في أشياء أخرى يبددون فيها طاقاتهم المهدرة.

لم يكن الشيطان على دراية بأن حيلته ستنجح بهذه الطريقة وخاصة مع هذا الشعب، فالجهل الذي انتشر بينهم كان جهلًا غير معهود بالمرة؛ جهلًا بدأ بنشر المعرفة بشكل لم يحدث من قبل حتى صار الجميع عارفين بما يخوق عقولهم. اختل ميزان طاقتهم، فبدؤوا يتجهون إلى لما يربح عقولهم، والترفيه عن أنفسهم، حتى تبددت معاني الجهد ومن ثم كافة معاني الايمان

والحب والرحمة، صار الإيمان لديهم مرتبطًا بكل ما هو محسوس ويمكن رؤيته.

تبدد إيمانهم بخالقهم، وصاروا مغيبين عن سبب وجودهم، إلا قلة قليلة كانت لا تزال تؤمن بخالقها، كانوا معروفين باسم الأخيار، كانت عقولهم يقظة، واعية. حاولوا مرارًا إيقاظ شعبهم ولكنهم لم يفلحوا، لقد كان مثل سرطان تشعب حتى صار لا علاج له؛ فحيلة الشيطان لم تكن لإضعاف الشعب ولكن لتبديل ذكائهم وترسيخه من أجل غايات واهية، حتى صاروا عميانًا عن الحقيقة، شاعرين بالعجز، وأنهم وقعوا ضحية للشيطان وانتهى الأمر.

كان لا بد من محاربة عين الشيطان، وخاصة بعدما صار يستهدفهم واحدًا تلو الآخر. فكر الأخيار في كافة الحلول الممكنة، وبدؤوا يستشيرون حكمائهم، فقرر الحكماء استخدام العلوم السرية، التي لم يكن يعيها إلا فئة قليلة من الحكماء القدماء، غير أنها كانت بلغة غير مفهومة، لم يستطع أحد فك طلاسمها سوى شخص واحد يسمى (صاد)، أحد الأخيار البسطاء. منذ صغره عُرف بفطنته وذكائه الخصب. توقع الجميع أن صاد سيكون الحكيم المنشود الذي سيخلصهم من عين الشيطان، ولكنه بعد تعمقه في تلك العلوم، بدأ يتغير، بدأ يخبرهم أنه يرى نفسه في عالم آخر؛ عالم حقيقي يعيش فيه وقت نومه، ويشبه عالمنا كثيرًا. اعتقد الجميع أنه فقد عقله، وخاصة بعدما صارت أحلامه أكثر غرابة، تنذر بالشر والشؤم، حيث ظل يخبرهم أن عليهم الهرب والرحيل عن مصر؛ فالعالم على وشك أن يتغير، وعين الشيطان سينجح عما قريب في السيطرة على العالم، ولن يستطع أحدٌ على هذه الأرض محاربته لأن البشرية صارت جنوده، والأخيارُ أعداءهم. وفي يوم من الأيام، استيقظ من نومه ليخبرهم أنه عرف أين هذا العالم الذي يحلم به، حيث إنه رأى في حلمه أن الكوكب كله مظلم، وبقعة واحدة

مضيئة بنور هائل، وتلك البقعة توجد في الغابة الخضراء، التي تتوسط المروج الواسعة في جنوب مصر.

أخبرهم أنه سيهرب إلى تلك البقعة المضيئة، ويبتعد عن هذا الوباء، ولكن قلة قليلة من هربوا معه، على عكس البقية الذين اختاروا المواجهة أو الرضوخ لـ(عين الشيطان). وعندما عرف عين الشيطان بأمر صاد، قرر مطاردته وقتل كل من معه؛ فنجاح خطته كان مرهونًا بفناء كل الأخيار.

قاطعه راي: «ولكن من هو (عين الشيطان) هذا يا جدي؟!».

إنه الجسد الآدمي الذي يستحوذ عليه إبليس، كي يخطو بين البشر، ويحارب من لا يستطيع إغواءهم، بالضبط مثل صاد الذي ظل يلاحقه من بلد إلى بلد، وهؤلاء الأخيار بداخليهم شعور، بأن عين الشيطان لن يتوقف عن مطاردتهم حتى يسقطوا في يده ويلاقوا حتفهم، وبينما كانت تلك الهواجس تتلاعب بهم وعلى وشك أن تتمكن منهم، إذ بكسوف عظيم، أعقبه على الفور وابل من النيازك، جعل السماء تبدو كما لو أنها تحترق، وتلك النيازك تهطل فوق المروج الخضراء، وتحيلها إلى جحيم مستعرة.

لقد تبدد الحلم، واتضحت الرؤيا، وصاروا على أعتاب الموت من أمامهم وخلفهم، ولكن صاد أخبرهم أن عليهم المواصلة حتى يصلوا إلى البحيرة التي يرقد بها (أوجورجا)، لم يكن أحد منهم يعلم ماهية هذا الشيء، وأي بحيرة هذه التي يتحدث عنها صاد، بل هو نفسه لم يكن يعلم، ورغم ذلك انبعثوا وواصلوا طريقهم داخل النيران والنيازك المتأججة.

راقبهم عين الشيطان في ذهول لحظة أن توقف عن تعقبهم، ظل يضحك متباهيًا، ليخدع الجميع، بقوله إن الشيطان أرسل جحيمه ليحرقهم بيده، واقتنع الجميع أن هذا ما حدث، هذه كانت البداية، بداية حيلة إبليس، التي اعتقد أنها صُبَّت في صالحه، ليقنع البشرية أن هذه هي جحيمه

المستعرة التي أحالت كل الأخضر إلى صحراء يابسة وموحشة وجرداء.

والناس صدقت وآمنت، منهم من آمن بالنار بعدها، ومنهم من صار عبداً للشيطان .

تساءل راي: «وهل انتهى الأمر هكذا يا جدي!».

«انتهى الأمر!»، قهقه الجد منبسطاً. «لقد كانت البداية يا صغيري».

البداية التي لم يؤمن بها أغلب الأخيار. فللقرابة تسعة عشر يوماً، ظل صاد يخوض وسط الخراب الذي طال المروج الخضراء بأسرها. في كل يوم كان يسقط أحدهم ضحية الموت جوعاً أو لعدم قدرته على المواصلة. بداخلهم كانوا يشعرون بأنها النهاية. ولكنهم ظلوا يتحركون وسط الجحيم صابرين، ينبعون صاد وهم يشاهدون النيران تبدد كل الأخضر وتحيله إلى سواد، حتى حل فجر اليوم التاسع عشر، ليتفاجؤوا بنور يسطع في السماء، لم تكن الشمس. لقد كان آتياً من مكانٍ قريب، ينبعث منه نور ساطع.

هلل الأخيار وهم يهرولون إلى هذه البقعة، وصاد واقفاً باكياً يتأمل هذا الضوء الأبيض وسط النيران والسواد الذي يملأ كل شيء من حوله. إنها بالضبط كالرؤيا التي رآها. إذاً هذه هي البقعة المنشودة، التي لم يضلها الدمار؛ البقعة التي رآها مضيئة، وعامرة بكافة الخيرات.

بمجرد أن وطئت أقدامهم تلك الأرض، أبصرت أعينهم البحيرة المنشودة، ولكنها لم تكن بحيرة مائية. لقد كانت بحيرة من الحمم الملتهبة، بتوسطها حجر نيزكي عظيم. "إنه أوجورجا"، هتف صاد والجميع من حوله مذهولون بهذا النيزك الذي يتلألأ بلونه الذهبي وتتخلله خيوط من الحمم الملتهبة.

قال راي: «وماذا حدث بعد ذلك؟ هل عاشوا في تلك البقعة؟».

أجل يا صغيري، عاشوا بتلك الأرض، لفترة من الزمن، ثم أصر بعضهم على

العودة، لجلب أهليهم وأحبابهم وكل الأخيار؛ فهذا المكان كان بمثابة الجنة لهم. عارضهم البعض بحجة أن هؤلاء لا يستحقون العيش في هذا المكان، لأنهم رضخوا لمغريات الدنيا حتى نسوا خالقهم والغاية من وجودهم. حدث اختلاف فيما بينهم، وتحاكموا إلى صاد، ليتفقوا في النهاية على استقدام أهليهم في السر، بشرط ألا يُسمح بدخول إبخار إلا للمصريين؛ فلقد كان صاد يعتقد حينها أن الخير لا يوجد إلا في المصريين، وخاصة بعدما رأى الفساد والشر من المحتلين الذين أتوا برفقة (عين الشيطان).

وبمرور الأيا م، ظهر من بينهم قلة من ضعاف النفوس، نظرًا لأن الحياة داخل إبخار كانت صارمة، جادة، لم يكن يحتملها سوى البسطاء أو ممن يتمتعون بالعقول الواعية المتنورة، أما البقية فمنهم من رحل برغبته ليعود إلى اللهو والرفاهية، وآخرون، تملكتهم البغضاء والكراهية من ذوي العقول المتنورة، وبدت عليهم علامات الحقد والعداء، فقام صاد بطردهم وهو يحذر الأخيار من أمثال هؤلاء؛ فهؤلاء الحاقدون لا يبحثون عن قيمتهم الحقيقية، بل يتمنون أن تزول النعم من كل إنسان يسعى ويكد لتثبت قيمته. وهؤلاء الحاقدون هم مفتاح الشيطان لنشر الفتنة مثلما فعل بشعبهم.

ومثلما قال صاد، فبمجرد طردهم، أسرعوا قاصدين (عين الشيطان)، ليخبروه بأن صاد والأخيار قد نجوا من النيران. كان خبرًا مفزعًا، جعله يستشيط غضبًا ليحرقهم وهم يركعون أمامه. ففي ذاك الوقت، شعر بأن فتنته ومكيدته مهددة بالفشل، فانطلق هو وأعوانه إلى (إبخار)، ولكن بمجرد وصولهم لم يعثروا على الأرض، بل لم يكن هناك أدنى أثر لها، حتى إن صاد تفاجأ هو وشعبه بأن الأعداء لا يمكنهم رؤية هذه الأرض.

كان أمرًا له العجب، جعل الجميع يهللون فرحًا، ليتفاجؤوا بعدها بأن الأرض من حولهم قد تبدلت.

اتسعت عينا راي في اندهاش: «كيف تبدلت....؟».

في بادئ الأمر كانت إيخار عبارة عن أرض خفيضة، تحيط بها هضاب صخرية وأشجار منهشمة، وبعض الأشجار التي لا تزال متماسكة. ولكن فجأة امتدت مروج خضراء عن يمينهم ويسارهم، ومن خلفهم. بدت كما لو أنها المروج الخضراء التي احترقت. لم يفهم أحد ما الذي حدث إلا عندما اختفت المروج الخضراء ثانية وعادت أرض إيخار صغيرة كما هي.

في ذاك الوقت ظل (ميم) - الابن الأكبر لـ(صاد) - عاكفًا على البحث والتأمل لفك طلاسم ما حدث، فاكتشف أن حجر أوجورجا هو السر خلف الاختفاء، وأن نيران النيزك ذات خصائص غامضة، ليست كنار الأرض، ففي الوقت الذي اختفت فيه إيخار عن الأنظار، كان الحجر قد غاص في البحيرة ورقد في قاعها، فارتفع المنسوب عاليًا، وتسربت خيوط من الحمم، عبر جدول يحيط بإيخار وينتهي عند شجرتين عظيمتين، جاعلًا إياهما تتوهجان بسراب ذهبي، كان واثقًا من أن اعتقاده صائبًا، وأن إيخار لم تختف، بل انتقلت إلى مكان آخر. لم يكن أحد يفهم ما يعنيه إلا عندما أوجد طريقة لبطل حجر أوجورجا في قاع البحيرة، وعندها عادت إيخار أرضًا خضبة، تحيط بها المروج الخضراء، التي لا يمكن الوصول لها إلا عبر أرض إيخار.

ظن الجميع حينها أنهم صاروا في منأى عن عين الشيطان، ولكن بتعاقب السنوات، اكتشفوا أن شجرتي إيخار في أوقات معينة تضعفان وبقل وهجهما، فقام ابن صاد الثاني (را) - الذي كان فلاحًا بسيطًا - بتصنيع سداد (أوجو)، من حمم البحيرة، التي اشتهرت فيما بعد بـ(زيندا - أجا). فبعد أن تبرد الحمم وتصير حجرًا، يمكن طحن القليل منها وخلطها بالتربة، مما يساهم في نمو أشجار ضخمة تتمتع بخصائص عجيبة، ومن أهمها انبعاث سراب ناري عنها، يجعل إيخار شبه مختفية، بل وفي لحظة اهتزازها، تسلط رياحًا عاصفة تظل تدور حول إيخار لبعض الوقت ثم تختفي، ولعل كل هذه النعم جعلت أهل إيخار يعتبرون أرضهم بمثابة الجنة الباقية، التي

تحميها العواصف الرملية حتى يومنا هذا. فكل من على دراية بالصحراء الغربية يعلم جيدًا أن هذه العواصف وجدت من أجل السحق دون رحمة. حتى رواد الصحراء والباحثين عن الآثار يعلمون أن هذه العواصف تأتي من المجهول لتحصد كل ما بطريقها، حتى وإن كانت مدينة بأكملها قد تختفي وتتلاشى أمام قوتها المرعبة. وكل هذا بسبب هذا النبات العجيب (أوجورجا).

سأله راي باهتمام: «وماذا يعني (أوجورجا)؟».

إنها كلمة لا تفسير لها، كلمة سمعها صاد في رؤياه، ولكنها استخدمت فيما بعد ليُقصد بها الجوزاء في اللغة البدائية، التي كانت تقرب إلى اللغة العربية بشكلٍ كبير. فإيخار تعني الأخيار، واسم القائد الأول يقابله حرف الصاد في العربية. وكذلك ابناه (ميم) و(را).

تعجب راي: «ولكن ما علاقة كل هذا بالجوزاء؟».

الجوزاء هو النسل الممتد من شعب إيخار، الذي يعيش هنا في إيخار وهناك حيث كوكب (ميمصدراء)، الذي تم اكتشافه ووصل إليه قادة النسل الثالث من قادة الجوزاء، بعد بحث طويل، وإيمانٍ بالنبوءة التي تنبأ بها القائد الأول (صاد) قبل مماته.

تساءل راي: «إذًا لم يكن هناك ملك؟».

لا يا صغيري، لم يكن هناك ملك، ولكن كان هناك قادة، يرأسهم الجوزاء القائد؛ فلزمن طويل ظلت إيخار أرض الأخيار الموحدين المؤمنين بالملك الواحد، وهو خالق الكون، وخالق الخلق أجمعين. عقولهم كانت منزهة عن النظر إلى الدنيا، بل وكانوا يدركون قيمتهم جيدًا، ولعل تلك العزلة عن مقربات الدنيا، ساهمت في تضخيم إدراكهم وإيمانهم إلى حد اليقين.

وهذه كانت البداية؛ فبمرور الوقت، أدرك صاد أن وجودهم في هذا المكان ليس كملجأ وحسب، بل ولتعمير الأرض وإنقاذ البشرية من مكيدة الشيطان. ولذلك أول ما بدأ به، هو السعي لنمو شعب الجوزاء ورقيه، وذلك من أجل العودة إلى مصر وإبادة الوباء الشيطاني. وبالفعل بدؤوا ينطرقون إلى التأمل والتزود بمعرفة لم تتطرق لها البشرية من قبل، بالكاد معرفة وصلت إلى حد التصنيف البشري، ومقدرتهم على معرفة الجوزائيين من بين البشر، فخرج صاد حينها على شعبه ليخطب فيهم ويخبرهم أنه كان مخطئًا عندما ظن أنّ النسل الطيب يسري في دماء المصريين فقط، ولكن في الحقيقة يسري بكلّ منا نبعٌ طاهرٌ يمكننا أن نسيره في طريق الحق أو الباطل؛ في التقوى أو الفجور، ولذلك كان لا بد من اختيار اسم لشعب إيخار باعتبارهم ذات يوم سيرتقون ويصيرون نسلًا آخر، فوقع الاختيار على اسم الجوزاء لأنه أقرب وصف للإنسان الواعي والمتحكم في النزعتين اللتين لا تفترقان.

وفي ذاك الوقت، قام (صاد) وأبناه بجذب كل من يشبههم من العالم بأسره، وذلك بصنع شيء أشبه بسفينة خفية تستوعب أعدادًا كبيرة، ولكنها لم تكن سفينة، فقد كانت أشبه بجزيرة متحركة تم تطويقها بأشجار أوجو، لتكون أشبه بسفينة أرضية عظيمة يمكنها التحرك متخفية عن الأنظار. بل وأيضًا ابتكروا وسيلة للتواصل فيما بينهم، وهي التخاطر، الذي صار فيما بعد علمًا متكامل الأركان بداية من تخاطر الجسد ومن ثم العقل والقلب، وحتى التخاطر عبر الأحلام.

وهذه هي صورة التواصل عند القدماء، كوسائل الاتصال لدينا الآن، ولكن الفرق أنهم كانوا يؤمنون بالقدرات المطلقة للإنسان وهذا إرث الجوزائيين (الارتقاء الروحي) وهو الإيمان بقدرات الإنسان التي خلقها الله، ومقدرته على فعل المستحيل بها، ولذلك كانت معرفتهم تتبلور في مسمى السحر،

الذي كان بمثابة الصورة البدائية للعلم، والذي فيما بعد تحول إلى الصورة المادية طبقًا لنظرة إنسان هذا العصر (بشر الأرض) وهذا إرث التطور الذي يقود إلى مرحلة جنونية تبدل معرفتك على الدوام، حتى تعميك عن الحقائق القابعة رويدًا رويدًا وتصل طريقك إلى الأبد.

بدا راي متشوقًا: «وماذا حدث بعد ذلك؟».

حدث بعد ذلك أن صارت أسرة صاد - النسل الأول لقادة الجوزاء - ثلاثة رجال برأسهم الأب، وثلاث نساء برأسهم الأم، ولكن بمرور القرون، تبين أن نسل القادة لا علاقة له بالدماء، ولكنه بتبع الروح ذاتها التي تشبه أرواح القادة الثلاثة ذكورًا وإناثًا، ولا يشترط أن يربطهم الدم أو تحكمهم سن واحدة بقدر ارتباطهم بالانتماء الروحي ذاته الذي يتمثل في مسمى الجوزاء.

- بالضبط مثلي ومثلك، ألبس كذلك يا جدي؟

- لا يا صغيري، أنت جوزائي أصيل يحمل دم المصريين.

- ولكن.. ألم تقل إن النسل الجوزائي.. لا علاقة له بالدماء؟

- القادة فقط لا علاقة لهم؛ بالدم فهم يولدون كبقية الجوزائيين، ولكن الفرق يكمن في قدراتهم غير المعهودة.

تعجب راي متسائلًا: «قدراتٌ خارقة؟!».

«بل قدرات لا مسميات لها»، تنحنح الجد، «قدراتٌ لا يمكننا فهمها مثلما هم أيضًا لا يمكنهم فهمها.. في عالم الجوزاء ثمة أشياء كثيرة مبهمة؛ فحتى في كتب التاريخ التي نرصد نشوء ونقدم حضارة الجوزاء على مدار قرون جمة، لم نضع تفسيرًا واضحًا، يبين سبب إطلاق مسمى الجوزاء، فهناك من يقولون إنه أحد مسميات الإنسان الواعي، وآخرون يرونه مصطلحًا يرمز إلى النفس البشرية لوجود نزعة الخير والشر كما أخبرتك، غير أنه في فترة من الفترات،

كان يُرمز للجوزاء بالأسد، لكونه يستطيع التوفيق بين ألفته وقت شبعه، ووحشيته وقت جوعه، مثلما ينطبق على الإنسان الواعي العاقل، الذي إن تسلح بعقله، استطاع التحكم في النزعتين الخير والشر. وآخرون يرجعون الاسم للازدواجية التي يصل إليها العقلاء المتنورون.

سأل راي: «ولكن لماذا لم أولد في إيخار.. أو ميمصدراء؟».

هذه حكاية طويلة يا راي، لا يمكنني أن أقصها في يوم واحد، ولكن كل ما أستطيع إخبارك به أن السبب يكمن في أن حلم القادة بالعودة إلى مصر تبدد بعدما صار معروفًا لكافة البشر خارج إيخار، أن ثمة أناسًا يسمون أنفسهم الجوزائيين يعيشون في مكان كالجنة. وتلك الجنة لا يدخلها سوى الأخيار والمُعمرين، فتولدت حالة من الكراهية لمن بخارجها، ونعاظم شرهم، فما كان بفعله أهل إيخار بالبشرية، أشبه بأن تترك جسدك المصاب وتنتقل إلى جسد آخر، تاركًا الوباء يأكل الجسد ويموت معه. وتلك النظرة السلبية هي التي استحوذت على عقول أهل إيخار حتى الآن، حتى صاروا يخشون أن يحيدوا عنها فيصيبهم ما أصاب بشر الأرض. فأرض إيخار بمثابة ملجأ بالنسبة لهم، حتى يأتي عهد القادة التالي، ويرحلوا إلى ميمصدراء. ولعل أغلب القادة كانوا يؤمنون بأن كوكب ميمصدراء هو موطنهم الحقيقي، طبقًا لنبوءة صاد بأن الجوزاء الأخير سيكون هناك، وهناك ستكون نهاية عهد الجوزاء...

«نهاية الجوزاء؟!».

أجل، فقبل وفاة صاد أخبرهم أنه رأى القائد الأخير في منامه، يعيش في ميمصدراء مجبرًا، باكيًا، صائحًا، ينكر ماهيته الجوزائية، والقدر يجرده إلى الهدف من وجوده ، وهو إعادة عالم الجوزاء إلى حيثُ يقبع الخيال...

سأل راي متعجبًا: «ولكن لماذا.. لماذا ينتهي عالمُ الجوزاء؟».

أجابه الجد: «لأن هذا الكبان لم يفلح في تغيير الإنسان، بل هم أنفسهم فشلوا في السير على خطى القادة المصلحين، بل وبتعاقب القرون، صار بعض القادة بمثابة شر مستطير، بالكاد صاروا أعوان الشيطان نفسه، ومن بينهم قادة معلومون لدى البشر ولا تزال البشرية حتى يومنا هذا تعتقد أنهم آلهة أسطورية.. هذه هي البشرية التي لم تغيرها حضارة الجوزاء ولم يغيرها أي شيء، مهما قمت بالإصلاح. بمجرد رحيل المصلحين والأخيار، ستعود البشرية كما كانت، تقتل وتشن العداء بينها رغم أنهم جميعًا نسل واحد.. ولكنه نسل ينسى على الدوام، نسل لا يصلح له أي اسم سوى (الإنسان)».

(20)

لا ترحل

من بدايته بدا يومًا عجيبًا، بل كان أعجب من الأيام السابقة. ثمة أشياء اعتادوا عليها بدأت تختفي، والسبب هو راي؛ فبعد فوزه بمسابقة السيارات، لم يصبح لعرض النسر المخادع وجود. ربما صار مغرورًا، أو لأنه سيذهب لمدرسة العباقرة، هكذا فكر البعض، بينما آخرون، شعروا بالحزن والكآبة لافتقادهم ما كان يقدمه راي كل صباح.

«على الرغم من أنه آخر يوم في الدراسة، إلا أنه يوم عجيب بالفعل!». هتفت بذلك إحدى التلميذات وهي تمر بجانب إميلي، فرفعت رأسها تنظر إليها ثم واصلت صعودها إلى الفصل، كانت في أشد حالاتها كآبة وحزنًا، ربما هو يوم غريب بالفعل، ولكن الغرابة حقًا بدأت من اللحظة التي دخلت فيها الفصل، ورأت ورقة معلقة أعلى السبورة، كُتب عليها باللغتين العربية والانجليزية (لا ترحل).

«من كتب هذه الورقة؟!»، تساءلت إميلي في نفسها مثلما تساءل الجميع، ومن بينهم المعلمة الغولة، بعدما تساءلت عن سبب تغيبه، خمن جيمس قائلًا: «ربما لأنه يستعد للذهاب إلى مدرسة العباقرة». كانت المعلمة على وشك أن تحسده كعادتها، ولكنها تفاجأت به يطرق باب الفصل، ويعتذر عن تأخره.

أأنت.. راي؟!

تساءلت المعلمة، بمجرد رؤيتها له، مثلما غمغمت الطلبة لحظة رؤيتهم لرأسه الحليق. ما الذي حدث؟ أهذه تعليمات الالتحاق بمدرسة العباقرة؟

«الانضباط والنظافة!»، همست له هابدي وهو يجلس في مقعده، ولكنه لم ينبس بكلمة واحدة، فقط التفت عيناه بعيني إميلي وابتسم، فأشاحت برأسها بعيدًا، ثم وضعته على سطح مقعدها. إنها تبكي. خمن ذلك وهو يجول بعينيه في وجوه التلاميذ، وارتسم على وجهه ابتسامة ثقة وكأنه أخيرًا وجد نفسه، "لأنه ينتمي لعالمٍ آخر".

أثارت هيئته الجديدة، وابتسامته الهادئة، حيرة التلاميذ، بالضبط كحال حيرتهم لحظة أن علت أصواتهم في حصة الفيزياء، والمعلم (ويل) يتساءل عمن كتب اللافتة...

«ربما أنت يا سيد (ويل) من كتب هذه الكلمات!»، تحدثت إحدى التلميذات بتهكمٍ ممازح لتؤيدها تلميذة أخرى: «أجل يا أستاذ ويل فأنت أكثر معلم سينتقد راي».

أجابهم المعلم: «أجل.. ولكن.. خطي ليس سيئًا بهذه الدرجة!». ضحك التلاميذ ليعقب بعدها: «أنا لا أقصد أبدًا إساءة لصاحب الخط.. ولكن على ما يبدو أنه اجتهد في كتابة (لا ترحل) بالعربية وأهمل خطه وهو يكتبها بالإنجليزية».

هتف أحد التلاميذ: «ربما تعمد ذلك حتى لا نعلم هويته.. فكل المدرسين لم يستطيعوا التعرف على صاحب الخط».

في تلك الأثناء كان راي شاردًا في كل ما قاله له جده. لم يكن منتبه لهذا الجدال، ولكنه استفاق من شروده على صوت المعلم وهو يسأل إميلي إن كانت هي الفاعلة، فأومأت بالنفي ولم تنبس بكلمة واحدة.

قال جيمس: «ربما شخص من الفصول الأخرى فالمعجبون براي بعد فوزه صاروا كُثرًا ».

«أتقصد أنها فتاة يا جيمس؟»، قالها أحد التلاميذ بنبرة ساخرة.

«وربما كان شبحًا»، علقت هايدي الغبية. «أنا أول من دخل الفصل ورأيت اللوحة معلقة».

علقت لبانا قائلة: «وربما هو من كتبها!».

أضافت ليسا في مزاح: «لا لا إنه شبح.. فهايدي يمكنها رؤية الاشباح.. فكثيرًا ما تُحدث نفسها».

انفجر الفصل في الضحك، وهايدي تنظر إليها في ضيق.

«أنا أعلم لِمَ أنت شارد يا راي». قالها المعلم وهو ينظر إلى راي فسكت الجميع، ينصتون له.

تابع المعلم حديثه: «أنت تذكرني بصديقي نورمان قبل ذهابه لمدرسة (هيملار).. لقد كان قرارًا صعبًا وفراقه أصعب.. وعندما التحق بالمدرسة، أيقنت من أنه اختار القرار الصائب، فهو الآن من أكثر العلماء الموهوبين داخل المؤسسة.. وبالمثل معك يا راي لربما تكون مثله.. ونستطيع تحقيق حلمك ونخترع السيارة الطائرة ذات يوم».

«ولهذا السبب ». التفت المعلم إلى التلاميذ وهو ينزع الورقة ثم توجه إلى راي: «علينا أن نرحب بقرار راي.. ولا نضيع اليوم في معرفة من كتب هذه الكلمات؛ إنه آخر يوم في الدراسة ومع بداية العام الجديد لن يكون بيننا.. ولهذا يتوجب علينا توديعه وأن نتمنى له حظًا موفقًا في مدرسته الجديدة».

«وهذه الورقة كي تتذكرنا جميعًا!»، مد المعلم يده بعطية الورقة: «وتتذكر ذاك الشخص الذي تعلق بك حتى النهاية وخشي الإفصاح لك عن اسمه».

أمسكها راي وهو ينهض يتأملها بابتسامة هادئة، ثم رفع رأسه وجال بعينيه

حوله لينظر للمدرس بثقة: «إنه لقرار صعب حقًا يا أستاذ ويل.. ولكنني قررت البقاء بين أصدقائي وعدم الذهاب إلى المدرسة».

امتلأ الفصل بالفرحة وأصواتهم تعلو: «راي متعلق بصاحب الرسالة.. هيا أظهر نفسك.. راي استجاب ورضخ». وفجأة انفجرت ضحكاتهم، لحظة أن هبت إميلي وقذفته بكتابها، وانهمرت دموعها: «لقد كنت أنوي قتلك لو كنت ذهبت».

قهقه راي قائلًا: «ولهذا السبب تراجعت عن رأيي.. لأنني أعلم أنك مجنونة وقد تفعلينها».

ضحكت يوني ودمعت عيونها هي الأخرى، ولكن سريعًا ما بهت وجهها لحظة رؤيتها لإميلي تهرول إليه وتحتضنه.

«إميلي مغرمة براي!»، شهق التلاميذ في اندهاش.

تساءل المعلم متعجبًا من هذا القرار المفاجئ: « أنت تمزح يا راي.. أليس كذلك؟!»

نظرته إميلي في شك، فقال راي: «لا تنظري إليّ هكذا.. إنني لا أمزح»، ثم التفت لمعلمه، الذي ابتعد ووقف عند السبورة منتظرًا إجابته...

أجابه راي: «إنني لا أستحق الذهاب إلى مدرسة (العباقرة).. لأنني لستُ وحدي من فاز بالمسابقة.. لقد ساعدتني إميلي وجيمس وأنت أيضًا يا سيدي؛ كل نصائحك لي قبلًا أثبتت لي أنني بدون أصدقائي لا أساوي شيئًا.. ولهذا دومًا ما كنتُ أفشل في محاولاتي الكثيرة.. لماذا! لأنني كنتُ وحيدًا.. بل أوهم نفسي أنني وحيدًا، وأسمع سخرية زملائي فأوهم نفسي أن لا أحد يحبني.. لقد كنت أتميز غيظًا وأسعى لإثبات عكس ذلك ولكنني في النهاية كنتُ أفشل.. ثمة شيء كان ينقصني، وهو أن أنظر لنفسي بعيونهم هم.. لقد

اخترت البقاء بين زملاء دراستي وأصدقائي حتى وإن ظللت محط سخريتهم على الدوام.. سأتحمل لأنني المختلف وليس هم.. سأبقى لأنني أبحث عن الحب أكثر من العلم.. العلم يمكن تحصيله في أي مكان أما الأصدقاء فمن الصعب تعويضهم.. لقد نجحت وأنا بينهم، نجحت وهم بجانبي.. وبذهابي هناك لن يكونوا معي، لن يكونوا بجانبي».

«يالك من فتى عجيب يا راي!». أغمض المعلم عينيه وتنهد بعمق، قبل أن يبتسم قائلًا: «لقد أذهلتني كلماتك.. إنني أشعر بأنني أنظر لراي آخر.. ثمة شيء غريب فيك».

«أجل.. لقد قام بحلق شعره». قالتها تلميذة، لتضيف بعدها هايدي: «وربما هذا كائن فضائي منخفض، ليس راي صديقنا».

سخر أحد التلاميذ: «هايدي غارقة في عوالم الخيال».

تساءل جيمس: «إذًا من كتب هذه اللوحة؟»، عم الصمت بين الجميع، وراي يختلس النظر إلى بوني.

«من كتب الورقة ليس تلميذًا في هذا الفصل». صرح راي بذلك، ليسأله المعلم، «إذًا فأنت تعلم من كتبها!».

أومأ راي: «أجل.. إنها أختي (متي)؛ فهذا الخط يعود لها.. وهي الوحيدة التي فعلتها مرارًا معي».

بدا في نبرة راي أنه تعمد قول ذلك؛ لأنه كان واثقًا من أن بوني هي من قامت بتعليقها. كل ما أراده في تلك اللحظة رؤية الدافع وراء ذلك في عينيها، ولكنها لم تكن تنظر له، بل لم تكن تنتبه لأحد، كانت شاردة وتنظر عبر النافذة. تعجب في نفسه لحظة أن رنّ جرس بدء وقت الراحة، وإصبلي وجيمس يشاكسانه وهم يخرجون، بينما ظلت بوني على وضعها جالسة في

الفصل وحدها، صرخ بداخله موبخًا نفسه: «لماذا فعلت ذلك.. لماذا فعلت ذلك!».

☆☆☆

لماذا فعلت ذلك؟

صرخت بوني بداخلها، وهي تلوم نفسها على ما فعلته. لم يكن أحدٌ سواها في الفصل، ومع ذلك ظلت تحدق إلى السماء عبر النافذة المجاورة لمقعدها، تحدث نفسها: «لماذا فعلت ذلك، لقد أخبرتني مني أن أعطيها له في يده.. إنني المخطئة؛ لقد أضعت فرصتي الوحيدة.. إنني حمقاء ملعونة لا أستحقه».

بوني !

استفاقت بوني على صوت صديقتها ليانا التي دخلت لتوها الفصل ومعها صديقتها: «إيثان لم يعد يحتمل الجلوس بجوار دبريك.. ويصر على الجلوس في مقعده».

«أجل!». قالها إيثان ببرود وهو يجلس فوق المقعد المقابل لها: «لقد وافقت كل هذه المدة اعتقادًا بأنكما ستجدان حلًا للنصائح.. ولكنكما لم تفعلا».

تجهمت بوني في ضيق لتعترضه: «بل كنت توافق لأنني أعطيك مصروفي اليومي كل يوم».

«أهذا ما تسمينه مصروفًا؟!». ألقى إيثان النقود في وجهها: «لم أعد بحاجة لنقودك.. أريد مقعدي وحسب».

استعطفته بوني قائلة: «إنه آخر يوم في الدراسة.. لن يحدث شيء إن ظللت ».

«هذه ليست مشكلتي!»، قاطعها ايثان بحدة. «إنها مشكلتك الآن».

تمتمت لبانا قائلة: «ربما من الأفضل أن نتصالحي مع دبريك؛ ففي السنة القادمة لن تجدي أحدًا يرحب بصداقتك».

صرخت بوني فيهما، «هو من أمركما بذلك!». دمعت عينا بوني وهي تشيح بوجهها، تنظر إلى النافذة، شاعرةً بخوف شديد. لقد أضاعت كل شيء، والآن ستعود بجوار دبريك. أجفلتها صيحة إيثان، وهو يمسك بحقيبتها ويلقيها في مقعد دبريك: «لقد أرجعت لك نقودك.. هيا انهضي وعودي لمقعدك القديم».

نهضت بوني مضطربة، وهي ترتجف من الخوف. شعرت كما لو أن الدنيا صارت ظلامًا من حولها، وبحركة بطيئة منخفضة، خرجت من الفصل ولا تدري ماذا عساها تفعل.

☆☆☆

عاد التلاميذ بعد وقت الراحة، وأول شيء لاحظه راي أن إيثان قد جلس بجوار لبانا، وحقيبة بوني المدرسية في مقعد دبريك. سخرت إميلي وهم يدخلون الفصل: «لقد عادت بوني بجانب دبريك.. يبدو أنهما تصالحا!». انصعق راي أضعافًا وعاتب نفسه على كل كلمة قالها، وأنه السبب في فعلها ذلك.

مرت دقائق واكتمل عدد التلاميذ ولم تحضر بوني. سألت المعلمة لبانا فأجابتها بكل برود: «لا أعلم». ثم أضاف إيثان ممتعضًا: «لقد صارت فتاة عجيبة منذ خصامها مع دبريك».

لم تمر دقائق، وإذ بالقلق يستولي على المعلمة، وبالمثل مع راي الذي صار في قمة قلقه، لا يدري ما الذي حدث، وفجأة إذ بالمدير يطرق باب الفصل ومعه

بوني، «لقد كانت شاردة ولم تسمع جرس الحصة».

يالله من عذر ضعيف!

فكر التلاميذ. ثمة شيء قد حدث: كان جليًا على وجهها الخائف، المكتئب. أخذوا يتابعونها وهي تتوجه صوب مقعد ديريك وهي تتجنب النظر له. ابتسم ديريك وعلى وجهه علامات الانتصار، حيث تهض وهو يهمس لها: «مرحبًا بعودتك أيتها الأميرة». رفعت بوني رأسها تنظر إليه في تحدٍ، ثم لمحت ليانا وإيثان، يضحكان خلسة ويهمسان لبعضهما. ولكن بوني في تلك اللحظة فاجأتهم جميعًا، حيث مدت يدها وأمسكت بحقيبتها.. وتوجهت إلى نهاية الفصل حيث مقعد راي.

لقد شعرت بالخوف لحظة التقاء عينيها بعيني إميلي، ولكن راي لم يكن ينظر لها وهي تتقدم نحوه. كان الخوف يزداد مع كل خطوة، وأذناها تنصتان لغمغمة التلاميذ فيما بينهم. كانت في أشد حالاتها حرجًا وخجلًا، ولكنها لن تعود وتجلس بجوار ديريك مجددًا، ولن تحقق مراده.

وقفت أمام مقعد راي، لتخرج الكلمات بصعوبة وبصوت رقيق للغاية: «هل يمكنني.. الجلوس.. بجوارك اليوم.. يا راي؟».

رفع راي نظره إليها والتقت أعينهما. بدا كالأبله لحظة سماع صوتها وهي تهمس باسمه، وبحركة مضطربة أومأ لها وهو يفسح متململًا لتجلس بجواره. دام الصمت فيما بعد طيلة الحصة، كان الاثنان مرتبكين، وكلما تلامست ركبتاهما شعر راي بخفقان قلبه. شعر في تلك اللحظة كما لو أن الفصل كله ينظر إليهما، وعندما نظر حوله، لم يجد أحدًا يلتفت لهما. جميعهم كانوا منصتين لشرح المعلمة.

فقط إميلي التي كانت تنظر له وتبتسم، فبادلها الابتسامة التي كادت أن تتحول إلى ضحكة سعادة. لا يصدق أن بوني جالسة بجواره. التفت عيناه

بعيني بوني مجددًا فوجدها تبتسم له وتشكره. لم يستطع أن ينبس بكلمة واحدة، وظل طوال الحصص المتبقية على هذا النحو، حتى تشجع ومدَّ لها بورقة (لا ترحل) وهو يهمس لها شاكرًا.

لم يكن يصدق أنه فعل ذلك واقشعر جسده ما إن أمسكتها وتلامست أصابعها بأصابعه. أشاحت بوجهها للجهة الأخرى، وهي في غاية سعادتها، ثم نظرته ثانية وهي تشكره للمرة الثانية، ولكن تلك المرة خدجها مدهوشًا لحظة أن سمع نبرتها الركيكة الخافتة وهي تنطق باللغة العربية...

«شكرًا يا راي لأنك لم ترحل»

(21)

آدم لار

JR008.Sc.L18.G-Ral

تمعّن الأشيب في تلك الأحرف وهو يستمع لما يقوله ليوتيل. كانت عيناه لا تحيدان عن ذاك الصندوق الغريب، الذي استلمته المؤسسة ليلة أمس دون معرفة ما بداخله. لم يكن في الأمر غرابة بقدر غرابة تلك الأحرف المطبوعة أعلى الجانب الأيمن له، والتي لم يكن الأشيب يعلم عنها شيئًا. على عكس (ليونيل ديركفلو)، هذا الرجل الطويل ذي العيون الخضراء الذي كان يقف بجواره، والذي يعتبره الأشيب بمثابة يده اليمنى، وشريكه الوفي، لكونه مالكًا لأكبر حصة تمتلكها عائلته الآن، وأكثر شخص يعلم أسرار هذه المؤسسة، ومن بين الأسرار التي كان يخفيها دون عمد هو (جون ريمون).

تساءل الأشيب: «من جون ريمون؟!».

أجابه ليونيل: «إنه أحد العملاء الأحرار.. بالضبط مثل والده الذي اختفى في ظروف غامضة لينولي هو بعدها المشروع الذي كان يعمل عليه.. ذاك المشروع كان يحمل الحرفين (Sc). لم يخبرني أبي عنه الكثير لأنه لم يكن يعلم عنه شيئًا. وبالمثل معي عندما صرت جزءًا من المؤسسة أدركت أن أي مشروع يحمل ترميز G-Ral هو مشروع في غاية السرية يتبع كيانات عليا، مجهولة الهوية.. هل هم بشر أو مخلوقات أخرى، لا أحد يعلم عنهم شيئًا.. ولكن الشيء المؤكد الذي أعلمه أن المؤسسة بكافة مواردها وعملائها، خاضعة لأوامرهم في أي مكان وفي أي وقت».

تعجب الأشيب قائلًا: «ولكن كيف تكون مثل هذه المشاريع سرية؟ أليست

المؤسسة مسؤولة عن إدارتها وتنـ ؟!».

«بالطبع لا!». أشار ليونيل جهة الأحرف (I.18). «إنه القطاع الثامن عشر، الذي يتولى إدارة تلك المشاريع السرية ومقره في ولاية نيفادا.. ولكنه الآن صار قطاعًا سريًا بعد أن تم فصله عن كيان المؤسسة.. كل هذا حدث تقريبًا قبل وفاة (ألفريد أدلنشرو) لتحدث بعده تغييرات عدة كلها تحمل هذا الترميز (I-Kal)، من بينها إيداع كم ضخم من السبائك الذهبية، مختومة بتلك الأحرف أيضًا، قيمة حصة (ألفريد أدلنشرو)، وذلك لتصير حصته ملكًا لك يا سيدي بعد ذلك».

حدجه ليونيل في تلك اللحظة وكأنه يحاول قراءة أفكاره. لم يكن الأشيب يعلم ذاك السر أيضًا، والذي جعله متصلبًا في مكانه، شاردًا يفكر، ثم فجأة حرك قدميه إلى الصندوق، وهو يتلمس تلك الأحرف البارزة، ليلتفت بعدها إلى ليونيل، متسائلًا بنبرة متشككة: «ولكن أليس غريبًا أن يتم إرسال شيء تابع لمشروع بالغ السرية، إلى المكان الخطأ؟».

«هذا ما اعتقدته أيضًا!». اقترب منه ليونيل وهو يخرج خطابًا من جاكيت بدلته. «حتى قرأت الاسم المطبوع على هذا الخطاب المرفق معه». أمسكه الأشيب ليقرأ ذاك الاسم المطبوع عليه (سام جابريال).

☆☆☆

لقد عرفت حديث المدرسة أنت و

«بولي!»، نطقت إميلي اسمها بصعوبة وهي ترسم ابتسامة على وجهها. «بفضل هايدي الغبية! من المفترض أن نسميها هايدي الثرثارة؛ لم تترك أحدًا إلا وأخبرته أن بولي كانت في قمة سعادتها وهي تجلس بجوارك».

نظر إليها راي متأملًا عيونها. كان يعلم أنها سعيدة بالفعل ولكنها في الوقت

ذاته .

قاطعت إميلي تفكيره وهي تضربه في كتفه: «لا تنظر إليّ هكذا.. لقد تغيرت نظرتي لها، وما سمعته اليوم أكد لي أنني كنت مخطئة.. لقد علمت ما حدث بينها وبين دوريك ومن ثم ما قامت به لبانا.. كل التلاميذ يتحدثون، وبعضهم يقول إن بوني ذهبت للإخصائية الاجتماعية تشكو إليها ما حدث.. وهذا سبب تأخرها».

«وكيف عرفوا بذلك؟».

«لقد رأوها وهي تدخل إلى حجرة الإخصائي الاجتماعي».

لم يتبس راي بكلمة واحدة. فقط أومأ في صمت، لتواصل إميلي حديثها..

«عندما أخبرتك أنك لا تهتم إلا بنفسك يا راي.. كنت مخطئة.. لقد كنتُ أنانية لا أهتم لمشاعرك، ولا أهتم بما تريده حقًا.. لطالما كانت بوني هي حلمك الأول والأخير، وهذا أكثر ما كان يضايقني.. كان خوفي الأعظم من أن تبتعد عني، ولذلك كنت أراها عدوتي التي ستأخذ مني الشخص الوحيد الذي يهتم بي بعد أمي.. وللعجب عندما رأيتك مهتمًا بالتعرف على جيمس ومحاولتك لتجعلنا قريبين من بعضنا أكثر، أدركت أنك تعلم أنني معجبة به وتسعى لتقريبنا من بعضنا». دمعت عيناها. «ولذلك أنا سعيدة.. لأنك حققت حلمك».

ابتسم راي، مبتهجًا بما قالته إميلي، فلكزته بكتفها قائلة: «ولكنك سيئ الحظ. لقد جلست بجوارها ليوم واحد فقط.. هل تحادثتما، هل أخبرتك شيئًا».

أومأ راي في ابتهاج: «نعم.. لقد أرادت تقبيلي».

شهقت إميلي وهي تدفعه بعيدًا: «كاذب.. كاذب». ضحك راي وأخذت إميلي

تجري خلفه وتضربه حتى أمسكت يده بعدها، وواصلا في طريقهما. دام الصمت لدقائق، شعرت فيها إميلي بشعور غريب، أن راي لن يكون أكثر من أخيها التوءم بعد الآن. «بعد غد سأسافر أنا وأمي إلى (فلاج سناف)».

تأملت إميلي وجهه ثم واصلت حديثها: «سنزور خالتي مارثا، وربما سنقيم هناك طوال فترة الإجازة الصيفية.. يمكنك أنت أيضًا قضاء الإجازة في بيتك وسط أسرتك.. لربما أيضًا تتاح لك الفرصة وتنجح بالتقرب من توني أكثر ».

☆☆☆

رفع الأشيب رأسه بعد قراءته للرسالة، ليرمق ليونيل في شرود، طالبًا طلبًا غريبًا: «ابحث عن شخص اسمه آدم لار ».

استفسر ليونيل متعجبًا؛ فالسؤال كان بالنسبة له غير مفهوم، فأوضح له الأشيب بأن يقوم ببحث دقيق في قاعدة البيانات عن أي شخص ينتمي للمؤسسة بأي صفة، ويحمل ذاك الاسم.

«الآن!» قالها الأشيب بصوت جاد، ليتردد صداه في أركان المخزن الذي يقفان فيه. تركه ليونيل وهو يبتعد قليلًا ليجري اتصالاته. أما الأشيب فأعاد نظره ليعيد قراءة الرسالة مجددًا.

"لا تنس جلب الصندوق معك وأنت قادم". كانت هذه هي الرسالة التي تم توقيعها بجملة بالغة الوضوح، مفتاح العبور (آدم لار). في تلك اللحظة التي أبصر فيها تلك الجملة، بدأت كل الألغاز تتفكك داخل رأسه. فقط كان ينتظر سماع نتيجة البحث ليتأكد من أن تخمينه صحيح.

هتف ليونيل: «لا أثر لهذا الاسم يا سيدي».

اقترب منه ليونيل وهو يعيد ترديد كلماته بشكلٍ مفصّل، ولكن الأشيب في

تلك اللحظة كان شاردًا يفكر في تلك اللعبة التي تحبها ذاك الغريب (لار) كل هذه السنين. دقائق وحرك أقدامه وهو يطلب من ليونيل، سرعة إرسال هذا الصندوق إلى مكتبه. أومأ له ليونيل وهو يتحرك برفقته، قاصدين المبنى الرئيس للمؤسسة. كان يفكر بداخله، هو الآخر، عمّا كان في الرسالة، وما سر سؤاله عن ذاك الاسم تحديدًا. أما الأشيب فلقد كان غارقًا في فكرة واحدة وهي الطريقة الخبيثة التي تلاعب بها (لار) ليجعله خائفًا منه طيلة هذا الوقت ويظل باحثًا عن مجهول لا أثر له. هل هذا هو الاختبار، فكر في نفسه متسائلًا، أجل من المؤكد هذا هو اختباره ليثبت أنه شخصٌ مطيع، وهذه الرسالة تعني أنه نجح في الاختبار وحان وقت لقائهما.

آدم لار.. أليس كذلك؟

ترددت تلك الكلمات على مسامع الأشيب وليونيل، وهما يتقدمان داخل قاعة الاستقبال الرئيسية. توقفا في اللحظة ذاتها ليلتفتا لشخص ذي تحية قصيرة على مقربة منهم، وقف يصافح صبيًا في عمر المراهقة، حدجه ليونيل لثوانٍ قبل أن يتمعّن في وجه الأشيب الذي بدا خائفًا، أو مذهولًا، أو أنه لا يصدق نفسه. لم يتأكد ليونيل ممّا يمر به الأشيب في تلك اللحظة إلا عند سماع صوته المهتز كحال يديه وهو يشير إلى ذاك الصبي.

تلجلج الأشيب متسائلًا: «أسمعت ما تردّد الآن.. إنه يقول آدم لار!».

أجاب ليونيل: «أجل لقد سمعت ذلك.. أهذا الفتى الذي تبحث عنه؟».

لم يجب الأشيب وحدجه في غرابة شديدة، لدرجة أن ليونيل تعجب من الطريقة التي ينظره بها. لم يسبق له أن رأى الأشيب في هذه الحالة مطلقًا.

تهرب الأشيب بسؤال آخر: «ومن هذا الشخص الذي يقف معه؟!».

أجابه ليونيل: «إنه الدكتور نورمان.. يعمل لدينا منذ أن ...!»، قاطعه الأشيب

بصوت مضطرب لحظة أن اقترب نورمان وبرفقته آدم. كان باديًا على وجهه الخوف الشديد من ذاك الطفل الصغير. لاحظ ليونيل ذلك قبل أن ينتبه لنورمان الذي ابتسم له وهو يلقي تحيته، ويتحاشى النظر في وجه الأشيب.

«الجميع يخافونني!»، فكر الأشيب في ذلك، لحظة أن تمكن منه الخوف حتى وصل إلى أقصاه، رددها مرارًا بداخله ليُطمئن نفسه. ثم وبصوت مهتز طلب من ليونيل اللحاق بهما كي يتأكد من اسم هذا الصبي، ولكن ليونيل لم يتحرك من مكانه، واكتفى برفع يده ليشير إلى شاشة ضخمة معلقة في إحدى أركان القاعة، كانت تعرض أسماء الفائزين بمسابقة العباقرة لهذا العام ومن بينهم اسم (آدم لار).

☆☆☆

آدم لار!

تمتم الأشيب بذاك الاسم، ليتوضح رمز المؤسسة المطبوع على اللوحة الجلدية، بوميض أزرق لامع. لم يكن قد رأى شيئًا كهذا من قبل، بل ازداد اندهاشًا لحظة أن أخذ هذا الرمز يتراكب معًا في خط مستقيم، وهو يتلوى كالثعبان قبل أن ينسل عبر ثقب أسود في تلك اللوحة. تراجع الأشيب متفاجئًا بتلك الفجوة تتسع شيئًا فشيئًا حتى أحالت اللوحة كلها إلى ستارٍ أسود.

اقترب الأشيب مترددًا وهو يرفع ذاك الستار بيديه المرتعشتين!

«يا للهول!»، همس داخل نفسه، لحظة رؤيته لممر طويل خلف الستار، كان باديًا كما لو أنه مدخل لكهف مظلم ومخيف. وأثناء ما كان يجول بنظره حوله، لفت انتباهه ذاك الوميض الأزرق الذي كان يتلوى على جدران الكهف، ولكنه في تلك اللحظة تحديدًا بدت حركته غريبة ليتبين أنه يعبد

تشكيل ذاته في كلمة واحدة ...

(أنبعني)

(22)

الحبر المسحور

راي.. هل انتهيت؟

كان راي جالسًا على حافة سريره، عندما أطل نوح عبر باب الغرفة، يسأله إن كان قد أنهى تجهيز حقيبته أم لا. ولكن راي لم يجبه حيث بدا كما لو أنه شارد يفكر، أو ربما حزين لرحيله عن هذا المكان الذي نشأ فيه منذ الصغر. فكر الجد في ذلك وهو يتطلع لذاك اللوح الخشبي في يده، الذي لفت انتباه حفيده عني الفور.

انتبه له راي متسائلًا: «ما هذا؟!»، فأعطاه نوح اللوح، وهو يجلس بجواره.

«مرحبًا بك في عالم الجوزاء»، نطق راي الكلمات المكتوبة عليه باللغة العربية، «هل أنت من كتبتها يا جدي؟!».

أومأ نوح مبتهجًا «أجل يا صغيري.. إنها هدية الجد لحفيده الجوزائي». صمت نوح لوهلة يتأمله، فلم يكن راي كعادته يضحك ويبتسم، على الرغم من كل ما استجد من أمور جيدة، ولكن النظرة التي في عينيه كانت تبدو عميقة، بشكل دفعه إلى الحيرة: «للمرة الأولى يا راي.. لا أستطيع فهمك».

ابتسم راي بصعوبة: «ولا أنا!». نظر للوح الخشبي وواصل كلامه: «لقد أشياء كثيرة تغيرت.. لقد ظننت أنني بمجرد معرفتي كل ما تخفونه عني، سيطمئن قلبي.. ولكنني صرت خائفًا.. صرت أشعر كما لو أن مستقبلي صار مجهولًا».

ربت نوح على ظهره، وقبل رأسه قائلًا: «بمجرد عودتك إلى أسرتك سينبدد ذاك الشعور إلى الأبد.. ألم تخبرني أن بوني جلست بجوارك اليوم وكنت في

غاية سعادتك.. لماذا ننظر للنقاط المظلمة، ونترك البقع المضيئة في حياتك. أنت لديك أسرة رائعة يا راي ستجعلك تكره العودة إلى هذه الغرفة الكئيبة».

«حتمًا تقصد أسرتي عدا مني»، قالها راي مبتسمًا. «إنها الوحيدة التي ستجعلني أعود إلى هنا من اليوم الثاني».

قهقه الجد قائلًا: «ولكنني موقن.. إنها أول من ستفرح بعودتك».

«للغاية!»، أجابه راي بنبرة هازئة.

انخرط نوح في الضحك، ثم نظر إليه قائلًا: «هذه هي الحياة يا راي، لا تحلو دون مشاكسة من يحبونك.. ربما أنت تجهل مستقبلك ولكن هذا لا يعني أنه مظلم. ثمة مفاجآت جمة ستجعلك ترضى ونفرح بهذا التغيير.. وبوني التي أردت مصادقتها.. صارت أقرب إليك من ذي قبل، إلى جانب أنها صديقة أختك أي ستراها كل يوم.. فمن يعلم ما قد يحدث غدًا».

ابتسم راي وهو يتطلع إلى اللوحة: «مرحبًا بك في عالم الجوزاء»، نطقها راي مجددًا ثم نظر إلى جده قائلًا: «إنها رائعة.. ولكن ثمة شيئًا غامضًا يحيرني، فأنت لم تخبرني ماذا سيحدث إن تحققت نبوءة (صاد) وعاد عالم الجوزاء إلى الخيال.. هل يُعقل حدوث ذلك؟ هل يُعقل أننا سنكون أيضًا جزءًا من الخيال؟!».

أجابه نوح: «لا أعلم يا صغيري.. ولكن إن كان حديثنا الذي نتحدثه، يُقرأ الآن.. فهذا يعني أننا صرنا جزءًا من الخيال».

استفسر راي: «لا أفهم ما تعنيه يا جدي!».

تنهد نوح قائلًا: «لقد كانت رؤية صاد الأخيرة، غامضة لبست كبقية رؤياه.. رأى فيها أن الجوزاء الأخير سينهي عالم الجوزاء بواسطة الحبر المسحور،

الموجود في إيخار.. قال إن القائد الأخير سيجعلنا كلنا مجرد حبر مطبوع على الورق، وحينها سيصير كل ما ينتمي لعالم الجوزاء أسطورة من الخيال».

«وهل هذا ممكن؟!».

«تاريخ الجوزاء يعج بعجائب لا يمكن لأي إنسان تصورها.. وعلى سبيل المثال، هل سبق وأخبرتك عن سنة مولدي!».

استغرق راي ثوانٍ يحسب مضمحًا، ثم أجابه: «في عام 1965 ميلاديًا».

هز نوح رأسه مصححًا له: «لقد ولدت في عام 1882 ميلاديًا!».

اتسعت عينا راي في ذهول، وأنصت لكلمات جده: «لقد رحلت عن الأرض في عام 1893، واستقرونا هناك في كوكب (ميمصدراء)، حتى صرت في الخامسة والثلاثين من عمري، ومن ثم عدنا إلى الأرض في عام 1972، خارج الكرة الأرضية أنت تخضع لمقاييس زمنية مختلفة ولن تتوقع كم سنسبق الزمن الأرضي إلا بعد عودتك، وهذا ما كان يحدث مع الجوزائيين الذي يهاجرون من وإلى الأرض، فظل نسلهم يتمتع بطول القامة الذي كان عليه أجدادهم.

صدقني يا راي، هذا العالم مليء بعجائب لا يمكن تصديقها، وكل ما أخبرتك به وما سأخبرك به، لا يعد شيئًا يُذكر. ربما غدًا ستعلم الكثير والكثير عنه، حتى تدرك أن هذا العالم متشعب ومليء بأحداث لا نهاية لها. تاريخ قادة حكموا العالم تحت مسمى أنهم آلهة، وقادة اشتعلت بينهم حروب مخيفة، لنزاعهم على الأرض ومن يحكمها، وقادة آخرين عاشوا وماتوا بين البشر دون معرفة هويتهم، وقادة حكماء أخيار عاشوا هنا وهناك، وقادة تبرؤوا من كيانهم ليعيشوا وسط البشر، كأمثال إيزيس وأوزيريس».

اندهش راي في عدم تصديق: «هل إيزيس قائدة جوزائية؟!».

أومأ له نوح بجيبه: «إنها ملكة أسورين التاسعة، وزوجة القائد (أوز- ربس-را)».

تعجب راي قائلًا: «ولكن الناس يعتقدونها من الآلهة!»

أجابه نوح: «أجل يا صغيري.. كل هذا بسبب (ست)، الذي خان عرقه وشطَّ عن إنسانيته وعرقه الجوزائي».

- «نبدو قصة مشوقة؟!».

- «بل قصة مؤلمة!».

استطرد الجد يحكي له: «لقد كان (أس - را) هو الجوزاء القائد، للنسل التاسع الجوزائي... عُرف عنه أنه قائد مسالم، هادئ، يعشق إيخار ويخشى الخروج منها.. تربى منذ صغره على الخوف من بشر الأرض، استنفر أعمال البشر وغفلتهم، على عكس أخيه (أوز-ربس-را) الذي تخلى عن كيانه الجوزائي وعاد لمصر لإصلاحها ونشر المعرفة التي حصَّلها شعب الجوزاء على مدار قرون جمة.. حذره (أس-را) من عواقب ذلك، وأن هذه المعرفة لا بد أن تظل بعيدًا عنهم، وصدق حدسه عندما وصلت تلك المعرفة للشياطين والمفسدين.. ليستغلوها في اختراق إيخار، ووقعت مذبحة مرعبة، راح ضحيتها أبرياء من بينهم أسرة الجوزاء القائد، حينها أقسم أنه لن يدع بشريًا يخطو على الأرض وبداخله شر.. رحل إلى مصر وكلما رأى ظالمًا أو مفسدًا، قتله أمام أعين الناس، وإذا اعترضه أحد من أهله، يقتله رجالًا ونساءً.. لم يستطع أحد إيقافه.. فتات المذابح في كل مكان.. اعترضه أخوه ليوقفه ولكنه لم يستطع، أخبره أنه لطالما كان مخطئًا وأن البشر لا يمكن إصلاحهم.. وأن المعرفة التي تحصلوا عليها جعلتهم يبيدون الجنة الباقية، حتى يبدوا الخير في الأرض كلها.. وحينها أقسم (أس-را) إن اعترضه ثانيةً فسيقتله.. ومنذ ذلك الحين، صار حاملًا للقب (ست) وهو اسم عين الشيطان وقتها.

شطنّ عن كيانه الجوزائي والبشري وباع روحه للشيطان ليكون (عين الشيطان) نفسه.. صار لديه هدف واحد، أن يذيق البشرية كيف يكون الظلم، ظلّ يبيد آلاف البشر حتى خرّ الجميع أمامه عاجزين.. لقد خدعه الشيطان مثلما خدع البشر حتى توغّل إلى نفسه واستولى على جسده، بحجة إهلاك كل المفسدين ليتطهر الشر...

وليس ذلك وحسب، بل واعتبر نفسه القائد المنشود الذي سيحبل تاريخ الجوزاء إلى خيال، لقد تلاعبت الشياطين بعقله، أوهمته أن هذه هي الغاية من وجودهم؛ أن يكونوا بمثابة آلهة عظيمة تمشي على الأرض، ليخافها البشر، حتى تصير مستقيمة.. وأن القصد من نبوءة صاد هي تزوير التاريخ، بواسطة الحبر المسحور على جدران المعابد لمحو الكيان الجوزائي من ذاكرة التاريخ، ليصيروا هم الآلهة في الأرض.

والغريب أنه بعدما حقق هدفه، صار مدركًا أنه سقط في فخ الشياطين، وصار على رأس هؤلاء الخاسرين المنشقين عن كيانهم البشري والجوزائي، فبدأ يبيح لنفسه ما يفعله ويقنع نفسه بأنّ هذا هو الصواب.. بالضبط كأي إنسان يسلك دروب الأهواء ثم يحلل لنفسه ما يفعله حتى لا يصبح بداخله مذنبًا.

كل هذا حدث لأن (ست) سمح لنفسه أن يكون وحيدًا، حتى تمكنت منه الكراهية وتغلغلت في قلبه فسهل على الشيطان خداعه، مثلما يحدث مع أي إنسان آخر.. ولذلك يا راي.. يجب عليك أن تحيط نفسك بكل من تحبهم.. وتدرك أن ما بداخل عقلك الآن بمثابة أمانة عظيمة لإيقاظ البشر وليس لتعتقد أنك الوحيد من نوعك، أو لتعتقد أن لا مكان لك بينهم.. لقد أخبرتك تلك القصة لأنني لا أريد رؤيتك بعد اليوم وحيدًا منعزلًا.. أريدك أن تعيش وسط أسرتك الحقيقية، وسط جيرانك وأصدقائك.. وأما عن كيانك

الجوزائي.. فلتجعله مثل ذاك اللوح الخشبي ينظره الناس جميعهم ولكن قلة قليلة يرون حقيقة الكلمات مثلما نراها!

تطلع راي بنظرة جادة إلى اللوح، ثم ارتسمت ابتسامة ساخرة على وجهه: «هم بالفعل لن يروها لأنها باهتة للغاية وصعبة القراءة». قهقه الجد، وهو يربت على ظهره، « ربما تبدو باهتة لأنها كُتبت بآخر كمية لديّ من الحبر المسحور".

«حقًا؟!"، قالها راي في انبهار، «لقد اعتقدت أن هذا الحبر نادر الوجود أو أنه ".

قاطعه الجد قائلًا: «من قال لك إنه نادر الوجود.. ثمة بركة فضية مشعة في إبخار تعتبر مصدر الحبر المسحور.. وهذه البركة لا تنضب أبدًا.. والحبر بداخلها يظل متلألئًا حتى اللحظة التي يخرج منها ثم يصير حبرًا أسود كما تراه.. وبغض النظر عن أهميته في نبوءة (صاد)، فهذا الحبر يتميز بخصائص عجيبة، ومن أهم هذه الخصائص أنه يتواصل بين البشر في عقل اللاوعي، ولذلك يُستخدم في المراحل التمهيدية للتدرب على التخاطر.. وأيضًا يستعين به السحرة الجوزائيون في صناعة تذاكر بوداي السحرية، التي أخبرتك بها قبلًا.. غير أنه يقال إن هذا الحبر يحتفظ بوهجه الفضي، ولكنه لا يتوهج إلا بلمسة السحرة الجوزائيين وحدهم".

(23)

لقاءُ طال انتظارُه

صدح صوت العجلات، بمجرد أن دفع الأشيب العربة الموضوع بها الصندوق ليتتبع ذاك الخط المضيء. كانت صلصلة العجلات، تثير ريبته بالضبط مثل هذا الشيء الذي ظل يزحف على جدران هذا الممر، الذي ظل يزداد ظلمة مع كل خطوة يخطوها، حتى صار محاطًا بظلام حالك. لم تكن عيناه بمقدورهما رؤية شيء سوى هذا الخط المضيء، الذي أخذ يحلق فوقه كما لو أنه انفصل عن الجدران، وصار يسبح في الفراغ. في تلك اللحظة شعر بفقدان توازنه، وباغته شعور مخيف كما لو أنه يقف فوق حافة جبل شاهق الارتفاع.

وفجأة لمحت عيناه بصعوبة بالغة، أشكالًا مبهمة لتماثيل ضخمة عظيمة الارتفاع. بددها سريعًا ذاك الخط المضيء وهو يلفت انتباهه بكلمات أخرى، (تقدم ولا تخف). ولكن الأشيب شعر بالخوف أكثر، بدا كما لو أن أحدًا يراه ويراقبه. هل هو السيد (لار). أجال النظر حوله لثوانٍ أخرى، ثم دفع العربة مستسلمًا.

ولكنها لم تصدر صلصلتها المزعجة!

تفاجأ الأشيب في تلك اللحظات المرعبة، بأنه يرتفع مع كل خطوة يخطوها للأمام. بل شعر في تلك اللحظات بأن ثمة قوى خفية تحمله، أو أنه يسير فوق الهواء، أو أنه يرتقي منحدرًا لا يمكن رؤيته. باغته شعور مخيف وهو يتذكر كلمات ليوتيل، عندما أخبره أن هذه المؤسسة تنتمي لكيانات عليا مجهولة الهوية. «اللعنة، هل يعقل أنهم ليسوا ببشر».

ارتعد جسده لحظة توقف الخط المضيء عند نقطة قريبة منه، وراح يلتف حول شيء لم يره إلا عندما ازداد توهج الخيط المضيء. كان أشبه بقطار صغير بمنصب فوق قضبان حديدية لا يمكن رؤية بدايتها أو نهايتها.

اصعد!

تشكل الخيط مجددًا في ذات الأمر، فانسلّ الأشيب، دافعًا الصندوق داخل القطار. مرت ثوانٍ، أعقبتها ثوانٍ أخرى، ثم بدأ القطار بالتحرك. ظلت سرعته تزداد وسط هذا الظلام الحالك، حتى شعر الأشيب بسرعته المخيفة، وهو يهبط بشكل جنوني، ثم عاود الصعود بالسرعة ذاتها متوجهًا صوب فجوة مضيئة بضوء خفيف، ظل يزداد لمعانًا مع اتساع تلك الفجوة ببطء كلما اقترب القطار أكثر. وبمجرد اجتيازه لتلك الفجوة، تفاجأ بالقطار يتوقف في ساحة شاسعة، يكسوها العشب الأخضر، وتحيطها جروف سحيقة من كل جهة.

بدا للأشيب كما لو أنه يقف بداخل فوهة بركان خامد. كان الهدوء يسري في المكان من حوله، وضوء النهار يغمر تلك البقعة الخضراء، التي تفوح بروائح عطرية ذكية، تغري أي شخص بالجلوس بها، ولكن الأشيب لم ينزل، شعر كما لو أن شيئًا غامضًا على وشك الحدوث. ثوانٍ وانقطعت عيناه ذاك الخيط المضيء، الذي اخترق الفجوة المظلمة، ليبدو كريشة متوهجة ظلت تتلاعب بها النسمات، حتى حطت فوق كومة حديدية بالية.

ازداد خوف الأشيب أكثر؛ فتلك الكومة كانت أشبه ما تكون بـ .

توقف عن التفكير لحظة أن ارتفع جزء منها يلتقط تلك الريشة، ليتضح جزء منها يشبه الفم، خرجت منه دفعة هواء أطلقت الريشة عاليًا، وحينها صدق حدسه. فجأة نهضت تلك الكومة الحديدية، تبدو كمجسم آلي عملاق، سعل عدة مرات، ثم تمطى بشكل بدا فيه كما لو أنه إنسان حقيقي، ارتعد

الأشيب وارتفعت أنفاسه لحظة أن نظره ذاك العملاق الآلي. «لا تخف أيها العم الشهير»، صدر صوت معدني، ظهر كما لو أنه يقهقه ساخرًا من نظراته الخائفة. لم يخرج الأشيب من القطار، إلا عندما صاح الآلي بصوت منضخم: «لقد أخبرتك، لا تخف»، اهتزت أرجل الأشيب، وهو يدفع الصندوق أمامه، ورأسه مرفوع لأعلى، يرقب هذا الهيكل الحديدي في فزع.

«أتدري كم انتظرتك هنا؟»، تحدث العملاق إليه. «ـــ إن لم يكن القائد بانتظارك لكنت   ». اختفت نبرته الغاضبة ليحل مكانها نبرة تعجب متسائلة. «ما هذا الصندوق؟!».

«هذا ما أراده السيد   »، تلجلج الأشيب وصحح كلماته: «أقصد القائد لار».

حدجه العملاق الآلي بغرابة، وهو يتنهد بصوت عميق كالخوار، ثم تقدم طالبًا من الأشيب أن يتبعه. دفع الأشيب الصندوق أمامه، وهو يفكر في هذا الآلي المخيف. كل شيء فيه كان يوحي له كما لو أنه يملك عقلًا أفضل من عقله، وقدرة عجيبة على قراءة الأفكار. ظل الأشيب يتتبعه، حتى اقتيد خارج تلك الجروف السحيقة، وهو يبتعد عنها شيئًا فشيئًا. ظل مأخوذًا بكل ما حوله وعيناه تبصران مروجًا خضراء شاسعة تتناثر بها أشجار عملاقة. أرجع رأسه يتطلع في تلك الجروف السحيقة التي ابتعد عنها، فتبين له أنها ليست سوى جذع خشبي بالغ الضخامة، لشجرة عملاقة مقطوعة. وفجأة، أوقفه صوت الآلي العملاق، وهو يشير صوب شجرة أخرى، يأمره بالتقدم إليها؛ فالقائد يجلس بانتظاره داخلها.

استجاب له الأشيب، ودلف إلى الباب ثانية ليجد نفسه في مكان آخر؛ قاعة واسعة يغمرها ضوء الشمس وفي منتصفها يجلس هذا الرجل الذي رآه منذ عشر سنوات. كان يلبس ثيابًا مهترئة بعض الشيء، ولكنه لا يزال يحتفظ

بهيبته. كان يقوم يخبز خبز ذي رائحة لذيذة. التفت للأشيب ثم انتبه لما يفعله، كما لو أنه لا يكترث لحضوره. تقدم الأشيب عدة خطوات ليوقفه سؤال لار: «كيف حاله؟!».

بدا سؤالًا غامضًا، ولكن للأشيب كان واضحًا للغاية، حيث أجابه بسرعة: «جيد.. جيد للغاية يا سيد لار».

ابتسم لار وهو يقلب رغيف خبز ليس كامل الاستدارة، في ذاك الفرن البدائي المصنوع من الحطب. جال الأشيب حوله للحظات يتأمل ذاك المكان الشاهق والشاسع، وهو يفكر في نفسه: «أي مكان هذا؟ أهذا موجود بالأرض؟!».

انقطع سيل أفكاره مصعوقًا لحظة سماعه لصوت لار يجيب أفكاره: «أجل، موجود بالأرض.. كل هذا موجود بذاك الكوكب الجميل الذي أهلكه المفسدون ومن لا يستحقون أن يكونوا بشرًا.. أمنيتي أن يروه مثلما نراه الآن. ولكن ليحدث ذلك، لا بد من ثمن ثقيل.. ثمن مرعب ومخيف يوازي رغباتهم.. كأن نجعل العبيد يغرقون في نطورهم وغرورهم، حتى تدرك الضباع أنه لا يمكنها أن تكون أسودًا ويوقن الملعون أنه ملعون لأنه يعشق لعنته !».

توقف لار عن الحديث، وهو يترك ما في يده ويتجه إليه: «ما هذا؟».

بدأت علامات الاضطرابات تزداد مع كل خطوة يقترب بها منه.

تعجب الأشيب متلعثمًا: «ألم ترسله لي يا سيدي؟». شعر الأشيب بحماقته؛ فلم يكن سؤالًا منطقيًا، «أقصد ألم ترسل لي رسالة موقعة باسمك مع هذا الصندوق».

بدا السؤال أكثر غباءً لحظة أن تطلع لار إليه بعينيه الشاردتين، ولكنه قاوم

ذعره وهو يمد يده ويخرج الخطاب ليعطيه له. أمسكه لار ليقرأ محتواه، ثم رفع رأسه ليحدجه بعينين غاضبتين. بدت مرعبة للغاية وكأنها أعين الشيطان، لدرجة أنه شعر بحرارة غريبة تحبط به وتطوقه لثوانٍ قبل أن تعتدل الأجواء سريعًا، لحظة أمره بالعودة من حيث جاء.

«سأنتظرك بعد يومين!»، أوقفه صوت لار. فأومأ الأشيب له في خضوع ثم واصل تحركه، خائفًا من التفكير في أي شيء. ولكنه لم يستطع تجاهل التفكير في سبب غضبه، فلقد كان باديًا للغاية أنه لم يرسل هذا الخطاب.

«أجل هو لم يرسل شيئًا.. إنني أنا من أرسلته!».

تراجع الأشيب مصعوقًا متأوهًا من الصوت الذي تردد في الفراغ، ليظهر بعدها شخص ملثم في السواد. خُيل له من النظرة الأولى أنه عفريت، ولكنه لم يكن سوى رجل يتوارى في عباءة سوداء.

علا صياح لار من خلفه: «أكمل طريقك يا سام، وعد من حيث جئت»، فهرول الأشيب مسرعًا وذاك الآلي العملاق في أثره.

«قلة قليلة من يعرفون القصة كاملة!». تمتم تودري بذلك وهو يتابع ابتعاد الأشيب حتى انسل عبر الباب واختفى. أزال غطاء رأسه وهو يجلس مكملًا كلماته: «ولكن قصة الجد الذي يوصي حفيده المسن على خاله الطفل، بمثابة أعجب قصة يمكن للمرء سماعها».

غمغم لار لاعنًا إياه، لحظة انتباهه لرغيف الخبز الذي احترق. كانت يداه ترتعشان. بالكاد كانت نبرات صوته توضح مدى ارتباكه لحظة أن تحدث إليه: «منذ متى ونحن نتدخل في شؤوننا الشخصية يا أخي؟».

أجابه تودري: ««عجبًا.. إنه السؤال ذاته الذي أبحث عن إجابة له.. منذ متى ومخلوقات إبخار تخرج لعالم البشر».

«إيخار ملك لنا جميعنا!».

«إيخار ملك لمن يعيشون بها فقط»، هتف نودري بصوت جاد أرجف لار: «أفعالك قد تجاوزت الحدود يا لار.. وبدأت تثير ريبتي!».

دام صمت طويل، ونودري يتأمل المكان من حوله، ثم نظر إليه مجددًا وهو يلقي رغيفَ خبزٍ آخر...

قال نودري بصوت هادئ: «لماذا يا لار؟ لماذا تصر على التدخل في شؤونهم؟ لقد تبددت أسطورة القادة منذ رؤيتنا لما يحدث في ميمصدراء. لقد حاولنا وفشلنا.. بالجهل نفقد عقلك وبالعلم أيضًا نفقد عقلك».

أجابه لار: «ورغم ذلك لا نزال قادة.. حاملين لقوى ذات هدف.. لا أن نؤسس بها عالمًا آخر، وننعزل ونظل نشاهدهم من بعيد وهم يقتلون بعضهم».

«ما الذي تنوي تحقيقه يا لار؟!».

«أن أجعلهم ينالون أكثر مما يفوق عقولهم، ويُحرمون مما هم بحاجة له. بل سأدفعهم لأن ينجحوا كما لو أنهم الصانعون المسيطرون. هذه أسمى طريقة لنصل بهم إلى مرحلة الصراخ لعدم قدرتهم على تمييز الصواب من الخطأ. لقد رحل الفلاسفة ولم يعد لديهم سوى العلم.. معادلة ناقصة تشعرك بالكمال ولكنه كمال مزيف.. بالضبط كهؤلاء النساء اللاتي يقحمن الطعام في فم الطيور حتى تتخم وتسمن وتفقد القدرة على الحركة.. وهذا ما سأفعله بعقولهم».

«أواثق من أنك تريد إيقاظهم لا استعبادهم؟!».

«استعبادهم؟!». قهقه لار قائلًا: « من يُستعبدون الآن، هم المقيدون بأثواب من حرير وشهوات لا تنقطع.. هؤلاء الذين يعيشون في رفاهية كرعاع

عميان، تُسحب بسلاسل من ذهب.. كل هؤلاء عندما نهبط بصقني من أعلى الهرم، يعتبرونها أمرًا مقدسًا.. إنهم يعشقون ذلك صدقني.. لطالما اعتقدت أننا حقًا نسل مختلف وأن علينا الرحيل.. ولكنني كنت مخطئًا. لقد تركنا خلفنا العباقرة ليشبوا بين بشر الأرض.. لقد انتشر العلم، وتطور بشكل غير معهود، إنها البذرة ذاتها ولكن الشياطين هي التي تحصدها الآن، لتخدم أهدافها.. حروب وتطورات قادت إلى هلاك الملايين.. رحيلنا أسفر عن نسخة شبيهة بالجوزائيين؛ آدميين جعلوا من أنفسهم الصفوة الحاكمين، إنهم مسوخ استغلتهم الشياطين.. إتراس وبران، يتلاعبان بهم كالدمى.. لقد أوشك العالم على الغرق في ظلمات لا تنتهي.. إنها الصورة ذاتها في مبعصدراء، عندما أيقنا أن دورنا كقادة لم يعد له وجود، وبأعيننا رأينا ممالك عظمى تسقط ولا يمكننا حمايتها.. وأنت بدورك كل ما استطعت فعله هو الفرار هربًا.. لقد سقطت (مض-إنر) وصارت بأسرها خراب.. حيوانات آدمية أحالتها غابة، بعدما هجرنها أسودها.. إنها الصورة ذاتها هنا على الأرض وفي إبخار أيضًا».

«هذا عن المفسدين.. ولكن ماذا عن الأبرياء الأخيار؟!».

«أود سماع صرخنهم!». صمت لار قليلًا، ثم حدثه بصوت عميق: «صرخنهم كفيلة بإيقاظهم وتغيير مسار التاريخ الذي تمنينا أن يتغير منذ أن وجد نسل الجوزاء.. أما غير ذلك، فسيظل هؤلاء الأبرياء يعيشون في البلاء، معتقدين أنه سيزول بمعجزة من السماء، والكارثة الحقيقية أنهم لا يعلمون أنهم برضوخهم هذا لن يجدوا سوى حفنة من الغربان، ذات يوم سنحلق فوق رؤوسهم، تنعق صارخة للمرة الثانية لتذكرهم كيف يدفنون بعضهم».

ظل تودري بتأمله لكوان، مذهولًا مما يسمعه: «على ما يبدو يا أخي أنك متأثر بستُ كثيرًا».

«ولمَ لا تقول (هاديس) بما أنني أقطن المكان ذاته حيث كان يعيش؟!».

«كلاهما باع روحه للشيطان.. استخدما سحرهما في السحق والتدمير حتى صار محرمًا.. وما تفعله أنت الآن لا يفرق عمّا كانا يفعلانه شيئًا؛ أن تنشر العلم وتجعله متاحًا للجميع. سيبيد ذلك البشرية ويعيدها إلى الصفر من جديد».

«وهذا ما أسعى له بالضبط!»، ابتسم لار.

«هذه أفعال الشياطين.. الشياطين التي أهلكت أرضنا بوبائها الشيطاني».

« عندما كنت فاقدًا ذاكرتي، أخبرتني زوجتي قصة رائعة للغاية؛ إنها تعطي عبرة مخيفة، أنه عندما يقدر الله أمرًا فالشياطين نفسها تطيعه.. تطيعه دون دراية بأنها تطيعه، وفي الوقت ذاته يكون باختيارهم، ربما هذه الحقيقة التي لا يستطيعون رؤيتها أو أن المتنورين منهم لا يريدون رؤيتها، لأنهم يوقنون أتم اليقين بأن معصيتهم، جردتهم من قيمتهم الحقيقية، حتى صاروا كائنات ضعيفة لا هوية لها، مجرد كائنات شطّت عن كيانها، وتحاول البحث بشتى السبل عن وسيلة تسكر عقولهم، وتوهمهم أنهم مخلدون ».

صمت لار قليلًا، ثم واصل حديثه: «قلة قليلة مَن يعرفون القصة كاملة.. ولكن الحقيقة أن لا أحد يعلم القصة كاملة. كلنا مخلوقات تجهل الحقيقة.. كلنا مخلوقات مهما تمت واكتسبت من المعرفة، فسيبقى لها حدود الكيان الذي خلقت عليه.. بالضبط مثلنا، ومثل هؤلاء الذين يملكون السلطة الخفية في عالم الانسان .. جميعهم يدركون تلك الحقيقة التي لا مهرب منها.. أن الله أعطاهم عقلًا نيرًا ليختاروا أي السبيلين، فاختاروا أن يكونوا مسيّرين، خادمين لهذا الملعون.. بالضبط كالخنازير التي تلعق الوحل، وعلى يقين أين سيكون مصيرها».

«وأنت على رأسهم.. لا تحسب نفسك من الأخيار!».

«لست من الأخيار.. ولكن أفضل من الاختباء وعدم فعل شيء». أجابه لار: «منذ زمن طويل قبل تاريخ الإنسانية وأجدادنا هربوا بسبب شعبنا الذي رضخ للشياطين، وفرح بكل ما يتم بهرجته.. لم يبحثوا عن التخلص من هذا الوباء.. بل تحولوا وصاروا يعشقون الرفاهية، صاروا يسعون لمن يريحهم من عناء التفكير، صاروا يعشقون من يبيده القوة ويستطيعون رؤيته بأعينهم كي يقدسوه.. كل فعل قاموا به بعدها يثبت أنهم لا يبحثون عن الإيمان؛ إنهم يبحثون عن ».

«عن النور!»، قاطعه نودري، «يبحثون عمن يرشدهم، عمن ينير لهم الطريق، ويبعدهم عن الشياطين التي تغشي أبصارهم، يبحثون عمن يسعى لنشر المحبة بينهم، لا يبحثون عمن يفقد الأمل في إصلاحهم ويختبئ بعيدًا حتى تغشاه أفكار الشياطين وتعمي أبصاره.. لقد سقطت مصر بسبب أجدادنا، الذين رحلوا ولم يفكروا بشكل جدي في إصلاح مصر.. أنت حقًا لست مثلهم، لأن أفعالك تؤكد أنك صرت جزءًا من الوباء الشيطاني. ربما لن تشعر بذلك لأنه لم يعد للنور وجود في قلبك.. أنت تريد رؤية الظلام ينتشر بين البشر مثلما غزا قلبك وعقلك، بعدما هجرت زوجاتك وأبناءك ونبرأت منهم.. لقد صرت فريسة سهلة للشياطين حتى أوهمتك أنك تفعل الصواب، والكارثة العظمى إن كانت قد أوهمتك أيضًا أنك الجوزاء المختار الذي يعلم كل شيء».

قهقه لار بشكل ساخر: «إنني حقًا أعلم كل شيء!».

«حقًا؟! إذًا فأنت تعلم أن بحيرة زبندا قد جفت!». أسكته نودري بتلك الكلمات التي جعلته ينصلب في مكانه مصعوقًا.

دام الصمت لدقائق، ليكسره صوت نودري من جديد: «ربما جسد اسكيبر في طريقه الآن إلى أركوفا، والجوكرا سيبدأ بحوزتك، لتحقق حلمك وتهرب إلى

المصفوفة منلما فعل (روا).. ولكن صدقني ثمة أشياء كثيرة تحدث أمامك وعلى مقربة منك ولا تدري بماهيتها البتة».

دك نودري الأرض بعصاه، فانبعث سيل أخضر، انطلق صوب الصندوق وتغذ بداخله. ثوانٍ، وسُمعت حركة بداخله أخذت تزداد حتى انتهت بتهشم الصندوق إلى فتات، إثر شرر ملتهب انبعث عن مخلوق أسود، لم تظهر هيئته من سرعته التي ظل يتقافز بها في كامل المكان، حتى وثب بسرعة الظل عبر فجوة سحرية، أنشأها نودري وهو يتبعه، وصدى صوته يتردد في رأس لار:

«إلى لقاء آخر يا جابريال».

(24)
أحلام وردية

هبطت ليلى الدرج وهي تتثاءب. كانت في طريقها إلى المطبخ عندما رن جرس الباب. فتطلعت إلى ساعة الحائط. إنها السادسة والنصف صباحًا. يا ترى من الطارق؟ توجهت صوب الباب لتتحقق من هوية الطارق، ثم ابتهجت وهي تفتح الباب. «متأخر كعادتك يا أبي!».

تساءل نوح بصوت خافت، وهو يغلق الباب خلفه: «هل هو نائم؟».

أجابته ليلى وهي تتثاءب: «لقد ظل ينتظرك ليلة البارحة».

ارتمى نوح على الأريكة، وهو يزفر في تعب: «لقد تغير ميعاد الطائرة.. ألم يستيقظ صلاح بعد؟!».

«أظن أنه !». انتبهت ليلى لزوجها وهو يهبط الدرج. «ها هو قد استيقظ». ثم التفتت لوالدها: «من المؤكد أنك جائع!».

أنضور جوعًا!

«سأعد الفطور فورًا!». قالتها ليلى وهي تنسحب إلى المطبخ مسرعة.

نظر إليه صلاح وهو يجلس بالكرسي المجاور للأريكة: «تبدو مضطربًا. ألم تخبرني البارحة أن كل شيء على ما يرام».

أجابه نوح: «أجل أجل، كل شيء على ما يرام.. إنه فقط راي.. لم يسبق لي أن فوتُّ شيئًا يخصه.. لدرجة أنني غفوت قليلًا في رحلة العودة وحلمت بأنني حضرت في الميعاد المحدد ورأيت بيت الشجرة الذي بناه راي ولكنه لم يكن مثلما تخيلته».

سأله صلاح قائلاً: «أرأيت بيت الشجرة ؟».

قاطعتهما ليلي وهي تقترب: «أتتحدثون عن راي.. اطمئن يا أبي؛ راي لن يستيقظ الآن». مدت ليلي بثمرة خيار إلى والدها، فأخذها نوح، وقضم قطعة منها وبدأ يلوكها: «أوه.. لم أتذوق شيئاً منذ فطور البارحة».

قالت ليلي في لوم: «كان عليك أن تتناول أي شيء في الطائرة أو ».

قاطعها نوح: « لقد تعبت من إخبارك أنني لا أتناول شيئاً خارج المنزل».

ابتعدت ليلي متوجهة إلى المطبخ: «وأنا تعبت من نصيحتك!».

حاول نوح تغيير الموضوع وهو يلتفت إلى صلاح قائلاً: «لقد لفت انتباهي شيء يشبه الغرفة الخشبية وأنا أقود السيارة قبل أن أتوقف أمام البيت.. إنه صغير للغاية وينبثق منه شجرة.. لا تخبرني أنه ».

أومأ صلاح مبتهجاً: «أجل أسفل الشجرة.. لقد ظلت مني تسخر منه حتى أطلقت عليه جحر الفأر».

«لقد تشوقت لرؤيته!».

«سيعجبك كثيراً.. لقد استغرق منا جهداً كبيراً.. قرابة الأسبوع ونصف الأسبوع.. في البداية كانت فكرة أمجد بأن نحفر حتى عمق مترين كي نصنع حفرة مستطيلة الشكل.. لم يكن الأمر سهلاً وبعد مرور اليوم الأول قررنا الاستعانة بحفار آلي، وما هي إلا ساعة من الزمن، وصارت الحفرة جاهزة.. قامت ليلي بمساعدة راي في وضع درجات خشبية على المنحدر الصاعد حتى الشجرة.. ثم قمت أنا وراي بعمل تصميم بسيط مكعب بلاستيكي بحجم الحفرة.. وفي نهاية الأسبوع الأول قمت بإرسال التصميم إلى المصنع لتصنيع الألواح البلاستيكية التي أخبرتك عنها».

«أجل.. أعلم.. ولكن لماذا لم تخبرني بكل هذا؟ على الأقل كنت أريد المساعدة».

« لقد شدد راي عليّ ألا أخبرك بأي شيء حتى يكون مفاجأة».

«يا له من !».

«جـــدي!». تردد صوت راي وهو يقف عند أول الدرج. كان يفرك عينيه وبرمق جده بنظرات عتاب، سريعًا ما تحولت إلى ابتسامة وهو يهبط متهلل الأسارير. «لقد كنت واثقًا من أنك ستأتي في الصباح الباكر». ارتمى في أحضانه: «هيا يا جدي.. هيا لترى بيت الشجرة».

«راي!!»، تردد صوت ليلي وهي تقترب نحوهم، وتضع طبقًا من الكعك. «دع جدك يتناول فطوره أولًا.. ثانيًا هيا اذهب تغسل وجهك».

« هل أنهيت الفطور يا أمي؟!».

«خمس دقائق و ».

«حسنًا خمس دقائق. سأصطحب جدي لرؤية المنزل ثم نعود». نهض نوح مؤيدًا حفيده وهو يلتقط قطعة من الكعك، وراح يتبعه وهو يحدث ابنته: «إنني لا أطيق صبرًا حقًا لرؤيته».

تتبع نوح راي الذي سبقه مهرولًا صوب هذه الغرفة الخشبية التي تحيط بجذع الشجرة، ثم دلف راي عبر باب صغير، تبعه الجد متشوقًا وهو ينحني ويدخل وراءه. كان مدخل البيت، يبدو كميدان صغير، تتوسطه هذه الشجرة، وخلفها مباشرة درجات هابطة تنتهي بالحجرة أسفل الأرض.

شهق الجد مذهولًا: « لم أتصور أنه سيكون واسعًا بهذه الدرجة».

«أجل إنه أوسع من غرفتي، ولكن كما نرى لا يزال في حاجة إلى أثاث أكثر..

إنني أفكر في جعله معملاً للتجارب.. كما ترى الحاسوب الخاص بي وأريكة قديمة ومنضدة وحيدة».

«والطائرة أيضًا»، أضاف نوح. «التي ربحتها من السباق».

«أجل.. ولكنني أنوي تصنيع ثلاث طائرات صغيرة مثلها لمشروع سري لن أفصح عنه الآن». وغمز جده.

«راي»، تردد صوت ليلي في الفراغ، فتعجب الجد وهو يلتفت حوله. «هيا يا راي.. لقد انتهت الدقائق الخمس».

«ما هذا؟ أهذا صوت والدتك؟».

«أجل.. إنه هاتف سلكي قديم متصل بمكبر صوت.. ولكنني مازلت أقوم بتعديله لجعله أكثر خصوصية».

تردد صوت أمه مجددًا: «لقد سمعتك يا راي».

قهقه الجد: «يجدر بك الإسراع.. إنها ابنتي وأعرفها عندما تغضب».

«جدي!»، تردد صوت منى عبر مكبر الصوت. «إن لم تحضر في غضون دقيقتين فسينتهي الخطور كله».

أجابها نوح: «حسنًا يا حلوتي.. قادم في الحال».

وبينما كان نوح يصعد الدرجات، إذ به يلمح اللوح الخشبي (مرحبًا بك في عالم الجوزاء)، كانت معلقة على جذع الشجرة.

ابتهج الجد وهو يشهق متعجبًا: «أووه.. لم أرها إلا الآن.. تبدو كأنها في المكان المناسب حقًا». ثم غمز لراي وربت على كتفه. «هيا.. هيا». هرول كطفل صغير يتضور من الجوع: «الكعكة التي أعطتها أمك لي جعلتني أتضور جوعًا».

☆☆☆

كان الوقت عصراً عندما انشغل راي في تجريب النموذج المصغر للطائرة، وإذ بسارة تهرول إليه لتشاركه اللعب بالطائرة. كانت تبدو كالطفلة وهي تتلقى التعليمات من راي وتجعل الطائرة الصغيرة تذهب يميناً ويساراً.

همست سارة في سعادة: «ماذا فعلت بذراع التحكم؟ إنها تبدو أسهل في التحكم».

لم يكن راي منتبهًا معها لحظة رؤيته لبوني تمشي برفقة عنى، وفجأة إذ بسارة تشاكسهما بجعل الطائرة تحلق فوقهما.

صاح راي بخفوت: «لا تفعلي ذلك يا عنى.. ستظن بوني أنني من أقوم بذلك».

أخذت سارة تتمادى في مشاكستهما، فتدخل راي بطائرته الأكبر التي بمجرد أن حلقت إلى أعلى واقتربت من الطائرة الصغرى، إذ بالطائرة الصغرى تحلق وتتبعها وهي تقلد كل حركة تقوم بها.

صاحت سارة منافقة: «ما هذا؟ لا يا راي.. كيف تفعل ذلك؟».

«إنها خاصية التتبع.. تقوم بتجاهل الأوامر الصادرة من ذراع ». توقف راي عن مواصلة شرحه: «أسمعت ضحكاتهما؟ حتمًا عنى الآن تخبرها أنني من قمت بمعاكستها».

لكزته سارة قائلة: «هذا شيء جيد، صدقني.. على الأقل لتعلم أنك مهتم بالتعرف عليها».

«ولكن عنى تمنعها من الاقتراب من بوني».

«ولماذا لا تقول إن عنى تريدك أن تقترب منها أولاً؟».

«لن أستطيع!».

«لا تقل هذا أبدًا!».

اقتربت سارة منه، وألقت ذراع التحكم جانبًا، قائلة: «اسمعني جيدًا يا راي.. لطالما كانت صديقاتي يعتبرنني خجولة وكثيرًا ما نصحنني بأن هذا سيسبب لي الكثير من المشاكل.. لم أكن أهتم لكلامهن لأنني وقتها كنت فتاة مدللة، كل شيء يمكنني الحصول عليه، ولكن بمجرد تخرجي من الجامعة أدركت أنهن محقات.. أنا وأنت ومني ولدنا مرفهين مدللين، اعتدنا على أن كل ما نريده يأتي لنا بكل سهولة.. ولكن ثمة أشياء لا بد أن تسعى لها وتذهب لها بنفسك لتفوز بها.. وكما ترى الآن إنني أبحث عن وظيفة في بنك أو شركة وها أنا أذاكر من جديد وأطور من نفسي ليلا ونهارًا على الرغم من أن بمقدوري العمل مع جدي ووالدي في المصنع ولكنني حينها سأظل كما أنا، أشعر بداخلي أنني لا أستحق هذه الوظيفة.. وأنت بالمثل يا راي لو كنت تريد الفوز ببوني، فسارع بالتقرب منها أولا حتى تشعر بك، وكم أنت مهتم بها».

***

لماذا لا نذهب للعب معهما؟!

ألحت بوني في طلبها، بعدما ظلت الطائرة تحلق حولهما، تبتعد بعدها وتحلق عاليًا: «أود تجربة اللعب بالطائرة مثل سارة».

همهمت مني ممتعضة: «دعيك من هذا الملل.. ثمة شيء أريد أن ».

«مني!». قاطعتها بوني في تردد. «لماذا تتعمدين إبعادي عن أخيك؟». نظرت إليها مني مصدومة وظلت صامتة، فلم تتوقع مثل هذه الجرأة التي تحدثت بها بوني على الرغم من أن صوتها كان مضطربًا____.

«كلما ذكرتُ اسمه غيرت الموضوع!». بدت نبرة بوني أكثر جرأة وهي تخرج ما يعتمل بداخلها. « حتى أثناء بناء منزل الشجرة تعمدت ألا تشاركه.. والعجيب أنه منذ شهر ونصف كنت تريدينني أن أعطيه اللاقنة بنفسي.. ماذا هناك يا ميني؟ لقد ».

لم تكن ميني تصدق النبرة التي تتحدث بها بوني. لقد كانت تحدثها وكأنها تطالبها بحق شرعي لها، ومنى تحدجها في صمت حتى قاطعتها بعيون جاحظة تشع بالضيق...

اقتربت منها ميني وعيونها لا تحيد عنها: «لأنني أعلم!».

بدت بوني مضطربة لنهاية في صوتها المتلعثم: «تعلمين ماذا؟!».

«أعلم أنك معجبة بأخي»، واجهتها ميني بالجرأة ذاتها.

تلعثمت بوني وفكرت في التحدث ولكنها لم تستطع. شعرت بالحرج من نظرات ميني الماكرة. فكرت في إنكار ذلك، ولكنها تراجعت عن ذلك خوفًا من أن تضيع فرصتها، فانتظرت ميني حتى تخرج كل ما يعتمل في صدرها.

«أتريدين نصيحتي.. لا تفكري براي.. ودعيه هو من يقترب أولًا».

قالت بوني متعجبة: «ولكنني معجبة به وليس ».

«أنت مخطئة»، اعترضتها ميني، وهي تنظر حيث يقف أخوها بعيدًا. «لدي راي أمنية واحدة»، التفتت لها ثانية. «اعتاد قولها يوم الاحتفال بيوم مولده.. من كثرة تكرارها صرنا مصدقين أنها ستتحقق يومًا ما.. أتدرين ما هي؟».

أن تكوني زوجته يا بوني!

تصلبت بوني في مكانها، وتجمدت تعابير وجهها، وفقدت القدرة على الكلام.

تأملتها متي للحظات مدركة أنها أخبرتها بما تنتظر سماعه. «لقد أخبرتك بكل شيء.. والآن صار بيدك الاختيار إما ».

«سأذهب له!»، قاطعتها بوني لترتسم السعادة على وجهها، ولكنها في تلك اللحظة، شعرت بالألم ذاته، يُصلّب أقدامها.

انتبهت لمتي التي لم يعجبها ما قالته، حيث تركتها مبتعدة متوجهة إلى المنزل. تملك بوني شعور بالرغبة في التقدم وعدم الإنصات لكلمات متي، ولكنها فجأة تصلبت في مكانها حيث لمحت شيئًا جعل الألم يزداد أكثر فأكثر.

رفع راي رأسه لحظة أن توقفت بوني بعدما كانت تتوجه نحوه. كانت يداه ترتجفان ولا يعلم ماذا سيقول لها، ولكنه فجأة رآها تستدير وتغادر بخطوات متعجلة. نهض راي يتابعها بأنظاره وهي تتجه صوب منزلها، بدا كما لو أنها تبحث عن شيء ما حول بيتها، ثم سرعان ما هرولت داخل منزلها، فتحرك ودخل إلى منزل الشجرة وهو يفكر فيما قالته سارة له، وهل كانت محقة فيما قالته أم لا.

«أجل إنها محقة بكل كلمة قالتها!»، فكر راي بداخله وهو يلوم ضعفه الذي لا يستطيع التخلص منه. في ذاك الوقت لم يشعر بالرغبة في إنهاء ما يقوم به، واستغرق يفكر في الطريقة التي يتقرب بها من بوني، وماذا سيقول لها. تمدّد في كرسيه ونسي كل شيء، واستغرق في أحلام اليقظة متخيلًا ماذا سيحدث بعدها، وما الذي ستقوله بوني فور مصارحته لها، وما الذي سيحدث عندما يصبحان أصدقاء مقربين. من المؤكد أنهما سيذهبان معًا إلى المدرسة، وسيشاركها المقعد المجاور في الحافلة، وسترافقه دومًا في اللعب ولن تذهب مع أختيه إلى النادي. ستكون مهتمة بكل صغيرة وكبيرة يقوم بها.

ظل راي غارقًا في أحلامه الوردية حتى صعدت به إلى السماء، متخيلًا أنه

يحلق فوق زلاجة كبيرة، مثبتة بها طائرتان (كواد كوبتر)، وبوني واقفة خلفه تحتضنه وهي تصرخ باسمه كي ينزلها. كان راي مستمتعًا بتخيلاته وثمة طرقات على الباب، يتجاهلها عقله. ولكن ازدياد الطرق على الباب كانت يبعثر تخيلاته ويبددها.

ليس سواها!

صاح راي حانقًا، وهو يصعد الدرج: «ليس سواك يا مني من يبدد كل لحظة جميلة حتى في أحلام يقظتي».

ازدادت الطرقات قوة، فجعلته يخرج عن شعوره ويصرخ زاعقًا، ولكنه فجأة تسمر في مكانه لحظة إبصاره لهذا الضوء، المنبعث من تلك اللافتة. كانت الكلمات المرسومة على اللوح الخشبي (مرحبًا بك في عالم الجوزاء)، تزداد توهجًا ولمعانًا كلما ازداد الطرق فوق الباب.

(25)
زائر غريب

صعد راي بقية الدرجات وأرجله لا تطاوعه. مئات الأفكار شغلت رأسه، متسائلاً عن ماهية هذا الطارق. بالطبع ليست منى، وليس أحدًا ممّن يعرفهم. «هل هو جوزاي أم إنه ليس بإتسان؟». كانت أعينه لا تحيد عن الفتحة التي تومض كلما تردّدت الطرقات على الباب.

تشجع راي في النهاية، وقام بفتح الباب. ظل واقفًا يتطلع إلى هذا الشخص الذي يقف أمامه، ووجهه يتوارى خلف ظلال غطاء رأسه المتدلي حتى جبهته. كان متوسط القامة، ويرتدي ملابسَ أقرب إلى ملابس الكهنة.

لم يتوقع مثل ذلك أبدًا. تمنى راي سؤاله: «أأنت ساحر شرير؟».

«لستُ شريرًا!»، تردد صوت هذا الشخص. كان صوتًا طبيعيًا، ولكن نبرته قوية منضخمة.

«هل قرأت أفكاري؟»، تلجلج راي مذهولاً. «هل أنت زوجاء خائق؟ اضحك راي بصوت مهتز؛ آسف.. أقصد جوزاء خارق».

«وهل أنت جوزاء أخرق؟»، سأله الفتى بحسِّ فكاهي، وهو يرجع غطاء رأسه للوراء. فتفاجأ راي بأنه ليس سوى شاب في مثل عمره أو بكبره بقليل، قمحي البشرة، أجعد الشعر، وأطول منه بضع بوصات.

شعر راي بأنه عاجز عن الكلام، حيث كان في أشد حالاته بلاهة، وخاصة وفمه مفتوح من شدة دهشته، وربما سعادته برؤيته، ولكنْ ثمة شعورًا بالطمأنينة دفعه إلى الارتياح له بشكل غريب.

رااااااي!

جاء صوت مني وهي تناديه من نافذة غرفتها في الطابق العلوي، وبشكل تلقائي، وسريع، دفع راي هذا الفتى داخل جحر الشجرة. «أمي تقول لك ». توقفت مني عن الحديث متعجبة: «ما هذا.. ما الذي دفعته لتوك عبر الباب!».

«إنه !». خمن راي أنها لم تره إلا في اللحظة الأخيرة: «لا شيء.. إنه.. فقط.. صنـــدوق قمــامة!».

«وماذا تفعل بصندوق القمامة؟!».

«أجـــري.. علـيه.. تجـــربة...»، أجابها وهو يمد في صوته مبديًا في نبرته مدى بلاهته. «تجربة من نوع خاص!».

قهقهت مني في سخرية: «من نوع خاص كيف.. هل تخطط لأن تكون رجل القمامة الطائر مثلًا؟!».

امتعض راي في ضيق: «مني.. اغربي عن وجهي».

صاحت مني: «حسنًا يا رجل القمامة.. أمي تخبرك بأن تصعد لغرفتك الآن.. لقد تأخر الو ».

تركها راي تحدث نفسها، وأغلق باب الجحر وراءه ليجد هذا الفتى واقفًا أمام اللافتة، ينتظره.

سأله راي: «كيف عثرت علي؟».

«بهذه اللافتة»، أجابه الساحر، وهو ينقر على اللوحة تقريبًا لتتوهج مجددًا. «لقد رأيتها في حلمي كما هي الآن».

تطلع مبدو حوله ثم واصل حديثه: «وبالمثل، هذا المكان بكافة تفاصيله..

فتاة طلبت مني المساعدة.. كانت تقف أمام هرم صغير، وتبكي، وعندما سألتها عن السبب أخبرتني أن حبيبها بداخل هذا الهرم، وأن ثمة شيئًا بداخله يمنعها.. فكلما حاولت الدخول وجدت نفسها في الناحية الأخرى من الهرم.. وعندما دخلت الهرم، كان كل شيء بالداخل مختلفًا عن هذا المكان، ولكن.. ولكن هذه الشجرة كانت في منتصفه وعليها تلك اللافتة.. لقد كانت تمنعها وكلما كنت أقوم بخلعها، أنيقظ من منامي».

فكر راي في بوني: «هل أخبرتك باسمها؟ كيف تبدو؟ هل يمكنك وصفها؟».

«إنها مبهجة المعالم لأنها دومًا ما أراها في الظلمة.. ولكن ما يميزها بشكل لافت للغاية، هو شعرها الأحمر».

تجهم وجه راي قائلاً: «شعرها أحمر! أهذا السبب الذي دفعك للقدوم إليّ؟». بدا أن راي لم يعد مهتمًا بالموضوع، حيث هبط الدرج وهو يسأل هذا الفتى الساحر: «لقد أخبرني جدي أن الحجر المسحور بتوهج ما إن يلمسه جوزاء ساحر».

أجابه الشاب الساحر: «أجل صحيح.. وجيد أنك تعلم ذلك ولم تخف.. لقد توقعت أنك ستخاف بمجرد معرفتك ذلك».

«هاها!!.. بالطبع لا!»، قهقه راي ساخرًا، على الرغم من أنه خاف في بادئ الأمر، «صدقني لم يعد هناك أحد يخاف السحرة، والفضل يعود إلى هاري بوتر!».

«هاري بوتر!»، ردد الساحر الاسم في تعجب، «ربما لم تخف.. ولكن الغريب أنك تتصرف وكأنك تعرفني!».

أجابه راي: «وجهك يبدو مألوفًا؛ وكأنني أعرفك منذ زمن طويل.. ولكن على كل حال.. إنني أمجد».

أجابه الساحر يعرفه باسمه: «وأنا مبدو!».

«مبدو!»، التفت راي متعجباً. «أهو اسمك الجوزائي كحال اسمي (رايون)؟».

هز مبدو رأسه نافياً: «اسمي الجوزائي (مازبرو).. أما (مبدو) فهو اسمي كحال اسمك (أمجد)».

ابتسم راي قائلاً: «أهاا!.. اعذرني، فاسمك يبدو غريباً.. جدي لم يخبرني بالكثير عن (بخار)، وعن سحرة الجوزاء.. فعلى ما يبدو أنهم يختلفون كلية عما تصورته.. يبدو أنهم أيضاً لا يملكون عصا سحرية مثل هاري بوتر».

تعجب مبدو تلك المرة، وأثار الاسم حيرته: «هاري بوتر.. أهو جوزاء مثلنا؟ أم ماذا؟!».

أجابه راي: «لا إنه شخصية خيالية.. لو قرأت قصته فستعشقها.. إنها قصة رائعة». نهض راي وتوجه صوب مكتبة صغيرة عن يمينه، «هذه نسخة أخي مني لأن نسختي تمزقت». مد له يده بالرواية، وأعطاها له: «رجاء أرجعها قطعة واحدة وإلا مزقتني».

تطلع لها مبدو باهتمام، ثم ابتسم: «إنني أحب القراءة كثيراً.. أعدك بأنني سأقرؤها».

ستجد فيها الكثير من الأشياء المشوقة، النعاويذ السحرية ولعبة الكويدتش والمقشات الطائرة!

«مقشات طائرة!». تعجب مبدو متسائلاً: «أتقصد المقشات المسحورة؟». تأمله راي بنظرة مستفسرة، فأجابه مبدو: «إن كنت تقصد المقشات التي يمتطيها السحرة ويحلقون بها.. فهذه نسمي بالمقشات المسحورة مثلها كالبساط المسحور أو أي جماد آخر يتم شحذه بواسطة أحجار (طليق) حتى تستطيع الطيران بها».

«حقًا!». بدا راي مذهولًا. «لقد اعتقدت أن سحرة إبخار مجرد سحرة عاديين بـ ».

انقطع راي عن الحديث لحظة تردد زمجرة مكبوتة، أجفلته، وجعلته ينهض مذعورًا. «ما هذا!». تجلت نبرة الذعر في صوته، فقهقه مبدو متعجبًا: «ألم تقل لي منذ قليل أنك لا تخاف».

«ما هذا؟!» ردّد سؤاله ثانية بصوت مضطرب، وعيناه تجولان حوله، متناهيًا إلى سمعه صوت تنفس عميق، كما لو أنه لمخلوق عملاق، لا يمكنه رؤيته: «أهذا الصوت تعرف مصدره؟!».

أجابه مبدو: «أجل إنه زبندارن ».

«زبندارن!» ردّد راي ذاك الاسم، لحظة تردد الصوت مجددًا: «لا تخبرني بأنه ».

«نعم!»، أكمل له مبدو وهو ينهض: «إنه يزمجر لأن المكان لا يناسبه ».

قاطعه وراي يشير بطريقة حماسية إلى أعلى: «وهل يقف بالخارج؟!».

لم يعطه راي فرصة للإجابة على سؤاله، وخرج مهرولًا يبحث حوله، ويدور حول بيت الشجرة. كانت أذنه لا تزال تلتقط صوت تنهُّداته العميقة، ولكنه لا يستطيع رؤيته.

خرج مبدو وهو يخبره: «لن تستطع رؤيته!».

توسله راي كالطفل: «أريد رؤيته رجاءً!».

هز مبدو رأسه قائلًا: «من المؤسف أنني لا يمكنني ذلك.. هذا يفوق محيط طاقتي».

- «محيط الطاقة!».

- «أجل.. فلكل ساحر محيط طاقة، وكلما ازداد محيط الطاقة، استطاع الساحر إظهار ما لا يمكن رؤيته في هذا البعد».

- «ولكن في إيخار يمكنكم رؤيته؟!».

- «أجل بالطبع.. وفي كل الأراضي التابعة».

بدا راي مذهولًا ولا يكاد يصدق ما يسمعه. كان يتلفت حوله ويتحرق شوقًا لرؤية هذا النبع. في تلك الأثناء، مال مبدو يرسم بحجر أسود، دائرةً تلتف حولها رموز غريبة، راحت تومض بأضواء زرقاء وحمراء وصفراء، ثم اختفت فجأة بمجرد اكتمال الدائرة.

انسحبت عينا راي، وهو يهرول إليه: «ما هذا؟!».

- «لقد قمت برسم وسيط بعدي.. بوابة يمكنها اختصار المسافة من إيخار إلى هنا».

- «إنها تشبه تذاكر بوداي السحرية، التي أخبرني جدي عنها!».

- « أجل تذاكر بوداي، هي الوسيط البعدي، ولكنها بصورة مستحدثة ومبسطة لتمكين التنقل لغير السحرة».

«وهذا الحجر!». رفع مبدو الحجر أمامه، «هو الذي نُرسم به الكلمات المضيئة. أجل إنه حجر طلبق؛ ذلك الذي أخبرتك عنه بالداخل، وتلك الرموز السحرية ترمز لهذا المكان، تومض فقط لحظة تفعيلها، ثم تختفي مجددًا في البعد الآخر، ورغم ذلك هناك بعض أنواع من التربة تتفاعل مع الأثر السحري الذي يتركه حجر طلبق. ربما قد تجد دائرةً من الزهور أو الخطر أو ربما شجرةً إن كانت التربة ذات خصوبة عالية».

- «لم يخبرني جدي عنه شيئًا!»

- «إنها أحجار هطلت من السماء منذ أمد بعيد!»

- «أهاا!.. لقد أخبرني جدي أنها تسمى (أوجورجا)».

ابتسم مبدو: «أوجورجا اسم الحجر النيزكي الأعظم.. أما أحجار طليق فهي وابل النيازك الصغيرة التي هطلت معه، وأعدادها مهولة؛ ففي كافة أنحاء إبخار ستجد أحجار طليق مترامية في كل مكان.. تأخذ لون الذهب، أما هنا فتظهر كالكربستال الأسود».

مد راي يده، وانتزع الحجر من يد مبدو، وراح يتمعن فيه، ويقلبه بين يديه، وهو في غاية سعادته، «إن كان هذا الحجر يشحذ الطاقة المضادة للجاذبية.. فسيكون النموذج التخيلي عينه، لوعاء الجرافتون».

تعجب مبدو من الاسم: «جرافتون؟!».

«أجل»، أجابه راي. «إنه جسيم أولي افتراضي حامل للجاذبية، يعتقد العلماء أنه يجب أنْ يكون عديم الكتلة ». وفجأة توقف راي عن الحديث، بمجرد شعوره بوزنه الذي أخذ يثقل ويثقل حتى صار كالريشة، بل وصل إلى أنه شعر كما لو أنه يمسك الهواء! توقع مبدو ذلك، وهو يراقب اندهاش راي. «أهذا شيء طبيعي؟!».

أومأ له مبدو مبتسمًا، ولكن راي واصل كلماته الصادمة: «الحجر لونه يتبدل، لقد صار شفافًا وتتخلجه حمرة داكنة والآن صفراء وزرقاء.. إنه لا يثبت على ضوء معين».

تجلت نبرة الدهشة في صوت مبدو: «أيفقدورك رؤية هذه الأضواء؟!».

سأله راي مندهشًا هو الآخر: «ألا يمكنك؟!».

هز مبدو رأسه نافيًا، لتتبدل نظرة الدهشة إلى ابتهاج: «لا أحد يمكنه سوى .....».

راااااي!

فزع راي لحظة تردد صوت والدته، وهي تفتح الباب. «ماذا تفعل عندك؟!». سقط الحجر من يده، واستدار ينظر إليها لثوانٍ، ثم نظر لمبدو فلم يجده. «لاااا.. شيء». تلفت حوله في ذهول. «لا شيء يا أمي!».

صاحت ليلى: «هيا اصعد إلى غرفتك.. الآن».

دخلت ليلى، وراي لا يزال يجول حوله، يبحث عن مبدو. كان يناديه بصوت خافت، ولا يأتيه رد. ظن لوهلة أنه كان يتخيل كل هذا، ولكن الحجر كان لا يزال مستقرًا عند قدميه، مال بسرعة، والتقطه لحظة أن تناهى إليه صياح أمه بغضب أكبر، ليهرول إلى بيته وهو يدس الحجر في جيبه. صعد الدرج، وأغلق باب غرفته خلفه. وهو يخرج ذاك الحجر العجيب ويتمعن فيه. ولكنه اضطرب مغزوعًا لحظة سماعه لصوت مبدو: «ألقاك قريبًا.. رايون». للوهلة الأولى حسبه في الغرفة معه، ولكنه أدرك أن الصوت يتردد في رأسه.

همس راي وهو يتوجه إلى النافذة وينظر للسماء: «هل سأراك ثانية يا صديقي؟».

أجابه صوت مبدو: «إنني لستُ بصديقك». دام الصمت ثوانٍ، ثم تردد صوت مبدو مرةً أخرى...

«إنني أخوك يا رايون.. والدليل تمسكه بيدك».

(26)

حدسٌ صائب

كانت لزيارة مبدو أكبر الأثر على راي. ربما يعود السبب لذاك الحجر (طليق) الذي أطلق عليه راي اختصاراً (Tk) بعدما صار منشغلاً طوال وقته متجاهلاً أي شيء آخر حتى بوني. لم يكن راي في حالة عادية تجعله يعي ما يهتم به. لقد كانت هذه هي الصفة التي يُعرف بها، ولكنها الآن - بعد رؤيته لهذا الحجر - جعلت مئات الأفكار التي تدعم حلم حياته، تقفز في رأسه...

كرة الجاذبية أو السيارة الطائرة!

الغريب في الأمر أنه لم يكن يفكر في طريقة بناء الكرة، وخاصة بعدما صار لديه المادة التي تحقق حلمه وتجعله حقيقة. كان راي يفكر في شيء آخر، كما لو أنه ينوي شيئاً خفياً يظهر أمام الجميع بمظهر مختلف، وهذا المظهر يكمن في طاقات (الكواد كوبتر) التي يقوم بتصنيعها.

كان راي يحاول التعمق في لغات البرمجة، وتضخيم وتعقيد المعادلات والخوارزميات المسؤولة عن كل حركة تقوم بها الطائرة. كان القلم في يده طوال الوقت، شارداً يفكر، وفي أي مكان يخط معادلات وأفكار، على حائط غرفته وعلى أوراق مبعثرة معلقة في كافة أنحاء جحره، وعلى يده. أحياناً كان يبدو كالذي فقد عقله. كان ينام ويستيقظ وهو يتمتم لنفسه بالمعادلات، ينتقل من الورقة إلى الأخرى، يشطب ويمزق، ثم يقوم بتعديل الأوامر على الحاسوب، ثم يقوم بتطبيقها وتجريبها.

دام هذا الأمر لقرابة شهر ولا يزال على هذا الحال. لقد قربت الإجازة من

الانتهاء، وهو لا يزال منشغلاً في مشروعه السري. ربما كان الجميع يحسبون أنه يحاول تصنيع عدة طائرات منصلة ببعضها، فكل ما يرونه هو ازدياد عدد الطائرات بأشكال مختلفة، منها الرباعية الأذرع والثمانية وحتى الطائرة التي فاز بها، قام بتطويرها وجعلها ذات اثنتي عشرة ذراعاً. كل هذه الأذرع كانت تدفعه إلى كتابة العديد من الأوامر الزائدة للوصول إلى درجة عالية من الانسيابية والاتزان والتأرجح وهي تحلق في الهواء، ولتنفيذ مزيد من الحركات الجماعية المعقدة والمستحيلة بدمج الأوامر معاً، وربطها بمصدر بث واحد، قام بوضعه فوق سطح منزله ليحصل على مساحة جيدة من التحكم. كان راي يعلم بداخله أن كل ما يقوم به يقع تحت بند (حظ المبتدئين) فالغاية من كل هذا هو الحصول على الأوامر التي ستمهد لمشروعه السري.

لقد كان تعمقه في كل هذا ذا أثر كبير على عقله. لقد كان أشبه بآلة تتسارع بداخلها الأفكار. عقله كان يهذي كثيراً وهو نائم، يحلم بالمعادلات ويستيقظ ويكتبها. كان يسقط أحياناً من كثرة الإرهاق ولا يدري متى نام ومتى استيقظ. بل لم يكن يدري تاريخ اليوم. هل هو نهار أم ليل؟ لم يكن يغادر حجره إلا عندما تناديه والدته أكثر من مرة عبر اللاسلكي ومن باب البيت إلى أن يطفح الكيل ويجدها أمامه تسحبه معها وهي توبخه، وبداخلها بركان غضب تخشى أن ينفجر فتتسبب في إبعاده عنها مرة أخرى.

كانت ليلى مستغرقة في تفكيرها تتطلع إلى راي وهو يقف بصحبة والده، وبجوارها نوح الذي أخذ يتأملها وهي شاردة.

«لقد بدأ راي يتألم!»، تمتم نوح وهو يرشف من فنجان قهوته، ليوجه نظره بعدها إلى حيث يقف راي ووالده. كان لديه شعور قوي بأن ابنته لا تزال تضمر في نفسها الكثير من الحزن وعدم الرضا عما آل إليه حال صغيرها.

أجابته ليلى بخفوت: «يكفيني أنه لا يغيب عن ناظري!».

«ومع ذلك لا تبدين سعيدة!».

«من ندبه طفل كأمجد، فلن يكون سعيدًا طيلة حياته». قالتها بنبرة مازحة. «أحيانًا تراودني فكرة خمقاء». حاولت بعدها الضحك لتكبت حزنها. «أنه تعمد بناء جحره هذا.. كي يحقق مبتغاه بطريقة أخرى».

حاول نوح التخفيف عنها: «هذا هو راي يا ليلى.. منذ صغره وهو يفضل العزلة».

«الأمر لا علاقة له بالعزلة»، أجابته ليلى وهي ترقب سارة وهي تتوجه صوب راي ووالده، ثم نظرت لأبيها. «لقد اعتدت على هذه الصفة؛ فسارة هادئة وقليلة الكلام وتفضل العزلة.. ولكن راي مختلف. مازلت أراه كطفلي الذي أنجبته لتوي وبحاجة للتعرف عليه».

شعر نوح بابنته كما لو أنها بحاجة لإخراج ما بداخلها، حيث علت نبرتها بشكل عفوي: «كل يوم أكتشف فيه شيئًا جديدًا.. أحيانًا أجده حاضرًا بيننا، يتكلم ويمزح ويتعارك مع أخته ويملأ يومنا بصوته (المزعج) كما تقول مني». صمتت قليلًا لينخفض صوتها وهي تواصل حديثها: «وغالبًا ما تجده - وخاصة هذه الأيام - يعشق العزلة، هادئًا يُحدث نفسه، لدرجة أنني أخاف منه أحيانًا، وأظنه شخصًا آخر».

رسمت ليلى ابتسامة حزينة، وهي ترشف من فنجان الشاي. «يقولون شر البلية ما يضحك! ولكنني صرت متبلدة المشاعر.. فرغم كل الحزن الذي يتملكني، أشعر بالفخر لأنه ابني.. إنه يصنع أشياء تفوق الوصف.. مثل محطة الإرسال فوق سطح المنزل.. وطائراته الغريبة التي تحلق طوال النهار حول البيت كما لو أنها حشرات طائرة عملاقة.. إنه ينسى نفسه وكأنه ليس بإنسان آدمي؛ لا يتذكر مني أكل، ولا في أي وقت نحن.. يصرف كل نقوده

على اختراعاته ويستلف من إخوته، والعجيب في كل هذا أنني توقعت تمرده بعدما تعود على تدليلك له وإعطائه كل ما يريد، ولكنه لم يفعل.. بل هو متواضع وقنوع بشكل لم أتخيله البتة.. إنه مزيج عجيب صعب الفهم، لا يمكنني توقع أفعاله؛ ربما لأنه جوزائي مثلك».

قال نوح: «راي يشبه والده.. إنه النسخة المصغرة من صلاح؛ دؤوب في عمله ويحب ما يقوم به ويعطي له كل وقته.. الأمر لا علاقة بالجوزاء، الجوزاء ما هو إلا اسم اصطنعه المصريون الأوائل ليميزوا أنفسهم عن بقية البشر.. ابنك يقلد أجداده دون دراية منه.. وأعتقد أن المصريين جميعهم يحملون الصفات ذاتها ولكنهم يحتاجون إلى اليد التي تدعمهم، وتتحملهم.. مثلما عليك تحمل ابنك لأنه استجاب لطلبك وعاد ليعيش بين أسرته».

«أتعتقد أنه عاد لهذا السبب؟»، قالتها ليلى وهي تشير بعينيها جهة يوني التي وقفت بعيدًا، منشغلة باللعب مع منى: «لقد أخبرتني سارة بكل ما حدث.. لقد كانت يوني سبب ثورته ورغبته في الابتعاد، وبالمثل كانت سبب عودته إلى هنا.. إنه يميل لها، يود التقرب منها ولكنه لا يستطيع، منى تقف كالعائق بينهما».

«إنها تشبهك يا ليلى.. متمردة وغيورة مثلك!»

«ليس بهذه الدرجة! منى صريحة بشكل مستفز، لا تستطيع كتمان ما يعتمل بداخلها، منذ يومين ونحن نتناول وجبة العشاء، وجدتها تصيح في وجهي وتخبرني أنني أفضل راي عنهما وأهتم به طوال الوقت».

⁂

«ها هي الفرصة.. هيا نلحق بسارة»، قالتها يوني بنبرة ملحّة...

فأجابتها منى: «انتظري.. راي لن ينظر أو يهمس لك بكلمة واحدة في وجود

أبي».

كانت منى منعجبة من الطريقة التي تلح بها بوني. إنها تشبه الطريقة التي صارت والدتها تتحدث بها عن راي. كانت لا تزال نادمة على الطريقة التي صاحت بها في وجه والدتها منذ يومين. بداخلها كانت تمبز غيظًا من هذا الفتى الذي لا يعي كل هذا الاهتمام.

كانت منى تشعر بما تشعر به والدتها: أنه لا يزال بعيدًا عنهم وكأنه لم يتنقل للعيش بينهم. إنه مريض بالعزلة، وإن لم يتخلص منها، فستكون شريكة حياته أتعس فتاة على وجه الأرض. كانت منى تفكر في ذلك، وهي تحملق في عيني بوني التي لا تحيد بأنظارها عنه.

«أشعر بأنه يتجاهلني!»، قالتها بوني في حزن. «يختفي متعمدًا في جحره لحظة قدومنا من النادي.. أشعر بذلك.. أشعر بأنني السبب».

قالت منى: «لماذا لم تذهبي له المرة السابقة؟ لقد كان بمفرده.. كانت لديك فرصة». لم تجبها بوني وبدت كما لو أنها ذكرتها بشيء لا تريد الافصاح عنه. دام الصمت لثوان، ومنى ترقب والدها، حتى هتفت قائلة: «حسنًا.. تعالي!». أمسكت بيدها وجذبتها: «ها هو أبي بغادر.. جدي وسارة بقفان معه. فلنشاركهما الحديث لربما يتشجع و ».

فجأة انسحبت سارة مبتعدة جهة والديها، ورأت نوح يتوجه نحوهما. كان راي في ذاك الوقت بنظرها، وهي تنظره، ولكنه بكل برود انسل داخل بيت الشجرة.

قالت منى: «يا لك من سيئة الحظ.. ولكن لا تقلقي إنه لن يطير ويختفي...».

قاطعتها بوني: «لا أقلق.. لقد أوشكت الإجازة على الانتهاء ولم يتسن لي

الحديث معه أو...».

همست مني تجيبها بخفوت: «لا تقلقي سنفكر في حيلة أخرى.. أغلقي الموضوع.. جدي يقترب».

التفتت مني إلى جدها الذي اقترب أكثر. «إلى أين أنت ذاهب يا جدي؟»، سألته مني وهو يصافح بوني. «أم تخبرنا أنك ستبيت معنا الليلة؟».

ابتسم في وجه بوني، ثم أجابها: «أجل، أجل.. ولكن ثمة شيئاً يتوجب عليّ فعله أولاً».

☆☆☆

انهمك جراي في ترتيب دفعة من الكتب التي وصلته البارحة. كانت مهترئة وقديمة بعض الشيء، ولكن عناوينها مشوقة. من المؤكد أنها ستجذب الكثير من القراء. فكر بذلك داخل نفسه، لحظة سماعه لصلصلة جرس باب المتجر. أطلّ ناظراً بتطلع إلى ذاك الزائر، وهو يقف فوق سلم المكتبة المتحرك، فإذا به نوح، الذي حاول رسم ابتسامته المعتادة.

« لقد كنت أبحث عن كتاب، كيف تصالح أخاك الصغير عندما تكون مخطئاً بحقه». توقع نوح أنه لن يجيبه، ولكن جراي ابتسم وغمرته سعادة كبيرة، وهو يهبط السلم. «يا له من عنوان طويل! يبدو أنك خاصمته لفترة طويلة للغاية».

«أجل.. فلم أكن قادراً على مواجهته»، قالها نوح بصوت آسف.

«وأنا بالمثل يا سيدي.. لقد حزنت من نفسي لأنني لم أقدر ما تمر به عائلتك».

ابتسم نوح قائلاً: «لقد صار كل هذا جزءاً من الماضي.. والأطفال الذين فرقونا

عن بعضنا، صاروا قريبين الآن».

- «إنها عجائب القدر!».

- «أجل صحيح يا جراي.. لقد ظلمت بوني واعتقدت أنها السبب في العجائب التي تحدث لراي».

- «لقد أخبرتك حينها أنه تأثير القائد (لار).. ولكنك لم تستمع لي يا سيدي».

قال نوح وهو يهز رأسه: «ولكن الجوزائيين الجدد لا يتأثرون بهالات القادة القدامى».

قال جراي: «إذًا ثمّة تفسير آخر». تمعن فيه جراي جيدًا. «تفسير نخشى التفكير به يا سيدي منذ أخبرتك بالحلم الذي سبق ميلاد بوني.. فإن كان راي هو الذي في الحلم فهذا يعني أنه ».

«قائد جوزائي!»، قاطعه صوت سيدة عجوز دخلت لتوها إلى المتجر، وهي تتوكأ على عكازها. حدجت جراي الذي شعر كما لو أنها مألوفة له، ولكنه لم يعرفها، على عكس الآخر الذي أصابه الذعر، وتراجع للوراء وهو لا يكاد يصدق أعينه.

(27)
أوجوجورا

قائد الجوزاء!

سأله راي: «هل هذا ما قصدته عندما أخبرتني أنني أخوك!».

كان راي سعيدًا للغاية حيث وقف أمام المرآة وهو ينظر لنفسه: «صدق أو لا تصدق يا مبدو.. ولكنني كنتُ أشعر بأنني قائد الجوزاء».

أجابه مبدو بامتعاض: «لا أصدق ».

بادره راي: «لا بهم.. الأهم أنني أصدق.. من المؤكد أن لي كرسيًا ضخمًا في قاعة عظيمة». كان مبدو يتأمله وهو سارح في خيالاته، لا يكاد يصدق من سذاجته أنه قائد.

سأله راي: «هل ترتدي ملابس رسمية معينة؟ وبقدموتني لشعب إيخار على أنني رايون، القائد الجوزائي ».

«من الدرجة الثالثة!»، بادره مبدو معقبًا.

بهت راي وهو ينظر إليه مستفسرًا: «ماذا تعني بالدرجة الثالثة؟!».

أجابه مبدو بنبرة ساخرة: «درجة المختلين عقليًا والبلهاء أمثالك!».

امتعض راي وجلس قبالته: «إنني لا أمزح».

«ما تقوله أنت هو المزاح عينه»، أجابه مبدو. «منذ رحيل (روا) إلى ميمصدراء.. لم يعد أحدٌ من سكان إيخار يقتنع بوجود القادة. ثمة أشياء كثيرة تغيرت.. بالكاد تم بعد هناك قيمة لهذا الكيان لأنهم يعتقدون أنه ينبع

ميمصدراء الآن».

قال راي متشككًا: «ولكننا لا نزال قادة.. أليس كذلك؟».

«بالطبع.. ولكننا سنظل دون قيمة حتى نثبت ما نحن قادرون عليه.. لقد أخبرني الجوزاء القائد بذلك».

اتسعت عينا راي مستفسرًا: «أرأيته؟ الجوزاء القائد.. هل هو في مثل سننا؟».

أجابه ميدو: «أجل.. ولكنه شخص غامض ولكن ما إن تنظره حتى تألفه. ابتسامته تطمئنك، تجذبك إليه.. وعندما تسمع صوته تظن أنك تعرفه منذ زمن طويل.. وما إن تنخرط في ثرثرته حتى تظنه أبله.. سخريته تجعلك تظن أنه لا يعرف أي شيء ولكن !». بدا ميدو شاردًا: «ولكنه يراك.. يرصدك من حيث لا تدري، يقرأ عقلك.. مهما حاولت فلن تفهم ما يريد؛ لن تفهم الدافع الخفي من حديثه أو حتى ضحكته. ربما ستنخدع فيه وتراه كالطفل الخائف الضاحك الذي لا يأبه لأي شيء، أو كشخص آخر لا يمكن وصفه، لأنه متجدد على الدوام. هذا أفضل وصف لشخصه الجوزائي».

قال راي: «تبدو معجبًا بشخصيته!».

ابتسم ميدو في ابتهاج: «لقد التقيته في إبخار مرة واحدة.. ولا تزال كلماته وصورة وجهه وهو يحدثني لا تفارقني.. لقد كانت إبخار بالنسبة له مخيفة، ورغم ذلك شعرت كما لو أنه يعرفها أكثر مني.. فقط الشيء الوحيد الذي أثار اندهاشه وإعجابه هو (شمس إبخار!)».

استفسر راي متعجبًا: «شمس إبخار؟!».

أجابه ميدو: «نحن نسميها كذلك.. ولكنها شمس الأرض ذاتها.. فقط تظهر في إبخار بيضاء متلألئة، وبها مسحة صفراء وقت الغروب.. والأمر ذاته مع

القمر؛ أبيض مائل للزرقة، وعند اكتماله تنبعث عنه أطياف زرقاء وخضراء تنتشر في سماء إيخار طوال الليل».

قال راي في اندهاش: «أيعقل هذا؟ كيف يحدث ذلـ   ».

راااااي! جاءه صوت مني عبر المتحدث الآلي....

«اللعنة على راي!»، صاح في حنق، فقهقه مبدو بخفوت.

- «أثمة شخص معك؟!».

- «لا.. ماذا تريدين».

- «أريد علكة!».

اعترضها راي متعجبًا: «ماذا؟»، فأعادت كلماتها مرة أخرى: «أفقدت سمعك.. أريد علكة بالكرز كالتي أعطيتها تلك اليوم.. إنني لا أذكر اسمها.. ربما سنجد العبوة في صندوق القمامة بسهولة بعدما   !».

- «ضعي السماعة يا مني.. لا وقت للمزاح».

- «إنني لا أمزح.. ألا تذكر وعدك».

- «أنا مشغول الآن!».

- «أنت مشغول طوال الوقت.. هيا يا راي، لن تتأخر كثيرًا. إنها مجرد دقائق حتى متجر جلوري وستعود».

- «سأذهب إلى متجر جلوري لشراء علكة.. سيحسبني متسولًا».

- «المتسول أفضل حالًا من جامعي القمامة تلك الأيام.. أنا قادمة لأعطيك النقود».

- «لا لا!.. أنا قادم».

نهض راي وهو يطلب من مبدو أن ينتظره بالخارج، فنهض مبدو وهو يحدثه، «ثمة شيء وددت إخبارك به يا راي». استدار راي ينظر إليه، فوجده يشير جهة اللوح الخشبي. «أيا كانت ماهية هذا الحلم الذي كان السبب في لقائنا، ثمة شعور يخبرني أن هذه الفتاة حقيقية.. بل ثمة شعور يؤكد لي أن هذه الفتاة حقيقية وتود الاقتراب منك.. من الأفضل أن تزيل تلك اللافتة من الشجرة وتضعها في مكانٍ آخر».

☆☆☆

«فتاة باردة!» خرج راي، بغمغم ممتعضًا، وهو يتوجه إلى مبدو.

سخر مبدو قائلًا: «يبدو أنها تحبك كثيرًا!».

امتعض راي قائلًا: «أتمزح؟ إنني أتمنى لو أحولها إلى فأر أو حرباء.. ألا يمكنك فعل ذلك؟!».

قهقه مبدو يجيبه: «نعم.. لا يمكنني!».

نظر إليه راي مستنكرًا: «يبدو أنك ساحر ضعيف.. لا نستطيع إظهار تنينك الخاص ولا نستطيع تحويل أي شيء».

«يمكنني تحويل ما ألبسه»، نطق مبدو بذلك لتتبدل العباءة السوداء، إلى ملابس كالتي يلبسها راي. ثم ظلت تتبدل ألوانها حتى استقرت على اللون الأسود. تطلع مبدو إلى اللون بابتهاج: «إنني أفضل اللون الأسود».

حاول راي استفزازه: «أهذا ما تفلح في القيام به؟ لقد اعتقدتك أقوى من هاري بوتر».

«أووووه لقد تذكرت»، تبدلت تعابير مبدو إلى الجدية. «لقد قرأت القليل من هذه القصة.. لم أكن أعلم أن تلك الرواية شهيرة في عالمنا أيضًا. لقد أخبرتني

أختي (بالنيابة) أنها اشتهرت بسبب المعلمة (رهربا نروبت)».

اندهش راي مستفسرا: «ومن المعلمة (رهربا نروبت) تلك؟».

أجابه مبدو: «لقد كانت معلمة في مدرسة (أوجوجورا) إحدى المدارس التابعة لإيخار».

سأله مبدو: « ولماذا اشتهرت رواية هاري بوتر في تلك المدرسة تحديدا».

أجابه مبدو: «لأن مدرسة أوجوجورا لديها أشياء كثيرة تتشابه مع تلك المدرسة في الرواية».

«كيف؟! ماذا تقصد؟»، تساءل راي مذهولا، بينما كان مبدو يخرج ورقة مطوية، من الخراج. لم يتنبه للطريقة السحرية التي أخرج بها الورقة، بقدر انتباهه لكلمات مبدو: «هذه صحيفة تصدر في إيخار.. سنلاحظ أنها مليئة بأخبار تخص حركة التجارة هناك.. لا علاقة لنا بكل هذا». ظل يقلب الصفحات، حتى توقف وهو يشير جهة مقال صغير في الطرف الأيمن من الصفحة السادسة. «ها هو المقال.. ستجد فيه اسم (أوجوجورا) تلك المدرسة التي أقصدها».

كان راي مصعوقا، لدرجة أنه شعر بدوار في رأسه، فأمسكه مبدو مستفسرا: «هل أنت بخير».

ابتسم راي: «أجل، أجل.. فقط من هول الصدمة.. شيء كهذا قد يتسبب في غيبوبة لمن يهتمون بهاري بوتر». تنهد راي وهو يبدي تعجبه الشديد: «يا للهول.. إنها حقيقية فعلا!».

- «أجل.. صحيح».

- « إنني لا أقصد المدرسة.. بل الصحيفة.. الصور تتحرك.. كيف يحدث ذلك؟».

ابتسم مبدو يجيبه: «هذه تقنية قديمة للغاية، يا راي.. ألم يخبرك جدك عنها.. تعتمد على معالجة الورق بخيوط العنكبوت.. وتعتبر من الصناعات التي تحتكرها إيخار، نظرًا لوفرة خيوط العناكب في غابة موديتاث بشكل هائل».

نظر راي إلى المقال قائلًا: «ولكن جدي أخبرني أن إيخار، البلد الوحيد الذي يؤوي السحرة».

أجابه مبدو: «كان هذا منذ زمن طويل حتى نشأت فكرة المدارس السحرية.. ومدرسة (أوجوجورا) بالضبط كبقية المدارس السحرية التابعة لإيخار.. ولكنها تميل لتمسكها بالعرق النقي للجوزائيين؛ لأنها تعتبر المدرسة الأولى التي بنيت وأقيمت على تعاليم السحرة الجوزائيين وذلك قبل بناء مدرسة (صاردوربا) في إيخار».

سأله راي: «وماذا تعني (صاردوربا) تلك؟».

أجابه مبدو: «إنها كلمة جوزائية، تعني الجوزائية الأم.. دوربا مسمى تطلقه على النجم الأول تبع السحر وتعني في لغة الجوزاء (الأم) أو (الملكية) كمصطلح مستحدث.. وكلمة صار تعني الرقم ثلاثة، وفي الوقت ذاته يقصد بها الكيان الجوزائي.. وبالمثل مع مدرسة (أوجوجورا)، تتكون من مقطعين (أوجو) وهو اسم تصغير يرمز إلى نيزك (أوجورجا)، وكلمة (جورا) تعني جذور».

استفسر راي: «وما سبب تسميتها بهذا الاسم؟».

أجابه مبدو: «هذه قصة طويلة، تنتمي لعصر القائد (ميم-إير-لين) الذي نشأ في إيخار، ورحل عنها بعد رحيل أخويه وشعب إيخار بأكمله إلى ميمصدراء.. حاول العيش وسط البشر والاحتفاظ بقوته كساحر ولكنه لم يستطع. تم اضطهاده مرارًا وطرده من كل مكان؛ نظرًا لأن السحر كان

محرمًا وفتنها.. أخذ يتنقل من مكان لآخر حتى استقر في بلدة، أطلق عليها فيما بعد (أسمبداجا) وهو اسم جوزائي يعني سماد آجا، وأسماها بذلك لاستعانته بفكرة (را) واستخدام حمم بحيرة (زيندا-آجا) في زراعة أشجار أوجو لتطوق هذه البلدة وتخفي عن الأنظار، حتى إن الفلاحين الذين ساعدوه في زراعتها، انبهروا بقوة هذا السماد السحري، الذي يضاعف حجم الأشجار ويجعلها ضخمة شاهقة الارتفاع. وعندما صارت القرية عامرة بالكثير من غير الجوزائيين، قرر تأسيس أول مدرسة لتعليم السحر، ثم تختفي المدرسة بأكملها نظرًا لأنها كانت قلعة شاهقة للغاية، فقام بنثر ما تبقى من السماد في أساس المدرسة. وفي كل عام، كانت ترتفع القلعة أكثر كلما نمت الأشجار التي تقع أسفلها، ومرور الزمن، صارت أشبه بجذور تلتف حول القلعة وتنبت منها زهور يتغير لونها في كل فصل من الفصول.

«ما كل هذا؟!»، هتف راي في عدم تصديق، «يبدو أن جدي لم يخبرني شيئًا قط عن إيخار».

ابتسم مبدو قائلًا: «لن تعرف إيخار جيدًا إلا بزيارتك لـ (بابليورا) ولو لمرة واحدة».

«بابليورا!»، تعجب راي، «أليست هذه كلمة سحرية للإخفاء والإظهار؟».

«ماذا!». قهقه مبدو قائلًا: «من أخبرك بذلك؟ إنها أقدم مكتبة عرفتها الإنسانية.. بداخلها تاريخ الجوزاء كله منذ الجوزاء القائد الأول، وحتى الجوزاء القائد الثامن عشر.. هذه المكتبة من شدة اتساعها لا بد أن تدخلها بخريطة وإلا فلن تخرج منها أبدًا». صمت مبدو وهو يتأمل تعابير راي الذاهلة، «غدًا ستزور إيخار يا راي.. وستعلم أنها أشبه بعالم آخر». كان باديًا على مبدو الجدية وهو يتحدث، «عالم لا أثر للمرح والحرية به.. عالم لا بد أن تثبت قيمتك فيه حتى تجعل الناس يخافونك».

«وكأنهم يخافونك هناك!». مازحه راي بصوتٍ فيه تحدٍّ قائلًا: «إذ إنك لا تستطيع إظهار نابيك.. المرعـــب». مد راي في نبرته الساخرة المستفزة، حتى أتته الصدمة على الفور، حيث تفاجأ بريح قوية هبت على حين غرة وأسقطته أرضًا.

قهقه مبدو تاركًا إياه وهو يصعد في الهواء، قائلًا: «لستُ أنا صديقني!».

انتبه راي في تلك اللحظة لمبدو وهو يصعد في الهواء، ويخطو فوق شيء أشبه بجلد أسود متحجر، تتخلله شعيرات طفيفة متوهجة، لم تكن ظاهرة بشكلٍ واضح، حيث لم تظهر منه سوى بقع صغيرة ظلت تظهر وتختفي تحت أقدام مبدو. لم يستطع راي تخمين ماهية الشيء الذي يخطو فوقه مبدو، إلا في اللحظة التي استقر فيها عاليًا، حتى بدا كما لو أنه يجلس فوق قمة جبل خفي.

ولكنه لم يكن جبلًا!

فجأة هبت العاصفة ذاتها، وأنهضت راي من مرقده، ليتفاجأ بعينين تنبثقان من الفراغ، متوهجتين بلهيب أحمر، أظهر وجه التنين لثوانٍ معدودة.

همس راي في ذعر: «إنه التنين!». ابتلع لعابه، وجسده بالكامل يرتجف.

ترددت ضحكات مبدو في رأس راي: «من الأفضل لك العودة إلى المنزل.. فالسماء على وشك أن تمطر».

لم تمر ثوانٍ، وبدأت السماء تمطر، فنهض راي وهو يبتسم في بلاهة: «أتحسبني خفت؟!».

قهقه مبدو: «تفحص بنطالك يا راي.. على ما يبدو أنه تبلل بمياه المطر».

تفحص راي بنطاله، وهو يصيح في ثقة: «إنه مطر بالفعل!».

«جيد!»، تردد صوت مبدو الضاحك. «فلنتمنَّ إذًا، أن يكون مطرًا لحظة أن ترى (زبندارن) رأي العين».

تحرك راي في طريقه إلى البيت وهو يحدث مبدو، حول رغبته في تعلم طريقة التخاطر، ومعرفة الكثير حول حجر ضلبق.

أخبره مبدو أنه سيرسل له شيئًا، ولكن راي لم ينتبه لبقية كلمات مبدو، حيث تصلب في مكانه ما إن لمح فتاة تعبر بمحاذاته، وتسقط أمامه. لم ير راي سوى شعرها الأحمر اللامع، تقدم مقتربًا منها، فاكتشف أن شعرها أشقر مبلل بماء المطر ويلمع بحمرة متوهجة إثر أضواء الإنارة المنتشرة في الشارع.

اقترب راي ليساعدها على النهوض ولكنها ما إن التفتت له حتى عرفها!

بوني!

(28)

راي وبوني

نسي راي كل ما يحدث حوله، لحظة أن التفتتْ له بوني. كان شعرها يلمع تحت أضواء الإنارة، فيظهر أحمرَ لامعًا. توقف راي عن التفكير، وتشجع متقدمًا وهو يخلع سترته. لم يحاول التفكير فيما سيقوله له. وبمجرد أن اقترب منها أكثر، نوقفت بوني تنظر إليه. بدت الكلمات الأولى جافة، وهو يحادثها بصوت خافت لا يمت بصلة لصوته الزاعق الذي يتعامل به مع إميلي وأخته: «هل يمكنني ؟». أشار جهة كتفيها، فأومأت بابتسامة هادئة، حاولت أن تخفي مدى سعادتها. أما راي، فبمجرد اقترابه منها ووضع سترته على كتفيها، تلاقت أعينهما عن قرب. أصابته رجفة، وهو يتأمل وجنتيها اللتين امتلأتا بنمش بني خفيف.

كان وجهها يلمع تحت المطر، وأضواء الطريق تضفي حمرة ساحرة على وجهها وشعرها الكستنائي اللامع. ارتعشت يده لحظة أن تماست يده بيدها، ثم واصلا طريقهما في هدوء لدقائق، وخطوات متثاقلة، كأن المطر لا يتهمر فوق رأسيهما. كل منهما بداخله كان يتمنى أن يطول بهما الطريق. شرد راي يحدث نفسه ولا يكاد يصدق أنها تسير بجواره.

هل أمشي بجوارها ، هل يعقل هذا ، هل سترتي فوق جسدها ، ماذا أقول ، لا بد أن أتحدث ، لا بد أن ..

قاطعت بوني تفكيره: «يبدو أنك ستصاب بالبرد بسببي».

كان راي يرتعش حقًا، ولكنه لم يكن بسبب المطر بقدر ذهوله وعدم تصديقه

أنها ترافقه وتحدثه، ورغم ذلك اكتفى بإيماءة نافية، ولا يدري ماذا عساه يقول.

«لقد تبقى أسبوع واحد وسيبدأ العام الدراسي الجديد»، قالها راي وندم بعدها.

«أجل أعلم!»، أجابته بوني، ثم عاد الصمت يجول بينهما. لم يكن في رأس راي أي شيء ليقوله. فجأة تبخرت كل الكلمات ولكنه كان يحاول مراوغة هذا الخوف بداخله...

- «لقد أخبرتني مني أن عليّ الاستيقاظ باكرًا؛ فالحافلة تصل دومًا في وقت مبكر».
- «أجل صحيح».
- « لقد اعتدت ركوب الدراجة أو السير قدمًا بصحبة إميلي».
- «إنه شعور سيئ.. ولكنك ستعتاد عليه».
- «أظن أن جلوسي بجوار مني في الحافلة سيكون هو الأصعب في الاعتياد».
- «مني لطيفة للغاية يا راي.. صدقني فأنا التي أجلس بجوارها».
- «حقًا؟ لقد اعتقدت أنك تجلسين بجوار... ديريك».

صمتت بوني لثوانٍ، وهي تنظر أمامها، لتجيبه بنبرة تختلج بالضيق: «لقد قطعت صلتي بهذا الفتى نهائيًا ودون رجعة».

«جيد هذا أفضل»، قالها راي بتلقائية ثم صمت. انتظرته بوني ليكمل: «لقد أخبرتني مني بكل ما حدث.. إنه.. إنه.. لا أجد التعبير اللائق والمرادف لغير آدمي ».

«حيوان!»، بادرته بوني، وهي تضحك، فتبعها راي ضاحكًا وحينها تكسرت كل العوائق بينهما وشعرا بارتياح شديد، وخاصة راي الذي وجد نفسه يحدثها وكأنه صديقها المقرب، وبعاتبها: «في الحقيقة لم أكن أدرك.. لماذا فتاة مثلك تصادق فتى مثل دبربك؟ كان الجميع يعتقدون أنك مثلهم.. ولكنني الوحيد الذي كنت أراك مختلفة عنهم.. لقد شككت عندما رأيت حقيبتك في مقعده بينما اعتقد الجميع أنك تصالحت معه.. ولكن ما إن تغيبت عن الحصة حتى بدأت أشعر أن ثمة شيئًا قد حدث».

قالت بوني: «في ذاك الوقت، لم أجد أحدًا يسمعني سوى الإخصائية الاجتماعية.. وبمجرد أن أخبرتها بكل ما حدث، نصحتني بأن علي مواجهة مخاوفي والتغلب عليها».

قال راي: «ولكنك تهربت منه وتركته وحده في مقعده!».

«دبربك لم يكن سبب مخاوفي»، قالتها بوني بنبرة قاطعة، وبدا أنها تتشجع في الحفاظ على نبرة صوتها...

سبب مخاوفي هو أنت يا راي!

هبطت تلك الكلمات فوق رأسه كالصاعقة، أفقدته شعوره ولم يجرؤ على النظر في عينيها، ورغم ذلك تفاجأ ببوني تواصل حديثها: «منذ أن كنا صغارًا وأنا أحاول التقرب منك أنت وإميلي.. فلقد كنتما أكثر شخصين يشبهانني.. ولكنكما كنتما تتجنبانني.. أنت تتحاشى النظر إلي.. وإميلي تنظر إلي كما لو أنني ألد أعدائها.. لطالما تمنيت أن نكونا صديقي وكنتي... ولكنني لم أجد سوى دبربك وأصدقائه الجبناء يرحبون بصداقتي».

صمتت لوهلة ثم واصلت: «لطالما كنتُ أخبر نفسي أن العيب في شخصيتي، ولذلك لا أستحق أن أكون صديقتك.. إلى أن شاءت الظروف لتصبح مني وسارة صديقتي.. ولن أبالغ إن أخبرتك أنهما صديقتاي الوحيدتان الآن..

وحينها أتتني الفرصة للتقرب منك ومصادقتك ».

قاطعها راي وهو ينظر في عينيها: «وتلك الفرصة عندما طلبت مني منك تعليق اللوحة في الفصل!».

«في الواقع لم يكن هذا اتفاقنا»، ضحكت بوني معقبة. «عندما كتبت مني اللافتة.. اتفقنا على أن أسلمها لك بنفسي نيابة عن تلاميذ الفصل.. ولكنني لم أستطع.. لم أملك الجرأة الكافية لفعل ذلك، فقمت بتعليقها بجوار السبورة وأنا على يقين من أنني أضيع بذلك فرصتي الوحيدة للتقرب منك.. والسبب هو الخوف.. الخوف الذي جعل ديريك يسيطر عليّ.. الخوف الذي جعل ليانا وصديقتها يسلباني مصروفي كل يوم».

والخوف ليس سوى اختيار!

تابعت بوني: «هكذا أخبرتني المعلمة؛ أنني اخترت الرضوخ لهم تهرباً من خوفي الأكبر، والعجيب أنه عندما مضيت تجاه ما يسبب لي الخوف، لم أتخيل أنني سأكون في أتم سعادتي».

«وأنا بالمثل يا بوني!»، صرح راي وهو في أشد سعادته. «كنتُ في غاية سعادتي عندما سمعتك تتحدثين باللغة العربية».

قالت بوني: «هذه فكرة أختك أيضًا.. لقد ظللت أرددها وأكررها مراراً وتكراراً حتى لا أنساها.. فلقد أصرّت مني على أن أخبرك بها ». صمتت بوني وهي تتظاهر: «في البداية كنت في حيرة من قناعة مني بأنني سأقنعك بالتراجع عن قرارك.. ولكن يبدو أنها كانت تعلم أنك لن ترحل مسبقًا».

«مني كانت موقنة؛ لأنها تعلم »، تردد راي لوهلة. « أنك الوحيدة التي إن طلبت مني ذلك سأفعل!».

احمر وجه بوني، وانتظرت أن يكمل، لكنه توقف فجأة، فتساءلت عن السبب.

«أليس هذا بيتك؟»، قالها راي متسائلاً.

التفتت بوني فلم تكن تنتبه لأي شيء سوى راي، لم تكن تريد منه الرحيل قبل أن يخبرها بما تريد سماعه، ولحسن حظها توقف المطر، فقالت متهللة الأسارير: «لقد توقف المطر.. يمكننا العودة إلى المنجر لنشتري العلكة».

تذكر راي قائلاً: «يا إلهي.. العلكة.. لقد نسيتها تماماً»، ثم صمت فجأة، وتبدلت نظراته: «ولكن كيف عرف ».

ابتسم راي ثم ضحك قائلاً:

- «خطة أخرى من خططك مني الفاشلة ».
- «لا إطلاقاً.. لقد ظننت أنك ذاهب لتشتري شيئاً ».
- «علكة.. لقد أخرجتني صديقتك في تلك الساعة وفي تلك الأجواء لأشتري لها علكة».
- « لقد توقف المطر.. يمكننا العودة إلى المنجر».
- «والدتك!».
- «لا تقلق.. والدي يعلم أنني ».

«والدتك تقف أمام الباب»، همس راي بتقاطعها، فالتفتت بوني لترى أمها تلوح لها وتغمز بالداخل تاركة الباب موارباً.

ثمة توبيخ ثقيل ينتظرني!

همست بخلع المعطف، ولكن راي أوقفها: «لا أبقيه ويمكنك إعطائي إياه غداً.. بعد عودتك أنت ومني من النادي.. ستجدينني حيثما في ». «جحر الفأر!»، قاطعته بوني مبتسمة، فأومأ لها راي مقهقهاً: «أجل جحر الفأر».

أطالت بوني النظر في عينيه للثواني، ربما لديه شيء يقوله، ولكنه تجنب النظر

في عينيها، وحينها رفعت أيديها وهي تبتسم وتجز على أسنانها لتودعه، ثم توجهت إلى باب بيتها، ولكنها ما إن صعدت الدرج حتى تذكرت شيئًا هامًا...

«راي!»، نادته يوني، فالتفت راي ينظر إليها.«عندما تبدأ الدراسة...!»، بدت يوني مترددة بعض الشيء: «هل سيكون المقعد بجوارك.. خاليًا؟».

«خاليًا—!»، رددها راي وهو يمعن في وجهها، وبصوت عميق أجابها: «لطالما كان خاليًا حتى أتيت أنتِ يا يوني».

(29)
أوريتكون

دفعت بوني الباب وهي في غاية سعادتها. كانت كلمات راي الأخيرة ذات وقع رائع في نفسها. خلعت حذاءها، وواصلت تحركها عبر ممر يؤدي إلى الصالة، ثم همت بارتقاء الدرج المؤدي للطابق الثاني حيث غرفة نومها.

« لم تشتري شيئاً من الماركت كما قلت»، تردد صوت والدتها من خلفها.

توقفت بوني وهي تستدير ناظرة لوالدتها. كانت نبرة الصوت مخالفة للكلمات التي قالتها كاتلين، حيث كانت مبتسمة وتبدو هادئة.

أجابتها بوني: «عندما أمطرت السماء.. قررت العودة». تلعثمت بوني وهي تنطق آخر كلماتها. ثمة شعور غريب باغتها، هو مزيج من الرهبة والتعجب؛ فكلا والديها كانا هادئين، والأغرب ابتسامة والدها...

تساءلت كاتلين في ابتهاج: «أهو صديقٌ جديد؟!».

أجابتها بنتة ونبرة أعلى: «أجل، إنه راي.. شقيق مني وسارة».

بدا على والديها أنهما لم يتفاجآ، ولعل هذا ما جعل بوني تزداد تعجّبا.

«وهل هذه سترته؟»، تحدث جراي أخيراً، فأومأت بوني نحبيه: «لقد أصرّ علي أن أبقيها معي حتى لا أصاب بالبرد».

تمتم جراي: «يبدو أنه فتى لطيف».

«إنه يشبه والده كثيراً»، عقبت كاتلين. «إنني لا أتذكره منذ كان رضيعًا.. فلقد كنت حاضرة يوم مولده».

«حقًا!». قالتها بوني في دهشة؛ فلم تكن تعلم ذلك قبلًا.

«أجل.. ولكنني لم أكن أراه إلا نادرًا».

«لقد كان يعيش مع جده.. ولكنه الآن عاد واستقر مع أسرته».

لاحظت بوني تعابير الابتهاج على وجه أبيها، وكأنه مسرور لهذه الصداقة.

قالت كاتلين: «حسنًا بوني.. هيا اصعدي، وبدلي ملابسك حتى لا تصابي بالبرد».

هرولت بوني تصعد إلى الطابق العلوي، وبداخلها سعادة جمّة وهي تضم سترة راي حول جسدها. كانت منشوقة، لأن تحادث مني وتخبرها عبر الهاتف أن الخطة قد نجحت.

كان صوت الطرق، يتردد صداه في المنزل كله، ولا يكترث لمن يزعجهم هذا الطرق ويبدد نومهم. لم يكن يعبأ بمثل هذه الأمور في بيت جده. كان يطرق مسمارًا تلو الآخر، وهو شارد يفكر فيما حدث له حتى الآن. كان صوت جده يتردّد في خلفية رأسه، متذكرًا ما قاله له قبل أن ينتقل هنا. شعر بسعادة غامرة، فها هي الأمور تتحسن وتصير أفضل.. لم يكن يصدق أنه غدًا سيستيقظ ويحادث بوني، ويخبرها بكل ما أراد أن يخبرها به.. لقد أخبر جده أن يبحث عن البقع المضيئة في حياته، ولكنه في تلك اللحظة شعر بأن حياته صارت كلها مضيئة بعدما صارت بوني جزءًا منها...

على الرغم من القلق الذي اجتاح ليلى، لحظة أن تردد تلك الطرقات المزعجة التي يقوم بها راي، أمام غرفته ليثبت اللوح الخشبي على الحائط المجاور لباب غرفته، إلا أنها لم ترغب في النهوض والصراخ فيه.. التفتت لصلاح الذي غط في نومه العميق، فابتسمت؛ ولا تدري لأي سبب بالضبط تبتسم، ولكنها كانت تشعر بالسعادة، لكون ابنها قد صار جزءا من حياتها اليومية.

إذًا فليفعل ما يفعله!

ربما قد يظن في البداية أنه فاز ببوني، ولكن الحقيقة أن بوني هي التي فازت به بعدما تغلبت على خوفها من أجله. فكرت سارة في ذلك وهي تتقلب في سريرها. لا تستطيع النوم، ولا تدري فيمن تصيح. كانت مني جالسة في السرير المجاور لها، تضع سماعة الهاتف على أذنيها، وتحادث بوني تتعرف منها كل ما حدث. استنبطت سارة سريعًا أن الخطة قد نجحت، ليس من حديث مني عبر الهاتف، ولكن من صوت الطرقات العنوية التي كانت تتناهى إليها...

توقف راي عن الطرق منصتًا لذاك الصوت. ثمة صوت تردد على مقربة منه. ربما أمه تحثه على التوقف لأن الجميع نائمون. فكر راي في ذلك، ثم أدرك أنه بنوعهم، لم يكن قد أنهى تثبيت اللوحة، ولكنه قرر أن يؤجل ذلك لليوم غد. انسل إلى غرفته ووضع المطرقة والمسامير خلف الباب، ولكنه فجأة

تناهى إليه الصوت ذاته. نظر جهة الباب، فتردد الصوتُ مجدَّدًا. كان رقيقًا للغاية يصعب تحديد من أين يأتي. ظن أنه يتوهم، ولكنه سريعًا ما تبين أنه مخطئ بمجرد رؤيته لذلك الطائر العجيب يقف عند نافذة غرفته، وينبعث عنه صوت رقيق كحال هيئته.

هذا مستحيل!

على الرغم من يقينه من ماهية ما ينظر إليه، إلا أنه ظن أنه يحلم وهو يقترب منه وينظر إليه عن قرب. كان مترددًا من لمسه. حيث أخذ راي يحدِّث نفسه وهو يتأمله. كان منظر هذا الطائر رائعًا، وعلى ما يبدو أنه لا يخافه حيث يتململ على عتبة النافذة ويقرقر منفضًا ريشه. ربت بأصابعه على رأسه، فبدأ الطائر مستمتعًا بتلك المداعبة، وينصت لقرقرته الرنانة. كان نحيفًا بشكل عجيب، وكأن جسده بأكمله من الريش. ولم تمر ثوانٍ، وإذ به يرى الطائر يشع وهجًا طفيفًا.

ابتعد راي متفاجئًا، ولكنه اقترب منه ثانية، ما إن تذكر كلمات مبدو. أهذا ما كان يتحدث عنه مبدو؟ لاحظ راي رسالة مربوطة في قدميه، فالتقطها وهو ينظر لراي بجانب رأسه في ألفة ويقرقر، ثم راح يفتحها ويقرأ.

"أخي رايون..."

كانت ذات وقع رائع على راي، جعله يبتسم، ثم راح يقرأ...

"أتمنى أن تكون قد أحسنت معاملتك بطائر صديقتي (روا)". كانت هذه هي الرسالة. تعجب راي وهو يقلب الورقة، ثم نظر للعنقاء لثوانٍ، قبل أن ينتبه لوميض ذهبي تبعته الكلمات وتتبدل بكلمات أخرى.

"هذا هو طائر العنقاء الخيالي كما تعتقدون في عالمكم.. إنه وسيلتنا في إرسال الرسائل، وهذه ميزة أهتم إيخار وحدهم.. لقد أرسلت لك هدية

صغيرة.. ربما لن تلحظها من المرة الأولى، وإن لم تلحظها فربّتْ بخفة على رأس (رو) ثلاث مرات وسيفهم.. إنه طائر ذكي".

وبالفعل قام راي بذلك، فإذا بـ(رو) يطأطئ رأسه ويلتقط بمنقاره شيئاً كان يقبض عليه بقدميه. لم يكن مرئياً، ولكن وهج العنقاء كان يحدد أطراف ورقة سميكة مطوية عدة مرات.

التقطها راي شاعراً بملمسها الناعم واللين، فانفردت من تلقاء نفسها حتى صار حجمها كصفحة الجريدة اليومية. نظر راي إلى الرسالة ثانية.

"إنها نافذة مشاركة.. إنها من فئة بوداي السحرية.. ربما أخبرك جدك عنها.. إنه من السهل استخدامها.. كل ما عليك هو أن تلتقطها على الحائط".

كان راي ممسكاً بتلك الورقة العجيبة، فكانت شفافة كشفافية الهواء. قام بتثبيتها على الحائط المواجه لسريره بالشريط اللاصق. كان يملس عليها حتى يصل إلى كل ركن فيها، وعندما انتهى، لم يكن ظاهراً سوى هذه الأشرطة اللاصقة. نظر إلى الرسالة ثانية والكلمات تتبدل...

"لقد تعمدت أن تكون النافذة على درجة عالية من الشفافية حتى لا تسبب لك المشاكل؛ فلو كنت نطقت بكلمة (بابليورا)، فسترى أمامك نافذة لمكتبة ليست حقيقية، ولكن بمجرد أن تلتقط منها أي كتاب فسينتقل آنياً إلى غرفتك.. ولن أذكرك.. حافظ على تلك الكتب بقدر الإمكان.. هذا الجانب من المكتبة يحوي على كتب تتعلق بجغرافية إيخار وكل أماكنها وستجد أيضاً خمسة مجلدات تتحدث عن أحجار طليق.

بابليورا !

قالها راي، وهو يتطلع إلى تلك الأشرطة اللاصقة ولكن لم يظهر شيء.

مبدو بيهزأ بي!

فاجأ راي بطائر العنقاء بفرد جناحيه وبنساب بخفة عالية في الهواء، كريشة تتلاعب بها الريح، ثم ارتفع وراح يحلق في سقف الغرفة بمرونة عالية وسرعة، كنقطة مضيئة راحت تتوهج ككرة نار، وإذ به يصطدم بالحائط ويصدر صفيراً حاداً، ثم حلق فوق رأس راي قبل أن ينسل عبر نافذة غرفته.

حمل راي جهة النافذة فوجده يتجه صوب الدائرة السحرية التي رسمها مبدو قبلاً، حيث ومضت لحظة اصطدام العنقاء بها واختفائه، تاركاً خلفه شرارات نارية، تبددت في الهواء. تطلع راي إلى الرسالة وكلمات أخرى تظهر، سيقوم (رو) بمهمة تفعيل النافذة، ولا تقلق على طائر العنقاء؛ لقد عبر إلى البعد الآخر، إنه أسهل وأسرع طريق له في العودة.

انتهت الرسالة! خمن راي ذلك، لحظة أن ظهرت بقع ملتهبة راحت تأكل الورقة حتى تلاشت من بين يديه.

وإذ به ينتبه للحائط حيث تلك الصورة الحية لمكتبة، كانت تبدو كما لو أنها حقيقية بشكل يلفت النظر، اقترب منها يلمسها بيده فبدت له كصورة عادية ولكنه ما إن أدخل يده، حتى وجدها تغوص في الصورة عدة سنتيمترات، ليمسك بأحد الكتب مستشعراً ملمسه الخشن ووزنه الثقيل، وهو يتبنق من الصورة.

كان عنوان الكتاب (تطبيق الجوزاء) وأسفله عنوان فرعي (صخور الجاذبية الكونية).

تطلع إلى المكتبة ثانية، وإذ به يبتسم في بلاهة، حيث كان يخمن ما سيحدث لو نطق بكلمة بابليورا، وبمجرد نطقه لها إذ بصورة المكتبة تختفي، فهتف راي وهو يتجه صوب سريره يتصفح الكتاب، فباغته الدوار مجدداً.

«اللعنة على هذا الصداع!»، همس راي متألماً، في تلك المرة كان الدوار أكثر

شدة.

بدأ هذا الصداع بتلاشي بمجرد أن فتح الكتاب واستلقى على سريره، وانغمس في القراءة. أغلب المعلومات كانت عصية على الفهم، على من هو مثل سنه، ولكنه أصر على قراءتها مرارًا حتى يدركها ويفهمها جيدًا. شعر بأن الدوار سيعود له مجددًا، فأغلق الكتاب وقرر المواصلة غدًا. فذاك اليوم كان مليئًا بالأحداث الجميلة. فكر داخل نفسه وهو يمدد أرجله والنعاس يداعب جفونه. وما هي إلا دقائق حتى غرق في نومه، ليحلم بأنه جالس في هرم صغير، يحسب معادلات رياضية معقدة ويرسم حروفًا إنجليزية متشابكة، وإذ به يرى مبدو يسأله منبهرا عن معنى الرمز، وإذ به يجيبه باسم لم يطرأ على رأسه من قبل...

في تلك الأثناء، كانت منى لا تزال تحادث بوني عبر الهاتف، فصاحت فيها سارة لتغلق الضوء وتنهي المكالمة.

«لقد نجحت الخطة»، أخبرتها منى وكأنها بعد كل هذا الكلام لم تفهم أنها نجحت. فقلبت سارة على جانبها الآخر، وكررت كلماتها: «لا تثيري غضبي.. أغلقي المصباح ونامي».

نهضت منى من سريرها: «لا أشعر برغبة في النوم.. سأذهب لراي.. فأنا لا أطيق صبرًا على معرفة التفاصيل».

خرجت منى متوجهة إلى غرفة راي، وهي تتطلع لذاك اللوح الخشبي المعلق بجوار باب الغرفة.

طرقت الباب وهي تسمع غمغمة بالداخل، ثم فتحت الباب لتتجمد تعابير

وجهها في الحال. كانت تلك الغمغمة واضحة الآن، حيث كان راي ينطق بكلمة واحدة ويكررها: «أورينكون.... أورينكون.. أورينكون».

وفجأة دوت صرخة في أرجاء البيت كله وهي تنادي والديها في ذعر ممزوج!

إريـــا

توالت صرخات الاستنجاد، ومعها هزات طفيفة داخل رأسها. كانت بوني غارقة في نومها وفي الوقت ذاته تائهة في حلمها. ربما كان شعورًا غريبًا لم تعهده من قبل، ولكنها في تلك اللحظة، كان كامل تركيزها ينصب في الإنصات لتلك الصرخات التي تتناهى إلى مسامعها. في بادئ الأمر بدا كصراخ مألوف لها. ولكن ما إن اقترب الصوت أكثر حتى تبدل بزعيق منضخم لغربان ناعقة. أخذ صوتها يعلو ويعلو حتى انتفضت في ذعر وهي تفتح عينيها...

أي مكان هذا؟!

تفاجأت بهذا المكان الغريب الذي ترقد فيه، وجدرانه الأربعة تتداخل معًا. كان باديًا كما لو أنها داخل هرم صغير، بابه مستطيل الشكل. هبت واقفة تتطلع إلى ذاك الهرم العجيب وأذناها تلتقطان صوت نعيق تلك الغربان التي تبين أنها تحلق خارج الهرم. فكرت بالتوجه إلى باب الهرم لتتأكد من تخمينها، ولكنها بمجرد أن همت بالتحرك، تفاجأت بدفعة هواء أسقطتها أرضًا. لتعقبها على الفور أسراب من الغربان، أخذت تتدفق عبر باب الهرم وتنتشر في كافة أرجائه.

كانت أعداد الغربان تزداد ومعها جدران الهرم تتراجع وترتفع، والغربان تنتشر به، وتحوم حول بوني، تنعق بصوت مفزع ومخيف، أجبر بوني على أن تضع يديها فوق أذنيها وتغمض عينيها، منكومة على نفسها. مرت ثوانٍ خيم فيها ظلام دامس والغربان تمنع وصول الضوء إليها. وفجأة صارت في مكان آخر، لحظة أن انسحبت الغربان وحلقت عاليًا صوب كرة من الهالات المتوهجة.

انتبهت بوني للمكان من حولها. إنها المرة الثانية التي تراه فيها. عرفته على الفور لحظة رؤيتها لأطراف الغابة المترامية على مقربة منها. وأثناء ما كانت تجول بعيناها حولها، أبصرت ركبة نار يلتف حولها شخصان. لقد كانت تعرفهما. هرولت إليهما بسرعة.

إنه صاد وتلك الفتاة التي تحمل اسمها.

«إنها أختك!»، تناهت إلى مسامعها تلك الجملة، وهي تقترب منهما. كانا يهمسان لبعضهما ولا ينتبهان لوجودها.

سمعت صاد يهمس باسم تلك الفتاة: «بالطبع لا يا راغا.. لقد فقدها لأنه أحبها حبًا جمًا».

حاولت لفت انتباههما، ولكنهما لم يكونا يريانها؛ خمنت بوني ذلك من نظراتهما. وأثناء تفكيرها في ذلك، إذ بصوت عظيم يتردد في الأرجاء ليظهر من الفراغ غول عملاق، يعدو نحوهم، لم يكونا يريانه. فقط هي وحدها. نهضت في فزع، صرخت لتحذرهما وتحثهما على الهرب، ولكنها تفاجأت بصوت صاد يقاطعها.

«لا داعي للهرب». ظنت بوني أنه يحادثها. «إن كنت تشعرين بما في يدك، فلا داعي للهرب». ولكن صاد كان يُحادث راغا وينظر ليدها. أخذ العملاق يقترب حتى فرّت وحدها إلى الغابة بعدما تجاوزهما الغول وظل يتعقبها، حتى سقطت أرضًا. وما إن اقترب منها الغول، حتى أمسكها وألقاها في فمه، ليحل ظلام دامس بعدها.

أخذ هذا الظلام يتكمش حولها حتى صار كتلة عجيبة من السواد. أدركت في اللحظة الثانية أنها تغلق عينيها وتحتضن فتاة منتشحة بالسواد، وكل شيء من حولها مبهم المعالم، فقط تتداخل فيه ألوان بيضاء وزرقاء متدرجة.

لم تمر ثوانٍ، وإذ بشيء لامع يتوهج عند منتصف ظهر هذه الفتاة، مما جعل بوني تجفل متململةً للوراء قليلًا. وحينها اكتملت الصورة من حولها لتدرك أنها تمتطي طائرًا عملاقًا يحلق بين السحب. فارتعدت خائفة، وفقدت توازنها لتسقط، وهي تصرخ، ليتلقفها سريعًا نسر معدني، راح يحلق بها متجهًا لأسفل، حيث مروج خضراء شاسعة، وتحيط بها غابة حول أطرافها.

تركها تسقط أرضًا، وهو يزعق بخوار معدني، لينسحب بعدها مع الهواء برشاقة وكأنه نسر حقيقي. أخذ يحلق صوب كرة الهالات ذاتها، التي تدور حولها مئات الغربان الناعقة.

ثمة شعور غريب راودها وهي تتأمل تلك الكرة المشعة ذاتها، كما لو أن أحدًا بداخلها محبوس.

«إنه بحاجة لمساعدتك!»، تردد الصوت بجانبها، فعرفت سريعًا صاحبه، حيث ظهر من الفراغ وهو يتأمل السماء معها.

تجاوبت بوني معه في ابتهاج: «الآن تراني يا (صاد)».

أومأ لها في صمت، فسألته: «ومن يكون هذا الشخص؟».

- «عندما تقتربين منه.. ستعرفين».

- «ولكن ألا ترى كم هو بعيد عني؟ كيف سأصل إلى الأعلى؟».

ظهرت تلك الفتاة (راغا) من الفراغ وهي تجيبها: «ثمة شخص بمقدوره مساعدتك.. سنجدينه هناك حيث تلك الغاب ».

قاطعها صاد: «لم يحن الوقت بعد !».

قالت راغا: «ولكنها يجب أن تبحث عن إربا ».

تساءلت بوني منعجبة: «من إربا ؟!».

قال صاد: «هذه مهمة لم يحن وقتها بعد !».

تعجبت راغا: «كيف؟ لا بد أن ؟!».

قال صاد: «إنه قريب منها يا راغا.. لدرجة أن آثاره تكاد تمس أصابعها».

لم تكن بوني تفهم أيًا مما يتحدثون عنه، ولكنها تجاوبت معه وهي ترفع يدها أمام وجهها. «إنني أشعر بـــ ».

لم تكمل بوني كلماتها بتقاطعها صوت نعير مزعج، لذاك العملاق الذي ظهر من المجهول وأخذ يعدو نحوهم. صاحت راغا تلك المرة في ذعر ليفروا إلى الغابة. حاولت بوني إخبارهما أن كل هذا خيال وليس حقيقيًا، ولكنهم كانوا قد فروا وابتعدوا تاركين إياها وحدها والغول يقترب منها.

لم تكن تنتبه لذلك بقدر شعورها المتزايد بذاك الشيء الخفي في يدها، والذي أخذ يتوهج ويحيطها بضوء أحمر براق، أخذ يخفت لينضح بعدها أنها راقدة في سريرها، وأصابع يدها تطبق على سترة راي!

تقلبت بوني في سريرها، وراحت تتمطى في سعادة بالغة. لم تكن تذكر أي شيء من حلمها البتة، فقط جملة صاد الأخيرة، التي جعلتها تردد اسم راي وهي تحتضن سترته. ظلت على هذه الحالة لدقائق، حتى نهضت من سريرها وبداخلها سعادة بالغة. فذاك هو اليوم الأول الذي ستقضيه بصحبة راي.

فكرت بوني في كل كلمة ستتبادلها مع راي، وهي تفتح باب غرفتها متوجهة إلى الطابق الأرضي، ولكنها فجأة توقفت منصتة لصوت والدتها الذي تناهى إليها وهي تحادث والدها في ذعر وقلق: «لقد أصبيت حتى بهلع لحظة رؤيته ملقًى على الأرض وجسده يتشنج ويهتز بشكل عنيف.. وبمجرد أن تم نقله للمستشفى تم إدخاله في غيبوبة اصطناعية، وأظهرت أشعة الرنين

المغناطيسي أن لديه ورمًا في المخ، وأنه في حاجة إلى عملية عاجلة لاستئصال الورم».

ضعف صوت جراي يسألها: « وما نسبة نجاح العملية؟».

صمتت كاثلين لثوانٍ، وهي تجول حولها وكأنها لا تستطيع قول ما حدث: « الأمر لم يعد يتعلق بالعملية، لأن راي لم يعد موجودًا بالمستشفى.. لقد اختفى هذا الصباح ولا أحد يعلم عنه ».

توقفت كاثلين عن الحديث منفاجئة بصوت بوني من خلفها تناديها: «عمّن تتحدثين يا أمي؟!».

عجزت كاثلين عن إجابتها، وتهربت بأعينها ناظرةً إلى جراي، ولكن جراي في تلك اللحظة، تراجع للخلف مصعوقًا مما يحدث؛ ففي تلك الثواني القليلة، انتفض شعر بوني، وأخذت أطرافه تشع بضوء أحمر، قبل أن تفقد بوني وعيها وتسقط أمامهما.

صرخت كاثلين وهي تهرع إليها، بينما همس جراي منهارًا:

«لقد كان نوح محقًا في كلّ كلمة قالها.. يا ترى ما الذي تخبئه الأيام لنا؟!».

﴿ يتبع في الجزء الثاني (الغابة المسحورة) ﴾

My
Review

هل أعجبك الكتاب؟ نرشح لك أيضًا

والمزيد من إصدارات فانتازيون

facebook.com/FantasiansPub

Fantasians4@gmail.com

002-01094461896

رابطة (فانتازيون)

facebook.com/Fantasians
facebook.com/groups/Fantasians

الحبر المسحور

اسمه رايون أم أمجد، لا يعرفه، ثمة الكثير من الغموض يحيط بحياته، وخاصة تلك الذكريات المبهمة حول أمور خارقة كانت تحدث له وهو طفل صغير، ولسبب مجهول توقفت فجأة بمجرد تركه لمنزل عائلته وانتقاله للعيش مع جده، هل فعلت أسرته ذلك لأنهم خائفون منه أم لسبب آخر

يشعر أمجد أن ثمة سر تخفيه أسرته عنه، سرٌ يثق أنه سيفسر كل شي ويجعل كل الغموض في حياته واضحًا وبينما هو غارق في حالة من اليأس والضياع، تقوده المصادفة للعثور على غرفة سرية داخل بيت جده. كانت البداية لمعرفته الحقيقة التي أخفيت عنه. حقيقة أغرب من أشد خيالاته جموحًا.

تصميم الغلاف : محمد أبو الهنا

دار فانتازيون للنشر